كتب
قومية

مصر العربية في مجال التاريخ

تاليف
أحمد حسنين القرني
عبد الحفيظ فرغلي القرني

مراجع الكتاب

١ ــ الأدب العربى وتاريخه	للاستاذ محمود مصطفى
٢ ــ أرض المجد	للأستاذين زكى سعد وأحمد يوسف
٣ ــ الازهر اثر وثقافة	للاستاذ سعاد ماهر
٤ ــ الاغانى	للاصبهانى
٥ ــ بدائع الزهور	ابن اياس
٦ ــ تاريخ الادب العربى	لأحمد أمين وآخرين
٧ ــ الجمهورية العربية المتحدة	للدكتور عبد القادر حاتم
٨ ــ حسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهرة	لجلال الدين السيوطى
٩ ــ الحركة الصليبية	للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور
١٠ ــ الحكم والأمثال عند القدماء المصريين	للاستاذ محرم كمال
١١ ــ دائرة معارف الشعب	
١٢ ــ الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور	زينب بنت على بن حسن
١٣ ــ دراسات للقومية العربية	محمد خزبك

١٤ ـ سعد زغلول	عباس محمود العقاد
١٥ ـ السلوك لمعرفة دول الملوك	للمقريزى
١٦ ـ السيرة النبوية	لابن هشام
١٧ ـ صبح الأعشى	للقلقشندى
١٨ ـ صـــورة من كفاح الشـــعب العربى	الدكتور جمال الدين الرمادى
١٩ ـ على هامش التـــاريخ المصرى القديم	عبد القادر حمزة
٢٠ ـ الظاهر بيبرس	الدكتور سعيد عبد الفتاح
٢١ ـ تاريخ العالم العربى فى العصر الحديث	د ٠ عزت عبد الكريم و د ٠ البطريق
٢٢ ـ فلسفة الثورة	الرئيس جمال الناصر
٢٣ ـ فصـــول مختـــارة من كتب التاريخ	للدكتور طه حسين وآخرين
٢٤ ـ قصة الطب عند العرب	احمد حسنين القرنى
٢٥ ـ قصة الوحدة العربية	انور السادات
٢٦ ـ كفاح طيبة	نجيب محفوظ
٢٧ ـ مصر	زكى سعد واحمد يوسف
٢٨ ـ مصر فى فجر الاسلام	دكتورة سيده الكاشف
٢٩ ـ مصر الخالدة	حسن جوهر
٣٠ ـ مقدمة ابن خلدون	عبد الرحمن بن خلدون
٣١ ـ مشارق الانوار	الشيخ حسن العدوى
٣٢ ـ مسالك الابصار	ابن فضل الله العمرى
٣٣ ـ المفصل فى الادب العربى	الدكتور طه حسين وآخرين
٣٤ ـ المتنبى	محمود شاكر فى عدد خاص من المقتطف

٣٥ ـ الميثاق	
٣٦ ـ المجتمع العربى ومناهضة الشعوبية	للدكتور ابراهيم العدوى
٣٧ ـ مجموعة خطب الرئيس	جمال عبد الناصر
٣٨ ـ النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة	لابن تغرى بردى
٣٩ ـ نهاية الأرب فى فنون الأدب	للنويرى
٤٠ ـ نظرات فى الايديولوجية العربية	غالب عبد الرزاق
٤١ ـ وحدة العرب	ابراهيم البساطى
٤٢ ـ قرة النفوس والعيون بسيرة ماتوسط من القرون	ترجمة مصطفى الزرابى. ورفاعة الطهطاوى

فاتحة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

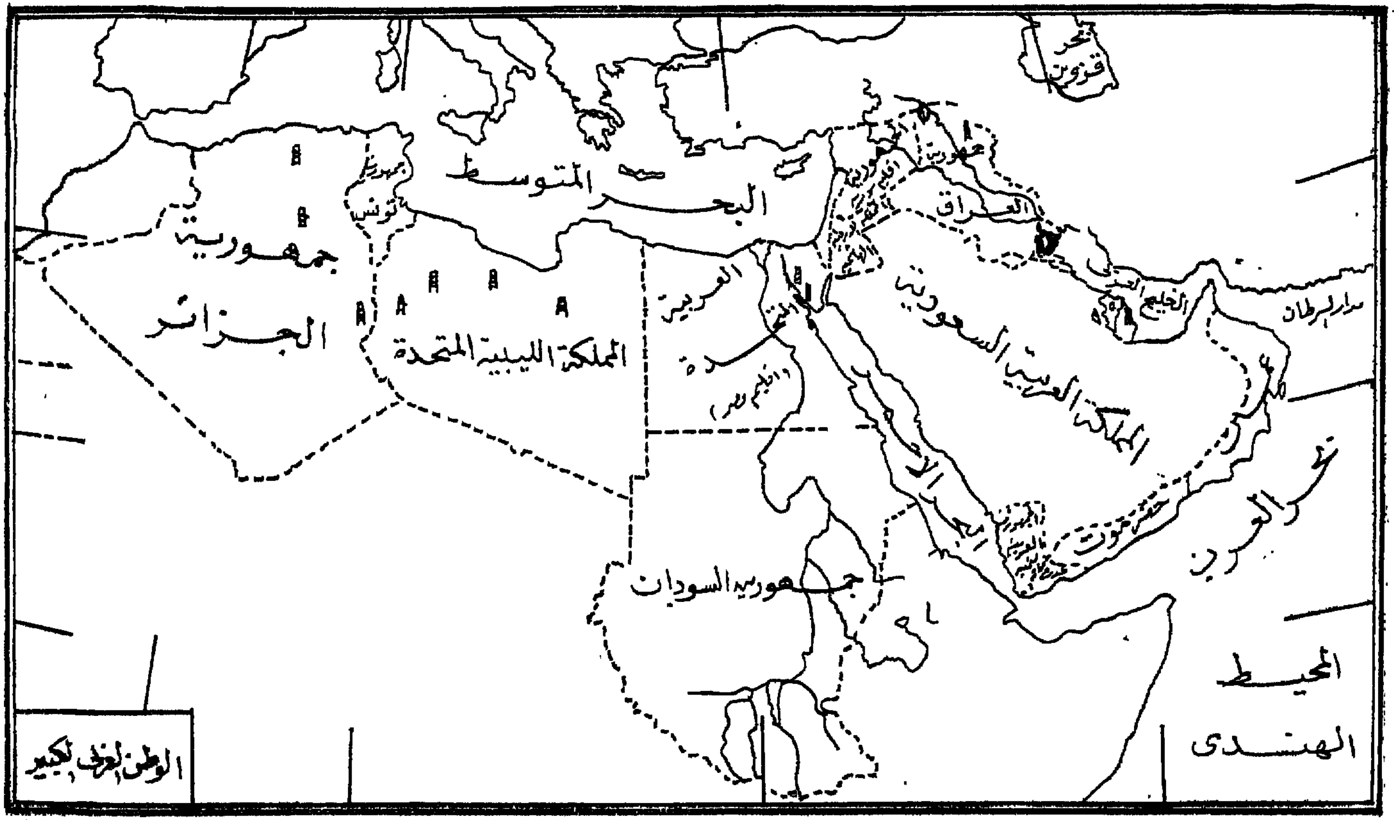
وبه نستعين فى عرض هذا الــكتاب الذى لا نبغى به سردا تاريخيا ، ولكنه صدى لتلك الانتفاضات التحررية التى تظهر فى اجزاء كثــيرة من الوطن العربى ، ونراها فى موقف مصر منها ، ومؤازرتها غير المحدودة لها ، وتشجيعها للاحرار فى كل مكان ، وبسط رعايتها للمنــــاضلين فى طريق العزة والكرامة ، مما جعلها ــ بلا شك ــ قلعـــــة للابطال ، وكعبة للأحرار ، وقاعدة تنطلق منها اشعاعات الحرية والاستقلال ، ويتزود منها ، ويهتدى بهديها المناضلون فى كل مكان مما أوحى الى شاعر عربى حديث أن يقول :

الشرق تاج ، ومصر منه درته
والشرق جيش ومصر حامل العلم

هيهات تطرف فيهـــا عين زائرها
بغــير ذى أدب ، أو غير ذى شمم

أحنى على الحر من أم على ولد
فالحر فى مصر كالورقاء فى الحرم

المؤلفان



الوطن العربي الكبير
البحر المتوسط
جمهورية الجزائر
تونس
المملكة الليبية المتحدة
العراق
المملكة العربية السعودية
جمهورية السودان
حضرموت
الخليج العربي
بحر العرب
المحيط الهندى
بحر قزوين
مدار السرطان

العرب أمة واحده

كان من الكلمات الخالدات ما سجله رائد العروبة الرئيس جمال عبد الناصر يوم ميلاد الجمهورية العربيـة المتحدة اذ قال :

« ان تاريخ القاهرة فى خطوطه العريضة هو نفسه »

« تاريخ دمشق فى خطوطه العريضة · وقد تختلف »

« التفاصيل ولكن المعالم البارزة هى نفس المعالم »

« نفس الدول ، نفس الغزاة ، نفس الملوك »

« نفس الابطال ، ونفس الشهداء »

وقد قام الوزير الاديب العالم الدكتور عبد القـادر حاتم بتفصيل مركز لما أجمل السيد الرئيس جمال ، ونحن نستعير هنا مختارات مما كتب السيد نائب رئيس الوزراء لتكون بمثابة مدخل لكتابنا :

قال الدكتور عبد القادر حاتم : (١)

تلك هى كلمة الحق نطق بها الرئيس جمال عبد الناصر يوم ميلاد

---

(١) انظر كتاب « الجمهورية العربية المتحدة » رقم ٥٢ من سلسلة كتب سياسية التى تنشرها الدار القومية للطباعة والنشر ·

الجمهورية العربية المتحدة ، وهي تنطوى على تاريخ نابض ، وعلى واقع ملموس ..

جمال عبد الناصر خرج من بين صفوف الشعب المصرى يحمل بين يديه آلام الماضى ، وجراح السنين ، ويستجمع فى ذهنه تاريخ وطنه العربى ، ومجد أسلافه وحضارتهم ، وينظر فى حسرة وألم عبر الماضى فلا يجد الا حقوقا قد ضيعت ، وقيما قد أهدرت ، وأوطانا قد سلبت ، وأرزاقا قد نهبت .

يتذكر جمال عبد الناصر ، ولم ينس شعب مصر ، كيف كانت مصر ملاذ الخلافة الهاربة من الغزو التترى الذى اجتاح بغداد ، وأعمل فيها معاول الهدم والتخريب .

ويتذكر جمال عبد الناصر ، ولم ينس شعب مصر ، كيف خاضت مصر وسوريا معارك الصليب الذى تستر خلفه الاستعمار الغربى الطامع فى الشرق الملىء بالخيرات ، والمواد الاولية ، والبترول .

تذكر جمال عبد الناصر كيف دهم الاستعمار التركى الوطن العربى فشاع فيه الفوضى والخراب ، رأى كيف ألهب جباة الضرائب ظهور آبائنا واجدادنا فتركوا الارض للوالى التركى يقسمها بين كلاب الصيد من الجند الانكسارية المرتزقة ، رأى كيف انتزع السلطان سليم الصناع المهرة ، واصحاب الحرف الاكفاء من القاهرة الى استانبول ، فخرب القاهرة وعمر استانبول .. رأى كيف عم الظلم ، وديس العدل وحرم اهل الوطن العربى من خيراته ، وهم أصحاب الحق فيه .

وتذكر جمال عبد الناصر كيف قامت مصر تنتقم لنفسها وتثار للعرب وتحاول أن تسترد وطنا مسلوبا ، وحقوقا مغتصبة ، وكيف دق الجيش العربى بيد مضرجة ابواب استانبول فى قوة وعنف .. ورأى كيف ساد يومئذ صفوف الاستعمار ذعر وهلع ، وكيف انتاب القراصنة رعب وخوف . فتنادوا فيما بينهم، ودقوا طبول التآمر والفتنة ليئدوا تلك القوة الوليدة ، وليطفئوا ذلك النور الذى يوشك أن ينبثق فيبدد ما حاق بالعالم العربى من ظلمات مخيفة ، وخطوب مدلهمة ، وكان ان تغلبت الكثرة الظالمة على القوة الوليدة ، وتراجع الفجر ليتوارى بين اكمام الظلام الى حين .

وتذكر جمال عبد الناصر كيف جاءت الحملة الفرنسية تمنى نفسها بملك عريض ، ودولة لاتغيب عنها الشمس ، لكن الكفاح العربى فى القاهرة وفى الشام خيب آمال الغزاة، وقلم أظافر مطامعهم .فنابليون قاهر

أوربا ، وأمير الغزاة ولى وجهه شطر الشام فاستعصت عليه ، وارتد الى القاهرة فلم يهنأ فيها بمقام فرحل عنها يطوى جوانحه على أحلام ماتت وهى ما تزال جنينا ، ثم لحق به خلفاؤه يجرون أذيال الخيبة والهزيمة .

تذكر جمال عبد الناصر كيف مضى الكفاح العربى فى خط مستقيم، وحلقات متصلة ، كل حلقة تمهد لأختها .

رأى جمال عبد الناصر كيف يتبدد التراث الانسانى العريق ، وكيف تندثر المعالم التى قاومت الزمن وغالبت الايام .

وتذكر جمال عبد الناصر كيف اصطلح الاستعمار الغربى على الشرق العربى واقتسمه فيما بينه كالتركة التى لا وارث لها ، ولم تشفع لهذا الشرق حروبه الى جانب الغرب ، وحشد موارده المادية والبشرية ليكتب له النصر . تذكر اتفاق سايكس ـ بيكو (١) الذى اقام وسط الشعب المصرى الواحد ، والامة العربية المتحدة ، حدوذا مصطنعة ، وحواجز وهمية ليعزل الاخوة ، ويفرق الاشقاء ويحول دون انطلاق المارد العملاق .

تذكر جمال عبد الناصر ، وتذكر ، وتذكر ... كيف راح يؤمم مرافق بلده ، ويستغل خيرات وطنـــه ، وتذكر كيف طاش يومها حلم الاستعمار وضرب الشعب المصرى بلا هوادة ولا رحمة .. وتذكر كيف كان ايمانه ببلده وبقوميته ايمانا قويا راسخا تحطمت عليه نصـــال الغزو ، وارتدت دونه امواج العدوان العارمة .

تذكر جمال عبد الناصر هذا ، ولم ينس الشـعب المصرى كيف انتفضت ، حينذاك ، الروح العربية فى كل بقعة من بقاع العالم العربى ، وكيف هب الشعب السورى على بكرة أبيه يشد أزرنا ويقاسمنا أعباء الكفاح على حساب رزقه وقوته ، وعلى حساب مصالحه وحياة ابنائه .

فالشعب السورى خاض مع الشعب المصرى معارك ، وخضعا معا لحكم واحد .. فمنذ الفتح الاسلامى يسير الشعبان جنبا الى جنب تحت راية واحدة ، حتى بعد ان مزقت الدولة العربية الكبرى الى دويلات ظلت

---

(١) فى ١٦ مايو سنة ١٩١٦ عقد اتفـاق سرى بين بريطانيا وفرنسـا على تقطيع اوصال البلاد العربية ، وتقسيمها الى مناطق نفوذ بينها ، وسمى باسم المفاوضين اللذين ابرماه وهما مارك سايكس البريطانى ، وجورج بيكو الفرنسى ، واعتمدته روسيا فيما بعد . ولذلك يسمى ايضا الاتفاق الانجليزى الفرنسى الروسى .

مصر وسوريا تحت الحكم الطولونى ، والاخشيدى ، والايوبى ، وتحمل الشعبان معا أعباء معارك الحروب الصليبية (١) ٠

أجل ان تاريخ القاهرة فى خطوطه العريضة هو بنفسه تاريخ دمشق فى خطوطه العريضة ٠

لقد عرض السيد الرئيس صورة مجملة لتاريخ الوطن العربى فى كفاحه ، وابرز السيد الوزير الملامح الرئيسية لتلك الصورة ، وحول تلك الصورة وهذا العرض يدور موضوع كتابنا ٠

أحمد حسنين القرنى ــ عبد الحفيظ فرغلى القرنى

---

(١) ثبت من الوثائق التى كشف عنها فى اطلال مدينة أوغاريت بجوار اللاذقية أن علاقة ود وسلام كانت وثيقة بين مصر وسوريا منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد ٠

مصر فى مجال التاريخ

لم تحظ بلاد بعناية المؤرخين كما حظيت البلاد المصرية قديمــا وحديثا ، فقد أقبل عليها وفود الرحالة وجمــوع من الجوابين منذ اقدم العصور من مشارق الأرض ومغاربها ، وأمها كثير من المؤرخين ، والأدباء ، والفنيين ، والشعراء ، والعلماء فى مختلف العصور والازمان ، وأرخوا لها وذكروا محاسنها ، وسجلوا انطباعاتهم عنها بكل لسان ، وفى كل زمان ٠ لقد دون فيها كثير من الكتب مابين مطولة وموجزة ، وورد فى شــأنها كثير من مأثور الشعر والنثر ، مما اظهر فضلها ، وأبان عن محاسنها ، وجعلها درة فى جبين الأمصار والأقطار ٠

وما كان ذلك كذلك الا لأنها تبوأت منذ أقدم العصور عرش الحضارة فقد كان العالم يحبو وهى عروس المدنية والرقى ، وفى الوقت الذى كانت فيه الدول تتطلع الى بصيص من نور المدنية والعرفان كانت هى قد بلغت أسمى ما تتطلع اليه دولة فى العالم من التقدم والحضارة ، ولقد ظلت على طول المدى مشرق نور ، ومركز اشعاع ، ومعقد رجاء ومحط آمال ٠

مصر قبل الاسلام بين العروبة والفرعونية ٠٠

تناول الفتح العربى كثيراً من بلاد الدنيا واخضعها لسلطان العرب المسلمين ، فلم تعربت المناطق التى تمثل الوطن العربى الذى ننادى به الآن من الخليج الى المحيط ، ولم لم تتعرب مناطق أخرى كفارس والهند ، والقوقاز ، والاندلس ؟ ولم اندثرت لغات أو تحولت الى آثار تاريخيــة

كالقبطية والعبرية والسريانية فى حين ان لغات اخرى ظلت مع سلطان العرب عليها محتفظة بوجودها وبمقوماتها ؟

ليس ذلك فى رأينا الا لجذور قديمة تربط بين العرب الفاتحين والدول التى تعربت . وانعدام تلك الجذور من الدول التى استعصت على التعريب . ويعنينا من كل ذلك هنا أمر مصر أكثر مما يعنينا أمر غيرها .

لم ترتبط مصر بالعروبة منذ الفتح العربى فحسب ، ولكن يلوح لنا ان الرابطة كانت قائمة قبل هذا الفتح بعهود سحيقة ، وأزمان بعيدة ، ويذكر بعض قدامى المؤرخين ان « الهكسوس » أو « ملوك الرعاة » الذين أغاروا على مصر وحكموها فترة من الزمان فى العهد الفرعونى قدموا اليها من اليمن . ويقرر يوسيفوس المؤرخ الاسرائيلى المتوفى فى أواخر القرن الأول للميلاد نقلا عن مانيثون المؤرخ السكندرى أن هجرات عربية متلاحقة تمت على وادى النيل ، ومن هؤلاء المهاجرين الهكسوس وهم عرب سماهم المصريون « شاسو » أى البدو ، وكانوا يتنقلون فى صحراء مصر الشرقية ، واخيرا وصلوا الى الحكم ثم طردهم أحمس الأول سنة ١٧٣٠ قبل الميلاد ، ثم يقول ان هكسوس اصلها « هيك شاسو » أى ملوك البدو . ويذكر هيرودوت وبلينيوس أن الأقسام الشرقية من مصر ، وبخاصة المتصل منها بطور سيناء كانت مأهولة بقبائل عربية ، وان العرب كانوا يتجرون مع مصر ، وسهل رعمسيس الثالث ورعمسيس الرابع طرق القوافل بين مصر والبلاد العربية . وسواء أطالت مدة بقائهم فى البلاد أم قصرت فلابد أنهم تأثروا بها ، وأثروا فيها ، وتركوا اعقابا وأحفادا ، وكانوا عاملا من عوامل امتزاج الدم العربى بالدم المصرى منذ ذلك العهد السحيق (١) . وقد يكون ذلك علة كوننا نرى بعض قدماء المؤرخين يطلعون على فراعنة مصر اسماء عربية مثل مصعب . والوليد (٢) . وما نحسب انهم ساقوا مثل هذه التسمية اعتباطا .

وكتاب « قرة النفوس والعيون بسيرة ماتوسط من القرون » الذى ترجمه عن الفرنسية الاستاذ مصطفى سيد احمد الزرابى وراجعه السيد رفاعة الطهطاوى وطبع بمطبعة بولاق الاميرية سنة ١٢٦٢ قد جاء فيه ما يلى :

« فى سنة ٦١٠ م دارت الحرب بين الفرس والروم ، واستطاع

---

(١) « قصة الطب عند العرب » لاحمد حسنين القرنى .

(٢) انظر كتاب « بدائع الزهور فى وقائع الدهور » لابن اياس .

الفرس ان يستولوا على مدينة انطاكية ودمشق ، ثم تغلبوا على مدينة القدس وأعانهم على ذلك ستة وعشرون الفا من اليهود كانوا عازمين على اعادة دينهم الى هذه البقعة من الارض التى يعدونها ميراثا لهم عن سليمان وداود . ولما دخل اليهود والفرس تلك البقاع قتلوا من كان فى مدينة القدس من النصارى ، واحرقوا قبر المسيح ، وهدموا الكنائس واخذوا الصليب ، واعلن كسرى فى ثورة غضبه ونشوة انتصاره انه يريد اقامة دين المجوسية مكان المسيحية ، وكان لهذه الموقعة أثر فى الجزيرة العربية وفى مصر .

أما فى الجزيرة العربية فان اليهود فيها فرحوا بانتصار الفرس لأنه يمكن لهم من بيت المقدس ، واما عباد الاوثان والنار فقد فرحوا بهذا الانتصار للتقارب بينهم فى العقائد الدينية ، واما المسيحيون والمسلمون فى مصر والجزيرة العربية ـ وكان الاسلام ما زال فى أول امره ـ فقد حزنوا لذلك اشد الحزن ، وجاء القرآن الكريم يسرى عنهم بقوله فى سورة الروم : « الم ، غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ، فى بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » .

واما اثره فى مصر فان وصول الفرس الى بيت المقدس أتاح لهم اجتياح مصر ، ثم انسابوا منها الى المغرب ..

وقد اثبت التاريخ فى كل أطواره مابين مصر وباقى أجزاء الوطن العربى من وحدة المصير ، فان جاء العدوان من الشرق وتمكن من الشام فسرعان ما يتجه نحو مصر كما فعل الفرس والتتار ، وان جاء العدوان من الغرب وتمكن من مصر فسرعان ما يتجه نحو الشام كما فعل الرومان وكما فعل نابليون . لقد فهم الاسكندر المقدونى أهمية ما بين مصر والشام من ارتباط فلم يكتف باحتلال الشام ، ولم يقبل ما عرضه عليه داريوس الثالث ملك الفرس من تقديم احدى بناته لتكون زوجا له ، كما عرض عليه اقتسام الملك معه ، ولكن الاسكندر أبى كل ذلك وتابع سيره الى مصر وفتحها ، وبنى مدينة الاسكندرية .

والرومان كذلك خاضوا أشد الحروب ضراوة للاستيلاء على مصر والشام .

والعرب المسلمون لما منحهم الاسلام تلك القوة التى طردوا بها الروم من الشام لم يقفوا عند هذا الحد بل قدموا الى مصر ، ثم اتجهوا الى الغرب العربى .

ولما هاجم التتار بغداد وخربوها ، وقضوا على معالم الحضارة فيها أرادوا بعد ذلك أن ينسابوا الى المغرب لولا أن تصدت لهم مصر واستطاعت ان تقي المدنية العالمية من بربريتهم .

ولم تغب حقيقة ما بين مصر والشام من ارتباط عن نابليون فانه ما كاد يدخل مصر حتى اتجه نحو الشام .

هذه التجارب المتعددة التي مرت بها أجزاء الوطن العربي ، وهذه الآلام المشتركة التي تحملوها عبر التاريخ ، والتي تدل على مبلغ ما بينهم من وحدة طبيعية هي التي أملت على الشاعر العربي الكبير أمير الشعراء احمد شوقي ان يقول :

قد قضى الله أن يؤلفنا الجر ح ، وأن نلتقي على أشجانه
كلما أن بالعراق جريح لمس الشرق جنبه في عمانه
وعلينا كما عليكم حديد تتنزى الليوث في قضبانه

وهي التي أوحت كذلك الى الشاعر العربي المرحوم علي الجارم ان يقول في الوطن العربي :

اذا عددت راياته فهي راية وان كثرت اوطانه فهي موطن
فليست حدود الأرض تفصل بيننا لنا الشرق حد ، والعروبة موقع
تذوب حشاشات العواصم حسرة اذا دميت من كف بغداد اصبع
ولو صدعت في سفح لبنان صخرة لدك ذرا الاهرام هذا التصدع
ولو بردى أنت لخطب مياهه لسالت بوادي النيل للنيل ادمع
ولو مس رضوى عاصف الريح مرة لباتت له اكبادنا تتمزق
أولئك أبناء العروبة مالهم عن الفضل منأى او عن المجد منزع
همو في ظلال الحق جمع موحد وعند التقاء الرأي فرد مجمع

فالوطن العربي بين أجزائه وحدة من صنع القدر ، والعرب في كل مكان أمة واحدة ، وهذه كما يقول الرئيس جمال عبد الناصر في احدى خطبه :

« حقيقة مؤكدة لاينقضها دعوى مدع في الشرق ولا في الغرب ، فالمواطن في مصر اخو العربي في نجد ، وفي صنعاء ، وفي دمشق وبيروت ، وفي الدار البيضاء من أقصى المغرب .

« أبونا واحد ، وان زعم من زعم اننا لآباء ، ووطننا واحد وان حاول الاستعمار بوسائله أن يجعلنا أوطانا ، وهدفنا فى الحياة واحد ، وان جهل باحث فى الشرق أو فى الغرب ، وعمى أو تعامى عن الحقيقة الواضحة » .

من أبو العرب جميعا ؟

أبو العرب جميعا اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام .

واسماعيل من أم مصرية هى السيدة هاجر ، وهى من قرية مصرية كانت أمام الفرما .

ويروى ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « اذا فتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما » وقيل : « لكم بهم نسبا وصهرا » وسأل محمد بن مسلم عن الرحم فقيل له كانت هاجر أم اسماعيل منهم ، والعرب كلها من اسماعيل ، واسماعيل ابو العرب كلها ومنهم قحطان . وأما الصهر فذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اهديت اليه السيدة مارية القبطية فتزوج منها ، وأنجبت له ابنه ابراهيم الذى قبضه الله طفلا ، ومارية من قرية فى الصعيد كانت تسمى حفن (١) .

واذا كانت الأصول والفروع قد ربطت ما بين مصر والعرب منذ ما قبل الاسلام ، واذا كان بعض العرب الذين استجابوا لدعوة النبى ودخلوا فى الاسلام قد ارتادوا مصر متجرين فى جاهليتهم ، وأحسوا بما يقرب بينهم وبين المصريين مثل عمرو بن العاص فهم لذلك قد أخذوا يزينون لعمر بن الخطاب ان يفتحها حتى استجاب ، وأوفد عمرا ليفتحها ، ورحب به المصريون ، واتفقوا معه سرا على ان يعينوه على الرومان لا للخلاص من ظلم الرومان وقسوتهم فحسب ، ولكن ايضا استجابة لنداء صلة القربى التى عبر عنها النبى عليه الصلاة والسلام بقوله ان بيننا وبينهم صهرا ونسبا .

وافسحت مصر صدرها للقبائل العربية التى وفدت اليها ، وتم امتزاج العنصرين امتزاجا كاملا ، وكملت عروبة مصر منذ ذلك الحين السحيق بعد أن كانت قد بدأت قبل ذلك بكثير ، والى هذه الحقائق التاريخية يستند **الرئيس جمال عبد الناصر** فى كثير من خطبه وأحاديثه عن الوحدة العربية ، فهو مثلا يقول فى خطاب له ألقاه على كبار علماء اليمن فى ٢٥ ابريل سنة ١٩٦٤ :

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام — الجزء الاول .

« ••• لم نكن نشعر اننا نحارب فى بلد غريب ابدا •• اننا نحارب فى بلد عربى •• ففى مصر تجدون عائلات وبلادا أتت من اليمن ومن شبه الجزيرة العربية واستقرت فى مصر ، وعندنا فى الصعيد هناك : بنى مر من قبائل مر ، وهناك بنى محمد ، وهناك بنى حسين ، وهناك بنى عدى•• وإننا نمثل بهذه الوحدة العربية الحقيقية ، لافرق بين بلد عربى وبلد عربى • ولا فرق بين مواطن عربى ومواطن عربى ••• »

منذ سنة ١٩٢٩ بدأ الكشف عن آثار مدينة قديمة تسمى «أوغاريت» تجاور مدينة اللاذقية بسوريا • وبين أطلال هذه المدينة عثر المنقبون على مئات من الوثائق السياسية والأدبية والدينية والاقتصادية ، ويستفاد منها أن علاقة ود وسلام كانت تقوم بين هذه المدينة وبين مصر القديمة من جانب • وبينها وبين الحيثيين من جانب آخر ، وأنه قد كانت لها أبجدية تتكون من ثلاثين حرفا بينها وبين أبجدية اللغة العربية شبه كبير مما فهم منه الأثريون والباحثون أن سكانها من أصل سامى ، وأن موطنهم الأول كان الجزيرة العربية ، وأنهم هاجروا فى موجات الهجرة القديمة كما هاجر اخوة لهم الى مصر ، وأن هذا هو سر ظاهرة مابين أسلوب أوغاريت واسلوب مصر القديمة فى النحت والتماثيل ، وأن سر ما بينهما من صلات وثيقة فى الحضارة يرجع الى ما كان بينهما من صلات وثيقة فى الأصول (١)

---

(١) اقرأ فى هذا المقال الاستاذ عبد القادر الريماوى بالعدد السابع من المجلد الثالث عشر من مجله « قافلة الزيت » •

مصر فى معترك الاحداث

من القواعد التى استقرأها العلماء ان كل جنس تتفتح طبيعته على السلبية ، وتنأى عن الايجابية ، وتنعدم فيه خصائص المحافظة على بقائه حيث كان ، ويتقبل الاندماج مع واقعية الحياة ، ويذوب فى التطور الفكرى والحياتى للآخرين دون ان يحفظ نوعيته الجنسية ... الجنس الذى يكون كذلك لا يمكن ان يكون عنصرا متفاعلا مع الحياة ، أو ان يكون جنسا مستقلا له خصائصه ومميزاته التى يمكن ان تكون مبررا لبقائه واسهامه فى البناء الاجتماعى للمجموعة البشرية ...

والطبيعة العربية فى مصر ليست كذلك ، فقد ارتبطت مع أرضها ارتباطا وثيقا ، وعملت على ادماج الجنس مع التطور الواقعى ، ولكنها حفظت خصائص الفرد فى عناد ، فلم تقبل ان تذوب شخصيتها المستقلة مع الافضل ، بل فرضت شخصيتها على الغالب ، ولم تفن شخصيتها فيه ، فبالرغم من تعاقب المتقلبين عليها ظلت محتفظة بخصائصها الاصلية (١) .

ان مصر بما ميزها الله به من خصوبة الارض ، وكثرة الخيرات ، وجمال الطبيعة ، واعتدال المناخ ، والمهارة فى الفن والعمل والتشييد والبناء .. بسبب هذه المميزات التى أسبغها الله عليها لم تخل من طمع الطامعين فيها ، ورغبة المستعمرين فى أن ينالوا منها ، ويستغلوا خيراتها ، ويسرقوا منها حضارتها ، ويجعلوها دولة تابعة لهم ، أو دائرة فى فلكهم ...

---

(١) انظر كتاب « نظرات فى الايديولوجية العربيه » للاستاذ غالب عبد الرازق – سلسلة كتب قوميه .

ولكنها ظلت صامدة فى وجوه الغزاة ، رافعة راية العزة والكرامة · ولم يتمكنوا من التأثير فيها ، ولكنها هى التى أثرت فيهم ، ومع أنهم رفعوا رايتهم عليها حينا من الدهر فانهم عجزوا عن التغلب عليها ، واذا كان المصريون بحكم القوة وفعل الظروف قد آثروا التسليم أحيانا فانهم لم يستسلموا أبدا ، وقد أحسن الرئيس السيد جمال عبد الناصر التعبير عن ذلك اذ يقول : « نحن نسالم ولا نستسلم » ·

لم يستطع مستعمر أيا كانت قوته أو سلطانه أو دهاؤه ومكره أن يمكن لنفسه فى مصر ، فما يكاد يشعر أنه تمكن حتى يجد نفسه أمام ثورة عارمة سدت عليه منافذ الأمل ، وأرغمته على الفرار من الديار ، والخروج منها يجر وراءه أذيال الخراب والعار ··

لقد تعرضت مصر فى أقدم عصورها لغزو الهكسوس أو الرعاة الذين وفدوا اليها من الشرق والذين تضاربت الآراء فى أصلهم ومنبتهم · وبما فيهم من جفاء وغلظة تمكنوا من أن يقيموا لأنفسهم حكما فى ربوع البلاد المصرية ، وحملوا حكام طيبة على الفرار الى بلاده النوبة ··· ولكن مالبث المارد المصرى أن هب من غفوته وأذاق هؤلاء المستعمرين صنوفا من التنكيل والتعذيب ، وطردهم من البلاد شر طردة ، وأثبت شعب مصر اسمه بذلك فى سجل الخلود ، اذ كانت أول دولة فى التاريخ هبت لمقاومة المستعمر ، والوقوف فى وجه أغراضه ، والحيلولة بينه وبين أهدافه الخبيثة ، لقد كانت تستطيع ان ترحب بهم اخوة مواطنين ، ولكنها ترفضهم مستعمرين أو فاتحين ·

وكما قضت على الهكسوس فى أيام أحمس الاول والثانى والثالث وقفت كذلك فى وجه هجوم عنيف قام به حلفاء من شعوب جنوبى أوربا وجزر البحر الابيض المتوسط أيام رعمسيس الثالث فى الأسرة العشرين ، وتمكن الشعب المصرى من مقاومة هذا العدوان والقضاء عليه والتخلص من آثاره ···

تآمر الصليبيين على مصر العربية

يقولون « ان الامور بخواتيمها » يعنون بذلك ان النتائج المترتبة على عمل ما هى التي يعول عليها للحكم على مدى ما أحرزه هذا العمل من نجاح أو اخفاق ٠ والحروب الصليبية التى حشد لها المستعمرون الغربيون ماوسعهم من جنود وأسلحة وأمتعة ، واشترك فيها الملوك والأمراء بأنفسهم ليرفعوا من الروح المعنوية فى نفوس جنودهم ، وثابروا على ذلك عدة قرون ٠٠٠ هذه الحروب التى خاضها الاستعمار بضراوة واستماتة قد منيت بالهزيمة المنكرة والاخفاق المزرى بعد الجهود الجبارة التى بذلها الدخلاء وصنائعهم ، وانتهت بطرد الصليبيين طردا تاما من الشام ومصر ، وبعودة الأرض الطيبة الى أصحابها ٠

تلك الهزيمة الشنعاء التى منى بها المستعمرون الصليبيون قد تكون لها أسباب متعددة ، ولكن مهما تعددت تلك الأسباب فيجب ألا يعزب عن بالنا أن من بينها سببا رئيسيا هو وعى الشعب العربى ، ذلك الوعى الذى سما على كل أساليب الدس والوقيعة والتفرقة التى جهد الغربيون الطامعون فى نشرها بين ربوع الوطن العربى المستهدف للاخطار ٠٠ نعم ان الصليبيين نجحوا احيانا فى احداث ثغرات فى الصف العربى ، وتمكنوا من التفرقة بين الاخوة بأن خوفوا بعض الحكام من بعض ، وأثاروا بعضهم على بعض ، غير أن ذلك لم يستطع الثبات أمام ايمان العرب بوحدة الهدف ، لأنها وحدة تستمد كيانها من شعور الايمان بالله ، ومن شعور الايمان بالحق ٠

لقد استطاع الصليبيون مثلا اغراء الصالح اسماعيل صاحب دمشق بالانضمام اليهم ، وخوفوه من اخوته المصريين ، وما زالوا به حتى تآمر معهم على غزو مصر (١٢٤٠ ــ ١٢٢٤م) وأعد جيشا من أهل الشام وسار به مع جيش الصليبيين ليغزوا أرض النيل ، ولكن حدثت المفاجأة التي اذهلت هذا الحاكم الخائن ، وأذهلت الصليبيين الذين استدرجوه ، ذلك أن الجيش العربي الشـــامي لم تكد تلوح له غزة ، ولم يكد يرى أمامه اخوته في الجيش العربي المصري حتى انفض من حول هذا الحاكم الخائن لعروبته وانضم الى الجيش العربي المكافح عن حرية الوطن ، والمدافع عن الارض الحرام . « وانساقت عساكر الشام الى عساكر مصر طائعة ، ومالوا جميعا على الفرنج فهزموهم » (١) .

ولعلك ترى في هذا الحادث ملامح مما جرى ويجرى الآن في اليمن اذ يقوم بعض الحكام الذين باعوا أنفسهم للشيطان كحاكم بيحان بارسال بعض قواتهم لضرب الثوار . الأحرار الذين يجـــاهدون في ســـبيل حق الشـــعب اليمنى العربي في الحرية والـــكرامة ، ولـــكن تلك القوات التي يرسلها حليف الشيطان تأبى ان تضرب اخاها العربي الحر ، بل تنضم اليه . وتؤازره . وتكون له لا عليه .

ان الشعب العربي في مصر ، والشعوب العربية في كل مكان ــ (اذا استثنينا بعض ذوى النفوس المريضة من طبقة الحـــكام) ــ هذه الشعوب العربية كانت تسير دائما في تيار الوحـــدة ، وكما يهدأ التيار حينـــا ، وينشط أحيانا بفعل تقلبات الجو ، كذلك تبدو تلك الوحدة عبر التاريـــخ فاترة حينا ونشيطة أحيانا ، وسواء أكان هـــذا التيار نابعا من الفرات وممتدا الى النيل كمـــا حدث خلال القرن الثـــاني عشر ، أم كان نابعـــا من النيل وممتدا الى الفرات كما هو الواقع الآن فالذى يعنينا هو أن الوحدة ماثلة في الاذهان . ونابعة من قلب الوطن العربي . وليست نزوة طارئة ، ولا شـــيئا مدخولا أو مفروضـــا على العرب في حلف أو معاهدة لا تبغى الا خدمة اغراض الأجنبي وتنفيذ مشروعاته الخبيثة ، وكل وحدة تنبـــع من الضمير . وتنبثق من واقع حياة البلاد لابد أن تنتصر ، وتحقق أهدافها مهما تكن العقبات التي تعترض سبيلها .

ان في الحروب الصليبية لعبرة أي عبرة ، وان فيها لدرسا أي درس .

---

(١) كتاب « السلوك لمعرفة الملوك » للمقريزى ، و « النجوم الزاهرة » لابن تغرى بردى .

فيها عبرة لبعض المارقين من أبناء الشعب العربى ممن يشترون الضلالة بالهدى ، والعذاب بالمغفرة ، ويبيعون أنفسهم لعدوهم وعدو وطنهم ، وفيها درس لمن تستذلهم شهوات السيطرة ، وتغويهم مظاهر القوة فيسيطرون على غيرهم ، ويحسبون انهم أولو قوة وبأس شديد ، وانهم بقوتهم وبأسهم سينتصرون ، ثم لا يلبثون أن يجدوا أنفسهم قد خدعوا وغلبوا « وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون » .

ومكان العبرة ، وموضع الدرس فى الحروب الصليبية .. هو ذلك التوافق الشديد بين أجزاء الوطن العربى الكبير ، وتلك الاستجابة السريعة التى أحس بها كل عضو من أعضاء ذلك الجسد نحو الأعضاء الأخرى فيه ، فلم تكد جيوش الصليبيين تستقر فى الشام حتى خرجت جيوش العراق لمنازلة هؤلاء الغزاة المعتدين ، ولم يكد ... الصليبيون يتحركون صوب مصر حتى نرى جيوش الشام تسارع الى الذود عنها ... ثم نرى صلاح الدين الايوبى حين ثبتت أقدامه فى مصر قد عمد الى تسخير جميع مواردها وطاقاتها لطرد الصليبيين من الشام . ولما تحرك أرناط حاكم الكرك فى البحر الاحمر يقصد تهديد مكة المكرمة وبيت الله الحرام فيها شيدت السفن فى مصر ، وحملت أجزاء على ظهور الجمال الى البحر الأحمر لدرء الخطر عن الأرض المطهرة ، ولما جاءت الى القاهرة أخبار تفيد ان لويس التاسع عشر ملك فرنسا قد نزل سنة ١٥٧٠ على رأس جيش لاحتلال تونس اتخذت فى مصر اجراءات سريعة لدفع عادية البغاة (١) .

أليس هذا الذى حدث فى أثناء الحروب الصليبية دليلا قويا واضحا على أصالة الوحدة بين الشعوب العربية فى كل مكان ؟ أليس هذا دليلا على أن الشعب العربى كله يحس باحساس واحد ، ويتحرك نحو هدف واحد ؟ .. « ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » .

عند مجىء الحملة الصليبية الأولى الى الشام سنة ١٠٩٧ « كانت مصر دولة ضعيفة تحكمها خلافة منحلة ، ولا تشكل خطرا كبيرا على الصليبيين ، ولكنها بسرعة تحولت منذ سنة ١١٦٨ الى مركز للمقاومة الاسلامية فى الشرق الأدنى ضد الخطر الصليبى ، وصارت القلعة المنيعة التى خرجت منها جيوش الأيوبيين للقضاء على ذلك الخطر ، والمخزن الكبير الذى أمد زعماء حركة الجهاد بالموارد البشرية والمالية الضخمة اللازمة

---

(١) انظر كتاب « الحركة الصليبية » للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور الجزء الأول .

لتنفيذ مشروعاتهم ضد الصـليبيين ، والقلعة الحصينة التى نفذت منهـا جيوش الأيوبيين ثم المماليـك لتقضى فى النهـاية على البنـاء الذى أقامه الصليبيون وسط محيط اسلامى واسع غريب عنهم، وهم دخلاء عليه »(١)
واذا تأملنا وضـع اسرائيل اليوم حق لنـا أن نقول ·· ما أشـبه الليلة بالبارحة ، واذا كانت المقدمات المتشابهة توصل الى نتائج متشابهة ، جاز لنا أن نقول : ان غدا لناظره قريب ·

(١) انظر كتاب الحركة الصليبية للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ـ الجزء الثانى ·

(٢) انظر كتاب الحركة الصليبيه للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ص ١١١٢ وما بعدها·

درس فى الوحدة العربية

من الغزو التتارى ..

كان الغزو التتارى نكبة كبرى على العالم العربى خاصة، وعلى العالم الاسلامى عامة ، .. كان نكبة على العلم والأدب والفن ، راحت ضحية له مكتبة بغداد التى كانت أغنى مكتبة فى العالم بذخائر الكتب من علمية وأدبية وفلسفية : الكتب التى حفل العصر العباسى بتأليفها وترجمتها ، والتى قيل فى بعضها أن المأمون كان يرسل الوفود لجمع ذخائر كتب اليونان والرومان ويعطى كل مترجم مجيد وزن كتابه ذهبا .. هذه المكتبة قضى عليها حرقا واغراقا .

هذا الغزو البربرى على ما فيه من شرور كان مظهرا من مظاهر الوحدة العربية ، وآية من آيات القومية العربية ، ونحن هنا نعرض صفحة من تاريخ هذه الحرب نستخلصها مما كتب الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور (١) .

قدم هولاكو التتارى الى غربى آسيا لفتح غرب ايران والشام ومصر وبلاد الروم وكان متزوجا من سيدة مسيحية نسطورية متعصبة وذات نفوذ عليه ، وأمه كانت كذلك نسطورية لهذا كان متعصبا للمسيحيين من نساطرة ويعاقبة وأرمن ، وكان شديد الوطأة على المسلمين عامة ، والعرب منهم خاصة ، وأوقع الهزيمة بكل من قصد اليه من حكام البلاد ،

---

(١) كتاب « الحركة الصليبية » .

وطلب من الخليفة المتعصم بالله العباسي (١٢٤٢ ـ ١٢٥٨م) الاعتراف بسيادة المغول فأبى ، ولهذا أعلن هولاكو الحرب عليه ٠

وفي نوفمبر سنة ١٢٥٧ بدأ غزو المغول للعراق ، وفي سنة ١٢٥٨ التقت الجيوش المغولية بجيش الخليفة العباسي شرقي بغداد ، وتمت الغلبة الساحقة للمغول اذ فر الخليفة العباسي وجيشه فكان المغول أسرع اليهم من نرارهم، ففتكوا بالجيش وقتلوا الخليفة وكما يقول أبو الفداء دام القتل والنهب في بغداد نحو أربعين يوما، وبعد أن فرغوا من نهب المدينة أشعلوا فيها النار ، وكان من أفدح ما نكبت به بغداد ضياع مكتبتها التي كانت أغنى مكتبة في العالم بذخائر الآداب والعلوم والفنون ، واستطيرت قلوب حكام مختلف بلاد الشرق العربي ، وتساقطوا بين يدى هولاكو في فزع يعلنون له ولاءهم وخضوعهم ، ويرحبون به ، مكرهين ، في بلادهم ٠ وحيثما حل في مكان أشاع القتل والسلب والنهب في الرعايا المسلمين دون المسيحيين من النساطرة واليعاقبة والأرمن ، أما المسيحيون من غير هؤلاء فكان نصيبهم نصيب المسلمين ٠

سقطت في يده بغداد التي طالما قاومت البيزنطيين في القرن العاشر، وصمدت للصليبيين في القرن الثاني عشر ، ولكنها تهاوت أمام المغول ٠

أخذت حصون الشام تستسلم حصنا في اثر حصن ، وفر ملك دمشق ، وخرج وفد من أعيانها وقابلوا هولاكو وسلموه مفاتيح أبواب المدينة ، وحملوا اليه أنواع التحف والهدايا ، وبذلك استطاع المغول فتح بلاد الشام الاسلامية في أسابيع » ولم يبق خارج حكمهم في الجانب الشرقي الا الديار المصرية ، والحجاز ، واليمن » (١) ٠

وقام هولاكو وهو في بلاد الشام بارسال انذار الى السلطان قطز في مصر يطلب منه الاستسلام ، ويقول له في رسالته : « ٠٠٠ وقد سمعتم أننا فتحنا البلاد ، وطهرنا الأرض من الفساد ، وقتلنا معظم العباد ٠ فعليكم بالهرب وعلينا الطلب ٠ فأى أرض تؤويكم ؟ وأى طريق ينجيكم ؟ وأى بلاد تحميكم ؟ فما من سيوفنا خلاص ، ولا من مهابتنا مناص ٠٠ » (٢) ٠

استقر رأى المماليك على المقاومة فقتلوا رسل هولاكو ، وعلقوا رءوسهم على باب زويلة، ووصل المغول فيغاراتهم الى غزة والخليل فقتلوا، وأسروا ، وسلبوا ٠٠٠

---

(١) « النجوم الزاهرة » الجزء السابع ٠

(٢) انظر كتاب « السلوك لمعرفة دول الملوك » للمقريزى ٠

وفى أواخر يوليه سنة ١٢٦٠ كان السلطان قطز قد أتم استعداداته .. فتحركت قواته الى غزة بقيادة الأمير بيبرس البندقدارى ، وقد تمكن من دخول غزة والسيطرة عليها .

أحدث هذا الانتصار المبدئى رد فعل عند العرب فى كافة المدن الشامية التى خضعت للمغول وعملائهم من النساطرة واليعاقبة والأرمن . فثاروا ضد المغتصبين والعملاء ، وهجموا على دورهم ونهبوها . ولكن « قطز » أمن الصليبيين وسالمهم، وسار حتى التقى بالمغول عند قرية « عين جالوت » وفى الثالث من سبتمبر سنة ١٢٦٠ دارت المعركة الخالدة التى أثبتت اثباتا قاطعا أن مصر قلب العروبة النابض ، وحارس حرية الوطن العربى اليقظ .

ويروى المقريزى أن جيش قطز قد اضطرب فى أول المعركة ، واذا قطز يلقى بخوذته عن رأسه ، ويصرخ بأعلى صوته « وا اسلاماه » ثم حمل بنفسه على العدو ... وبذلك تم القضاء على المغول ، وولوا الادبار بغير نظام (١) .

ان المغول لو أنهم تمكنوا من مصر لأنسابوا الى المغرب ، والى غرب أوربا ، ولقضوا على معالم الحضارة فى كل مكان يقع تحت وطأتهم كما فعلوا فى بغداد ، ولكن مصر وقت الوطن العربى ، ووقت العالم الاسلامى، ووقت الحضارة الانسانية كلها من هؤلاء المعتدين .. ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب ، أو القى السمع وهو شهيد .

---

(١) كتاب « النجوم الزاهرة » وانظر كتاب « ارض المجد » للاستاذ احمد يوسف .

مكانة مصر العلمية قديما

كما أثبتت مصر جلدا ، وصلابة ، وقوة عزيمة في الحروب أثبتت أيضا مكانتها العلمية بما كان لها من قوة في ميادين العلم والعرفان تصدرت بها العالم وأثبتت بها وجودها التاريخي . لقد كان للعبقرية المصرية القديمة آثار مشهودة تنطق بها تلك الآثار الخالدة المنبثة في ربوع الوادي . وفي أغلب عواصم العالم .

ألم تزر مقبرة أو معبدا من مقابر أو معابد قدماء المصريين ؟ ان لم تكن قد فعلت فاسأل من زارها يحدثك عن الألوان البارعة التي تمت بها نقوشها ، وكيف تبدو وكأنما نزل عنها الطلاء لتوه على رغم آلاف السنين التي عاشتها ؛ أليس ذلك يدل على مبلغ ما وصلوا اليه من دراية علمية وفنية ؟

وتلك الاجساد المحنطة التي اعجزت البلى آلاف السنين أليست دليلا على مبلغ ماوصلوا اليه من براعة في الطب والكيمياء ؟

ألا يكفي لاظهار مكانتها العلمية قديما أنها أول بلد في العالم عرف نظام الجامعات فأقامت جامعة عين شمس منذ أكثر من ستة آلاف عام ، وكان مقرها عين شمس أو «أون» كما كانت تسمى في المصرية القديمة(١) ثم ألم يتحدث التاريخ عن أن هذه الجامعة قد أمها طلاب العلم من كافة أنحاء العالم ، فأفاد منها الاغريق واستمدوا منها قواعد الفلسفة التي

---

(١) انظر كتاب « على هامش التاريخ المصرى القديم » لعبد القادر حمزة .

عرفوا بها ولقد كانت هذه الجامعة ملحقة بمعبد الشمس الذى بقيت من آثاره « المسلة » القائمة الآن بضاحية المطرية ، والتى تعرف باسم مسلة فرعون ٠

وقبل ميلاد المسيح بنحو خمسة قرون أنشئت جامعة أخرى هى جامعة الاسكندرية وكان الراغب فى الالتحاق بهذه الجامعة أو تلك يجب أن يجتاز امتحانا عسيرا لمعرفة مدى قدرته وكفايته،ولابد من هذا الامتحان أيا كان شأن المتقدم ، وأيا كانت شهرته العلمية ، حتى فيثاغورس « أشهر واضعى قواعد الرياضة » لم يستثن من هذا الامتحان على رغم ما عرف عنه من البراعة وسعة العلم ٠ وكان ممن وفدوا اليها وتتلمذوا على أساتذتها الفليسوف اليونانى « أفلاطون » ولم يغادرها الا بعد أن نشبت حرب كورنثية بين اسبرطة وأثينا سنة ١٣٩٥ قم وناصر « نفريتس » ملك مصر السفلى اسبرطة ضد أثينا وكان علماء مصر يومئذ موضع كل تكريم وتقدير ، اعترف لهم بالفضل كل قاص ودان ٠

وكما كانت مصر سابقة فى انشاء الجامعات كانت سباقة كذلك الى انشاء المكتبات العامة ، فأنشأت أول مكتبة سجلها تاريخ العالم ، وهى مكتبة مصر بجامعة عين شمس وكان يتردد عليها الراغبون فى الاستزادة من العلم ، وتلاها انشاء مكتبة الاسكندرية التى أحرقت وتجنى مؤرخو الغرب المعادون للعرب على عمرو بن العاص فنسبوا الحريق اليه وهو منه براء كما أثبت المنصفون من العلماء والمحققين ٠

لقد سبق المصريون غيرهم الى معرفة كثير من العلوم والفنون ، واكتناه أسرارها نظرية كانت أم علمية ، وهم أول شعب عرف التقويم واستخدمه (١) ، واتقنوا الطب والفلك ، وبرعوا فى الجراحة والكيمياء ، والصيدلة ٠ وكشفوا عن المعادن وجلبوها من شتى البلاد واحسنوا تصنيعها والانتفاع بها ٠ واهتدوا الى التوحيد ، والى الايمان بالآخرة ، وأوصوا بالأخلاق الحميدة والسلوك الطيب فى الحياة ٠

وخبت جذوة النشاط العلمى فى ظل الاحتلال الرومانى ، ولكن ظلت لمصر خصائصها حتى تسلمها الفتح الاسلامى ، فسارت فى الركب العربى الصريح ، فلما سقطت بغداد فى يد التتار وسقطت الأندلس فى يد الاسبانيين لم يجد علماء هذين الموطنين ملجأ لهم الا مصر فاقبلوا اليها مهاجرين ، وأفسحت لهم صدرها ، ورحب بهم علماؤها وأخذوا

---

(١) انظر كتاب « على هامش التاريخ المصرى » لعبد القادر حمزه ــ المرجع السابق ٠

يعملون على تعويض الكتب التى ضاعت هنا وهناك فعكفوا على التأليف ، وأنتجوا كثيرا من أمهات الكتب الادبية والعلمية والتاريخية مما تزخر به المكتبة العربية اليوم ٠

لقــد كانت مصر ، وما زالت ، مكان هجـرة للعلمـاء وللمصلحين المضطهدين من كل بلد عربى كابن خلدون فى العصور المتوسطة ، والسيد عبد الرحمن الكواكبى ، والسيد جمال الدين الافغانى فى العصور الحديثة٠ وانك لترى فى الاسكندرية أسماء خالدة لكثيرين من أبناء المغرب العربى الذين وفدوا الى مصر وخلدت أسماؤهم فيها مثل : سيدى جابر ، وسيدى بشر ، وسيدى المرسى أبوالعباس ، ٠ وما أكثر من لجئوا اليها فى العصر الحديث فأوسعت لهم صدرها ، ووفرت لهم امكانات العيش فيها ، واعانتهم على مواصلة الكفاح لصالح أوطانهم ومواطنيهم ، لا غاية لها من ذلك الا القيام بواجبها كقلب للعروبة ٠

التقدم العمرانى فى مصر قديما

التقدم العمرانى فى البلاد المصرية قديما ليس فى حاجة الى دليل يثبته ، أو برهان يؤيده ، وكفى أن نتأمل ما دار وما يدور الآن فى أكثر عواصم العالم من دعوة حارة للاسهام فى انقاذ آثار النوبة الخالدة التى أصبحت تهددها مياه السد العالى ، ولولا مدلولها التاريخى العظيم ولولا شعور العالم بمدى فداحة الخسارة بفقدها ٠٠ لولا هـذا وذلك ما حفل علماء الآثار ورواد الثقافة فى كل بقعة من بقاع العالم بها ٠ وان العالم اذ يقدم فى سبيل انقاذها عشرات الملايين ليدل على أنها شىء يعتبر فقده خسارة لايمكن تعويضها ، وان مئات الملايين من الجنيهات تتدفق على مصر من أيدى السائحين الذين يفدون للاستمتاع برؤية ما خلف قدامى المصريين هذا الى أن علماء الآثار ما زالوا حتى اليوم يكشفون بين حين وآخر عن أثر جديد من الآثار المذهلة ٠

والقدامى والمحدثون يقولون ان عجائب الدنيا سبع هى : أهرام الجيزة ، والحدائق المعلقة فوق أســوار بابل ، وتماثيل الاله زيوس ، وتمثال الشمس فى رودس ، ومعبد ديانا فى أفســوس ، وضريح الملكة أرتمسيا ، ومنار الاسكندرية (١) وهناك من يجعل من العجائب السبع برج بيزا المائل ٠٠ وأيا كان عدد هذه العجائب فان من بينها أعجوبتين فى مصر وحدها هما . منار الاسكندرية الذى أنشىء سنة ٢٧٠ قبل الميلاد وظل

---

(١) تقول « دائرة معارف الشعب » فى العدد ٤٣ صفحة ٩٥ « ولم يبق من هذه العجائب السبع سوى الأهرام » ٠

قائما قرابة ١٥٠٠ عام ، والاهرام التى تحدت الزمن ، وقاومت الفناء .

لم يأخذ الليل منها والنهار سوى
ما يأخذ النمل من أركان يهلان (١)

التقدم الزراعى :

ان أقدم مؤرخ طاف ودون تاريخا هو هيرودوت المعروف باسم « أبى التاريخ » وحين تحدث عن مصر قال انها « هبة النيل » ولم يقل ذلك عبثا ، ولكن قاله لما وجده فى أرضها من جنات وأعناب ، وزرع ، ونخيل ، وأشجار طلعها كريم ، ولم يكن قد رأى أخصب أرضا ، ولاأنضر زرعا ، ولا أكثر تفننا فى الزراعة مما رأى فى مصر .

لقد عرفت مصر الزراعة منذ جرى فيها نهر النيل . ومنذ عاش فوقها الانسان ، وهى من أقدم الدول عراقة فى الزراعة عاشت لها ، وافتننت فيها .

وفلاحو مصر يعتبرون أقدم من استخدم المحاريث وآلات الرى ، وأول من حفر القنوات .

ويقول المؤرخون ان هذه الخطوة كانت هى الأولى التى هيأت للمدنية أن تظهر على وجه الارض . فالمدنية لم تطرأ على مصر ، أو لم تفد اليها من الخارج ولكنها بنت النيل وبنت مصر (٢) .

وتقدم الزراعة يصاحبه عادة تقدم تجارى واقتصادى ، اذ أن تقدم الزراعة يقتضى تصريف الفائض ، وتبادل السلع ، وابتداع العملة ، ونشوء الاسواق ، وقيام المدن التجارية . وحيث تتقدم الزراعة وتروج التجارة تقوم الصناعة ، وكل ذلك هو عناصر التقدم الاقتصادى الذى عاشته مصر من أقدم عصورها (٣) .

ان مصر ان لم تكن أقدم دول العالم حضارة وعمرانا ، فهى من أقدمها ، يصل عمرها الى ما يقرب من عشرة آلاف عام فى الحضارة والمدنية ، بل ان بعض المؤرخين يرجع بتاريخ حضارتها الى ما فوق عشرين ألف عام (٤) ، وكان يطلق عليها قديما اسم «كت » أى الأرض

---

(١) اسم جبل شامخ صخرى الحجارة ، والبيت للشاعر اسماعيل صبرى .
(٢) انظر كتاب « على هامش التاريخ المصرى القديم » لعبد القادر حمزة .
(٣) انظر كتاب « مصر الخالدة » لحسن جوهر .
(٤) انظر كتاب « مصر الخالدة » لأحمد يوسف وزكى سعد .

السوداء (١) لأن أرضها يغطيها الطمى الاسود الذى يجلبه النيل فيكسب الارض خصوبة وقوة ونماء ٠

ويروى المؤرخون أن شبه الجزيرة العربية كان فى زمن معين فى القدم أرضا خصبة ذات زروع ، وذات نماء ، وكانت مياهها كثيرة ، وغاباتها كثيفة ، وخيراتها وفيرة ٠ ثم شاء الله لهذا العصر الذهبى أن يتحول من حال الى حال ٠ فكما يقال ان قارة بأكملها غمرها المحيط الهادى ، واستقرت فى قاعه ، يقال كذلك شبه الجزيرة العربية كان خصبا منذ عشرة آلاف عام قبل الميلاد ، ثم انحبس المطر ، وانحسر ماء البحر حتى ضاق الخليج العربى الذى كان يمتد فى جوف الجزيرة الى مدى بعيد ، ويقدر علماء طبقات الارض أن مستوى سطح الماء قد هبط فى شبه الجزيرة زهاء سبعة وعشرين قدما خلال ألفى عام ، وكان من آثار ذلك أن تحولت التربة الزراعية الى رمال وتراب ، ثم الى صحراء ٠ وعندئذ هاجرت القبائل التى كانت هناك الى حيث تجد الخصب وتطيب الحياة ، ويروى أن كثيرين منهم قدموا الى مصر ، ومنهم ـ على قول بعض المؤرخين ـ الهكسوس أو الرعاة ٠ وهناك مؤرخون آخرون يقولون ان الهكسوس من الفينيقيين . والفينيقيون أصلهم من العرب ٠ ومن الامتزاج بين العرب المهاجرين وبين المصريين الاول نشأت الحضارة الفرعونية التى خلدها التاريخ (٢) ٠ وكذلك يقال ان هجرة العرب هى التى أنشأت الحضارة البابلية والحضارة الأشورية (٣) وتلك الهجرة أيضا هى التى انشأت الكنعانيين والفينيقيين فى سورية وسواحل البحر الابيض الشرقية ٠ وتوالت هجرات هؤلاء وأولئك الى مصر واندمجوا فى أهلها ، وأصبحوا جميعا شعبا واحدا هو شعب مصر ٠

واذن فالدم المصرى قد امتزج بالدم العربى منذ أقدم العصور ونتج عن ذلك الامتزاج شعب عريق ذو خصائص مميزة ٠

---

(١) أنظر كتاب أرض المجد الزكى سعد وأحمد يوسف ٠

(٢) انظر كتاب « دراسات للقومية العربية » لمحمد حربك ـ سلسلة كتب قومية رقم ٧٨ ٠

(٣) انظر الطبرى وابن خلدون ٠

شهرة مصر وعلاقاتها مع الدول قديما

مصر وقد حباها الله كل عناصر الثروة والغنى ، وهيأ أبناءها لل
والفن كان لابد لها أن تنال شهرة واسعة ، ويتردد اسمها في كل م
وترنو اليها كل عين ، ويجد في ربوعها كل مغـــامر وكل جواب ر
نفسه وهوى فؤاده • وقد كرمها الله سبحـــانه فجعلها مثابة لكثير
الانبياء والمفكرين ، فيها درس فيثاغورس ، وتعلم أفلاطون ، واليها
من الانبياء والرسل كثيرون منهم : ادريس النبى الذى وصف بأنه
أول مرتاد للطب في العالم ، وفيهم ابراهيم الخليل ، وابنه اسماعيل
العرب جميعا ، ومنهم يعقوب ويوسف والاسـباط الاثنا عشر ، و
لوط ، وموسى ، وهرون ، ودانيال ، وأرمياء ، والمسيح عيسى بن م
عليه السلام (١) •

وقد عقدت مصر من قديم الزمان أواصر الصداقة مع جـيرانه
وتذكر كتب التنظيم الدولى والقانون الدولى ان أول معاهدة سياسية مك
سجلها التاريخ كانت بين رمسيس الثانى والملك حتسولس الثالث م
الحيثيين •

وكان لجودة تربتها ، وخصوبة عقول أبنائها ، وسماحة نفوسهم
فى اقبال كثير من التجار والوفود والعلماء والحـــكماء عليها ، واقا
فيها ، واختلاطهم بأهلها ، والاصـــهار اليهم • وكثير من المضــطه
والمظلومين والمجاهدين فروا اليها فوجدوا فيها الملجأ الامين • وهنـ

---

(١) « حسن المحاضرة فى اخبار مصر والقاهرة » للسيوطى •

آخرون ضاقت فى وجوههم سبل الحياة ، أو جفت لديهم وسائل الرزق فوجدوا فيها العيش الرغيد ، والرزق الوفير ، واذا شئنا دليلا على ذلك وجدنا فى التواريخ المقدسة دليلا أى دليل ، وحسبنا فى هذا المقام قصة يوسف ، وقصة السيدة مريم وابنها المسيح عليهم السلام ٠

قدم يوسف الى مصر صـــبيا رقيقا « وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته اكرمى مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا (١) » وبعد أن تنبأ يوسف بسنوات قحط مقبلة تأويلا لرؤيا رآها الملك قال للملك « اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم (٢) » وجعله على خزائن مصر التى هى خزائن الارض ، وأصـــاب أرض آبائه واخـــوته ، ولم يجـــدوا مصدرا للقوت الا مصر « وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ٠ ولما جهزهم بجهازهم قال ائتونى بأخ لكم من أبيكم ، ألا ترون أنى أوفى الكيل ، وأنا خير المنزلين (٣) » وهكذا جاء أبنـــاء يعقوب الى مصر ، وطابت لهم الحياة فيها ٠

ومريم ابنة عمران حينما أحست بالحمل وهى عذراء هلعت وفزعت وانتبذت مكانا قصيا فلما أجاءها المخاض وولدت المسيح عيسى بن مريم ثار عليها اليهود وقذفوها بشر التهم وقالوا فيما قالوا : « يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ ســـوء وما كانت أمك بغيـــا (٤) » فصمتت فى حزن وألم ، وأنطقه الله وهو صبى فى مهده ليـــكون كلامه معجزة تقنعهم وتسكتهم ، ولكن اليهـــود ــ مع انهم كانوا يترقبون مـولده ــ ظلوا متعنتين ، وقد ائتمروا به ليقتلوه فخافت عليه الهلاك وفرت به الى مصر ولكنهم تبعوها ، وكادوا يدركونها لولا أن هيأ الله لها عند مدينة الشمس (عين شمس) دوحة عظيمة فى جذعهـا كهف أوت اليـه ، واختبأت فيه (٥) ٠

وقد أشار الله الى هذه القصة بقوله فى القرآن الكريم « وجعلنا ابن مريم وأمه آية ، وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين (٦) » قال سعيد بن المسيب وابن عباس ، ووهب بن منبه وغيرهم : هذه الربوة هى مصر (٧) ٠ وقال بعض علماء المصريين هى البهنسا ، والاجماع بين مؤرخى الاقباط

---

(١) ، (٢) ، (٣) « سورة يوسف » ٠

(٤) سورة مريم ٠

(٥) « مصر الخالدة » لحسن جوهر ٠

(٦) سورة المؤمنون ٠

(٧) « النجوم الزاهرة » والبهنسا قرية تابعة لمركز بنى مزار بمحافظة المنيا ٠

فى مصر أن المسيح وأمه عليهما السلام كانا فى البهنسا ، وانتقلا منها الى القدس (١) ٠

وقد اثبتت الوثائق القديمة التى عثر عليها المنقبون أن هناك رسائل دبلوماسية ، ومعاهدات ترجع الى سنة ١٢٨٠ قبل الميلاد ، وهى أول معاهدة وجدت كاملة بين كل ما وصل الينا من العصور القديمة ، وكانت بين رمسيس الثانى والملك حتسولس الثالث الذى كان يحكم منطقة حاتى . وتمتد من سوريا الى تركيا ، وتتضمن المعاهدة حلفا من الاحلاف العسكرية كما يعرفها الدبلوماسيون الآن ٠

---

(١) « النجوم الزاهرة » ــ والبهنسا قريه تابعة لمركز بنى مزار بمحافظة المنيا ٠

طبيعة الأمة المصرية

لبيعة الامة المصرية سر من اسرار خلودها ، وسبب من اسباب قوتها
لناس لها . ان الطبيعة المصرية ذات سمة خاصة يصعب التأثير
أو التحول عنها . ومن مظاهر هذه الطبيعة : البساطة ، واليسر ،
لمبالغة ، والصبر ، وقوة العزيمة ، والهدوء ، لكنها اذا ثارت فان
تكون عارمة لاتقف عند حدود أو سدود ، لأن صبرها لايكون عن
ولكنه عن حلم ، والحكماء يقولون : « اتقوا غضب الحليم » .

اذا كان للاخلاق والطباع صلة بالبيئة التاريخية والجغرافية فالامة
ورثت هذه الطبيعة عن حياتها الزراعية ، وعن طول مصاحبتها
واعتزازها بانها أمة ذات حظ موفور موروث من الحضارة القديمة
حياة مستقرة ، ومعيشة منتظمة ، ولا تلجأ الى الحرب حين تلجأ
لأنها ضرورة لامحيص عنها .

وهى لا تطيع حكامها كما يطيع البدوى زعيمه ، وانما هى أمة
العقائد والمأثورات ، وأصبح لها من بعض تلك العقائد تراث
وق صيانة المصلحة . فاذا دعاها الحاكم الى حرب لاتعنيها فذلك
بس بشأنها ، أما اذا أصيبت فى عقائدها وموروثاتها أو ظهر الجور
نها ومرافقها فهناك يستعصى قيادها ، وهناك تصمد للحرب .

و أحصيت الثورات فى تاريخ مصر القريب لما كانت أقل من
يرها من الأمم التى اشتهرت بالتمرد ، فقد ثار المصريون على
سيين وعلى الترك ، وعلى الانجليز فى نحو قرن واحد ، وكان

للموروثات والعقيدة دخل أظهر من دخل المصلحة والمرافق القوميـــة أو الفردية فى هذه الثورات ·

« وقدم العهد بالمدنية يطبع المصرى بطابع حب الأسرة ، واستقرار النظام البيتى ، ويثور ان تعرض ذلك الاستقرار للضياع ·

« والمصرى عملى فى حياته ، كما هو عملى فى النظر الى الحياة ، وهو صابر على العمل والمشقة فقد عودته المواسم الزراعية أن ينتظر كل شىء فى أوانه ، وهو لا يعجل بالشر ، ولا يندفع الى الانتقام ، ولـكنه يتأنى حتى تواتيه الفرصة ·

« وبراعة الحديث ولطف النادرة ، وحسن المؤانسة ليست بالخصال المستغربة فى أمة قديمة الحضارة عريقة الآداب (١) » ·

تلك الصفات فى مجموعها جعلت شعوب العالم تحب شعب مصر من قديم الزمان ، وتحب مصر من أجل شعبها ، ومن أجل ما تميزت به ، ومما يدل على أصالة تلك الصفات فيها أنها لم تتأثر بالفاتحين المتغلبين الذين تقلبوا عليها ، ولم تسمح لهؤلاء الفاتحين ان يطبعوها بطابعهم ، ولكنها هى التى أثرت فيهم ، وجعلتهم يتخلقون ببعض أخلاق أهلها ·

---

(١) من كتاب « سعد زغلول » للاستاذ عباس محمود العقاد ·

الوفادة الى مصر قديما وأسبابها

لمصر علاقات وثيقة مع جيرانها من قديم الزمان ، وتتبـــادل معهم الرحلات والتجارة والهجرة وطلب العلم • وحين انتصر الهكســـوس على ملوكها هاجرت الاسرة الملكية الى بلاد النوبة واستقرت هناك ريثما تتمكن من اعداد جيش تسترد به البلاد ، فلما تم اعداد جيش قوى قدم وطارد الهكسوس حتى طردهم ، وأقام المصريون فى بلاد النوبة حضارة واسعة، ونشروا علوما ومعرفة ، وتركوا آثارا رائعة خالدة ، وظلت عــلاقتهم مع بلاد النوبة علاقة حب وتقدير وولاء (١) ونزح الى مصر كثير من النوبيين، وعقدوا صفقات تجارية ، وأقاموا عــــلاقات ودية ، وأقاموا فى جنوب الوادى •

وكثير من القبائل المقيمة فى الاقاليم الشرقية المجاورة نزحت الى مصر حيث ازدهرت التجارة والصناعة ، وأنشئت السفن الكثيرة التى كان طول بعضها يبلغ أحيانا نحو ستين قدما ، ويعمل فى بعضها أكثر من مائة مجداف ، وقد كانت هذه السفن تحمل المصنوعات ومحصول الزراعة من مصر واليها حتى وصلت فى معاملاتها التجارية الى الاناضول (٢) •

وفى عهد « رع » ازدهرت البلاد وأمها الأجانب ، وصارت عاصمتها قبلة للتجارة ، وزخرت ميناؤها بالسفن المهيأة لحمل الصادرات والواردات

---

(١) « كفاح طيبة » لنجيب محفوظ •

(٢) « مصر الخالدة » لحسن جوهر •

وأقيمت فيها دور الصناعة ، وسعى اليها العلماء ، من كل مكان (١) ٠

وكانت شهرة علماء جامعة ايون « مدينة الشمس » سببا فى قدوم طلاب العلم والعلماء الراغبين فى الاستزاده من كل مكان ، وقد أطرى هيرودوت علماء جامعة عين شمس وذكر أن علماء الاغريق معجبون بأبحاثهم فى علم الفلك والهندسة وغيرها ٠

ويقول العالم الاثرى المؤرخ ماسبيرو ان مدينة « أون » عين شمس ، هى التى اضطلعت من بين المدن المصرية بالقسط الأكبر فى ابتداع العلوم، ووضع أسس المدنية ، وان الصلوات والقصائد التى نظمت فى مدح الآلهة وقتها صارت فيما بعد أصولا للكتب المقدسة لدى قدامى المصريين ٠

ونقل الاستاذ محرم كمال فى كتاب « الحكم والامثال عند القدماء المصريين » عن العلامة « رستد » أن القواعد الاساسية التى قامت وستقوم عليها المبادىء الخلقية فى الحياة قد اهتدى اليها فى مصر قبل وجود العبرانيين فى فلسطين وقبل وجود عصر النبوات هناك بزمن بعيد ، فحضارة مصر اذن حضارة عريقة تمتد فى أعماق التاريخ الى زمن سحيق، فليس عجيبا أن نراها الآن تتزعم حركة السلام العالمى ، وتسير فى طليعة الداعين اليه فطالما تزعمت حركات الاصلاح ، ووضعت قواعد الرقى البشرى ٠

هذا العلم الواسع ، وتلك الأخلاق السمحة التى عرف بها المصريون جعلت كثيرا من أبناء البلاد الأخرى يفدون اليها طلبا للعلم ، أو التجارة ، أو للسياحة ، أو للبحث عن وسائل العيش والحياة ٠ ويروى أن يوسف الصديق عليه السلام قال حين استقر به المقام فى مصر « اللهم انى غريب فحببها الى والى كل غريب (٢) » ويلوح ان دعوة يوسف قد استجيبت ، فليس يدخلها غريب الا ويعجب بها ، ويتمنى ألا يفارقها ، وان فارقها مكرها بحكم الظروف فانه يحن الى العودة اليها ٠ وكان ذلك من عوامل توثيق الصلات بين مصر وغيرها من البلاد المجاورة التى كانت ترى مصر فى ذلك الحين منار اشعاع علمى وثقافى ، فهم يحجون اليها يطلبون فى ظلها العلم والمعرفة ، أو ينشدون فى ربوعها الأمن والسلام ٠

وقد أثبت التاريخ أنه كان بين مصر وجاراتها رسائل متبادلة

---

(١) « مصر الخالدة » المرجع السابق ٠

(٢) كتاب « حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة » لجلال الدين السيوطى ٠

من ذلك رسائل بين حكامها وملوك بابل ، وآسيا الصغرى ، وحكام فلسطين ·

وكانت هذه الرسائل تكتب بالخط المسمارى البابلى ، أما حكام البلاد الأخرى وملوكها فكانت رسائلهم تسجل على « قوالب من الطوب » وكان بعض هذه الرسائل يطول فيحتاج الى قدر كبير من الطوب الذى ينوء بحمله الرسول القادم من لديهم ·

أما ملوك مصر وحكامها فقد كانوا يسجلون رسائلهم على ورق البردى الذى اهتدوا اليه ، ولم يهتد الى مثله جيرانهم ، لهذا فان الرسول حين يفد من لديهم يأتى مثقلا بحمل كبير ، ولكنه يعود بالجواب فى صورة حمل خفيف يتمثل فى ورقة مطوية خفيفة الحمل · كذلك كان الرسول من مصر يخرج منها بحمل خفيف من الرسائل فيعود بحمل ينوء به ظهره، ويصعب عليه حمله · وقد عثر فى خرائب « تل العمارنة » (١) على الواح من الطين المحروق يرجع تاريخها الى نحو أربعة عشر قرنا قبل الميلاد ، وهذه الالواح تحوى المراسلات الدبلوماسية بين الملك امنحوتب الثالث والد اخناتون والملك اخناتون نفسه وبين ملوك آسيا الغربية والولاة الذين كانوا يحكمون بعض بلاد الامبراطورية المصرية · وقد بقى منها حتى الآن نحو ٣٧٧ رسالة موزعة بين متاحف القاهرة ، ولندن ، وباريس ، وفينا وهى محررة باللغة البابلية التى كانت لغة المراسلات الدبلوماسية فى العالم القديم فى ذلك العهد ·

وهذا دليل آخر على سبق الحضارة المصرية لغيرها من الحضارات اذ أنه فى الوقت الذى تمكن فيه المصريون من استخدام الاوراق فى الكتابة كان غيرهم من الدول مازال يستعمل الطوب والحجارة فى كتاباته ، وقد تأيد هذا بالكشوف التى عثر عليها فى سنة ١٨٧٧ فى تل العمارنة ·

وقد كان هناك اتصال وثيق بين مصر وأهل شمال الجزيرة العربية والعمالقة وسكان جزر البحر الابيض المتوسط والليبيين والاثيوبيين والفرس واليونان والرومان والعرب وغيرهم من الامم الاخرى لتبادل شتى أنواع المنافع والخدمات ·

من هذا العرض السريع لمصر القديمة يتضح مدى ماكانت تتمتع به من مكانة عظيمة بين الدول مما جعلها قبلة تتجه اليها الانظار ، وأملا تهفو

---

(١) تل العمارنة منطقة أثرية فى مركز ملوى محافظة المنيا ، وكان اسمها « آخت أتون » ثم تحولت الى خرائب ، ونزلت فيها قبيله بنى عمران العربية فسميت « تل العمارنة »

اليها القلوب وخواطر النفوس • وحصنا تأوى اليه الهمم الطامحة ، ويجد فى ظله الوافدون كل رعاية وعناية • حتى اذا ما أظلها الاسلام برايته ، وفتحها العرب بقيادة عمرو بن العاص فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ازدادت مصر مكانة واشراقا ، وأصبحت مصر العربية درة فى جبين العروبة ، ولم تتوان فى أداء رسالتها التى وهبت لها نفسها ، واستطاعت أن تحقق على مدى الأيام أهدافا سامية عادت على الانسانية جميعا بأعظم الفوائد ، وسارت فى طريق الحياة العزيزة مشرقة بسامة ترفع فى يمينها لواء الثقافة والمعرفة والالهام ، وتمد يدها الى المتعثر فى طريقه والمغشى على بصره ، والمعلق عن قصده ، وبذلك أصبحت — عن جدارة — قلعة الأبطال ، وكعبة الاحرار ، وقبلة الثوار ، وقاعدة الحرية •• والاستقلال •

الفتح العربى وآثاره فى مصر

كانت مصر قبل الاسلام ولاية رومانية ، تم خضوعها لسلطانهم عقب موقعة « اكتيوم » فى عهد الملكة كيلوباترة سنة ٣٠ قبل الميلاد • وعانت مصر فى عهدهم كثيرا من ضروب الذل والهوان لأنهم كانوا يتقنون أساليب الاستغلال ، ويتفننون فى استنزاف موارد البـــــلاد ، فى عهدهم ذاق المصريون ألم الجوع والحرمان ، وزاد الرومان امعانا فى ظلمهم واستغلالهم بعد أن دخل المصريون فى المسيحية ، وصبروا على ما أصابهم حتى نفـد صبرهم ، وثاروا ثورة عارمة بقيادة القديس جرجس « مارى جرجس » وحدثت مقتلة الشهداء التى راح فيها آلاف مؤلفة من المصريين فى طليعتهم رجال الدين ، واعتبرت هذه الموقعة مبدأ للتاريخ القبطى المعروف الآن • ولم تثمر تلك الثورة الا الضحايا التى بذلت ، والارواح التى صعدت الى ربها تشكو ظلم الانسان المستعمر لأخيه الانسان •• ولم يجد المصريون سبيلا للخلاص من ظلم الرومان غير الفرار الى المعابد والاديرة التى أقاموها فى اطراف البلاد • فتلك الاديرة الاثرية النائية ، والرهبنة التى سادت وقتئذ انما كان سببها الأكبر هو طغيان الرومان •

وكان الله قد اراد أن يمهد للفتح العربى ، فقد كانت أخبار الدين الجديد واخبار مبادئه السمحة قد وصلت الى مصر ، وكان كتاب النبى عليه السلام الى المقوقس عظيم القبط فى مصر ، والرد المهذب الذى بعث به المقوقس مصحوبا بالهدايا الكريمة •• كان كل ذلك مهيئا للطريق أمام العرب القادمين •

لقد عرف المصريون أن مبادىء اخوانهم العرب المسلمين تقوم على العدالة والمساواة . والأخذ بيد الضعيف ، وعدم الاكراه فى الدين ، والعمل على اقامة مجتمع سليم تسوده المحبة والاخاء والرحمة ، لهذا فحين قدم اليهم عمرو بن العاص على رأس جيش المسلمين سنة ١٨ من الهجرة وجد نفوسهم مستعدة لقبول دعوته . ولم يجد منهم مقاومة تذكر ، ولكن المقاومة المستميتة كانت من جانب جيوش الرومان التى تصدت له عند الفرما ثم عند نابليون ، ثم فى الاسكندرية ، ولكنه تغلب عليهم ، وتمكن من طردهم ، ولو أن المصريين ساندوا الروم ، أو قاوموا العرب لكان للفتح صورة غير الصورة التى تم بها .

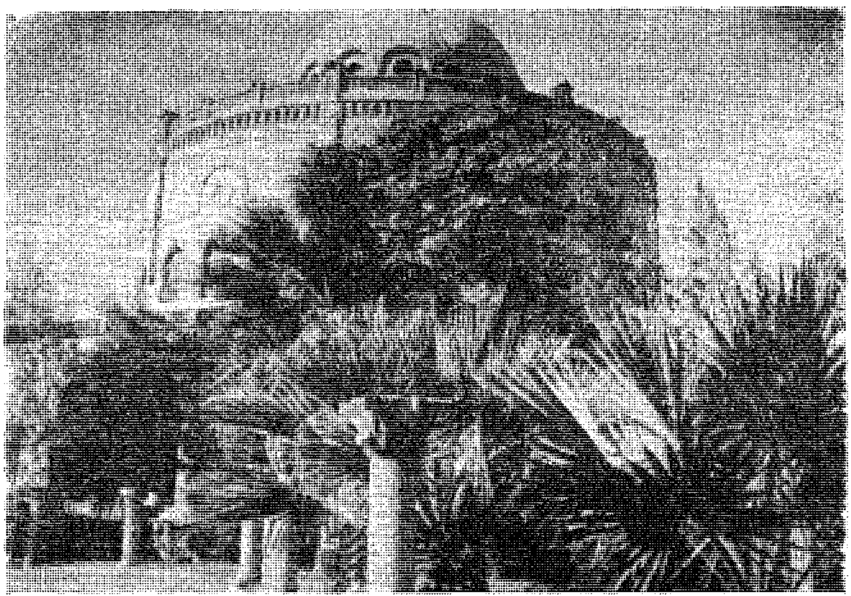
وأقبل العرب الى مصر أفواجا كثيرة ، ووجدوا فى ربوعها حياة كريمة بين اخوة فتحوا لهم قلوبهم ، وأنسوا اليهم ، وأحبوهم ، وأقبلوا يقيمون معهم علاقات أخوة ومصاهرة ، واختلط الجنسان المصرى والعربى اختلاطا أدى الى الامتزاج الشديد الذى نشأ عنه شعب واحد هو الشعب العربى ، يسعى فى سبيل نصرة العروبة ورفع شأنها .

ومنذ ذلك التاريخ لم يعد من الممكن أن تنفصل مصر عن الشعوب العربية أو تقف بمعزل عن مجريات الامور والحوادث فى الوطن العربى بعد أن أصبحت منه بمثابة القلب النابض ، واللسان الفصيح المتحدث باسمه فى شتى المناسبات .

لقد كان للفتح العربى أثره الكبير فى توطيد دعائم الثقافة العربية فى مصر التى كان لديها الاستعداد الفطرى للثقافة ، وقد كانت تملك أقدم قوة موجهة فى التاريخ ، وهى قوة العلم والحضارة ، ومن ربوعها انبثقت شعلة العرفان التى أضاءت العالم وانتشرت فى مختلف الربوع والوديان. فما أن رأت الطريق أمامها ممهدا حتى سلكته وما أن وجدت الفرصة سانحة لأن تثبت وجودها من جديد حتى انتهزت هذه الفرصة ، وأقبلت على الثقافة العربية ترتوى من معينها وتهضمها وتتبناها .

وقد كان لمبادىء الاسلام كما سبق ، وللمعاملة الكريمة الطيبة ، والاسوة الحسنة التى سار عليها المسلمون الأول أثر كبير فى اقبال المصريين على اعتناق الاسلام منذ ما قبل الفتح الاسلامى الرسمى لمصر .

وقد وجد المصريون فى ظل هذا الدين الجديد منقذا لهم مما هم فيه من ضيق ، واعتبروه علاجا لآلامهم وبلسما لجراحهم التى طال عليها الامد



حصن نابليون الحصين الذى افتتحه العرب فى مصر

وسار كثير من هؤلاء المصريين الذين أسـلموا تحت لواء الاسلام جنودا فاتحين (١) ٠

ومن بقى من المصريين على دينه أمنه المسلمون عليه لأن مبدأ الاسلام « لا اكراه فى الدين » ولأنهم سمعوا حديث رسولهم الكريم صلى الله عليه وسلم ناصحا لهم بحسن معاملته أهل الكتاب وخص منهم المصريين ٠٠ روى عمرو بن العاص عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فان لكم بهم صهرا وذمة » (٢) ٠

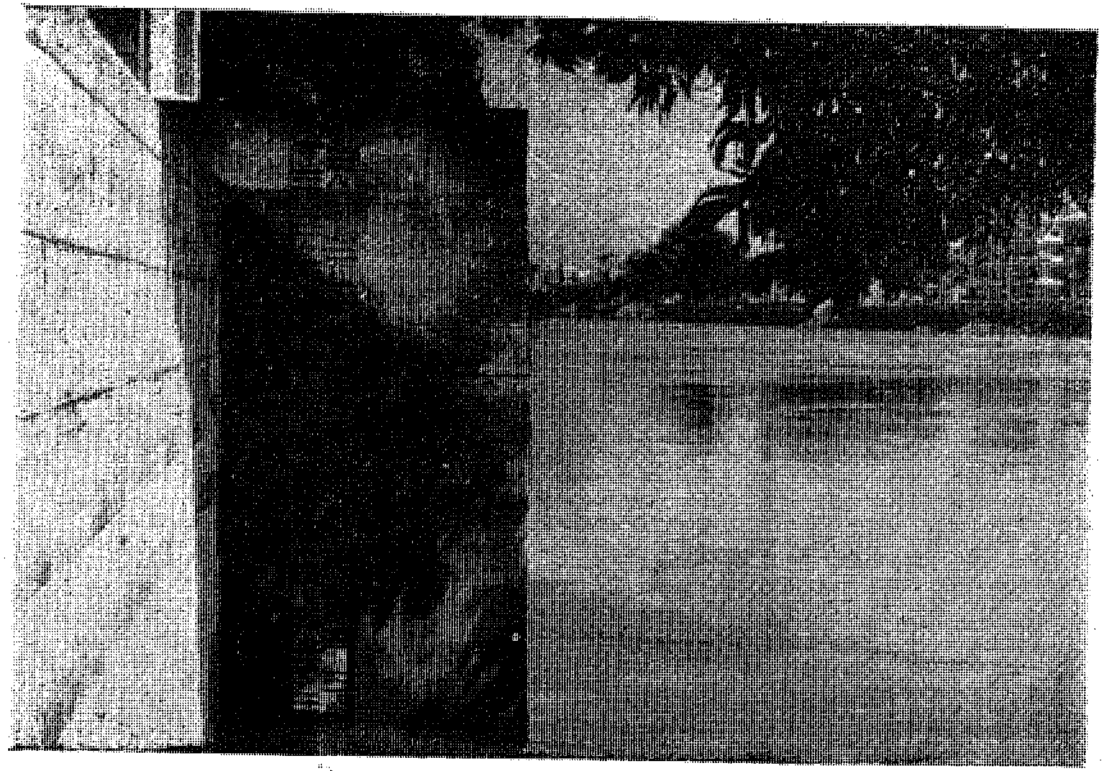
وقد نفذ المسلمون هذه الوصية فكانوا يتحببون الى الاقباط وهؤلاء يمنحونهم ولاءهم واخلاصهم ، ولم يكن العرب غزاة أتوا للسلب والنهب ، ولذلك لم يتركوا فى فتوحاتهم أى أثر للعسف أو الظلم (٣) ٠

---

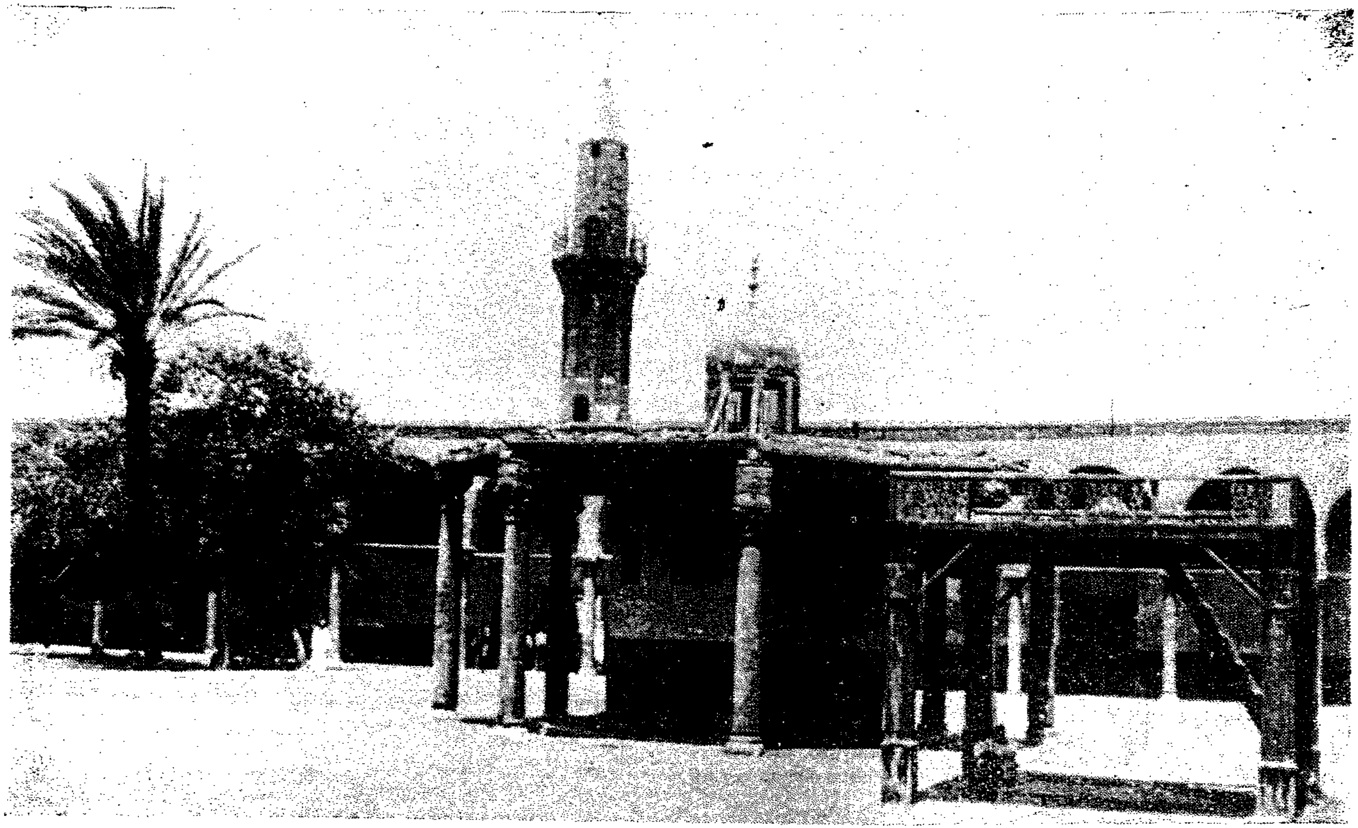
(١) كتاب « مصر فى فجر الاسلام » لسيدة اسماعيل كاشف ٠

(٢) حسن المحاضرة جـ ١ ص ٤ ٠

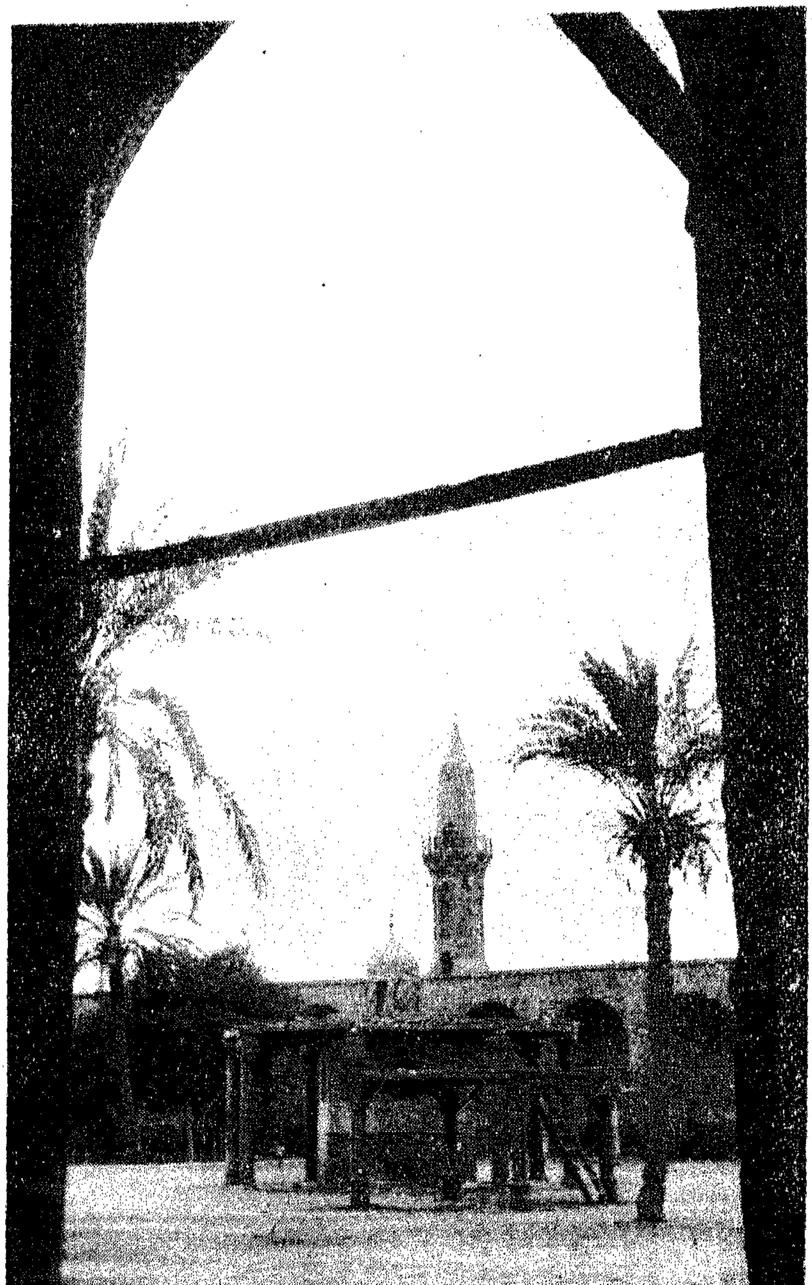
(٣) « مصر فى فجر الاسلام » ــ لسيدة اسماعيل كاشف ٠



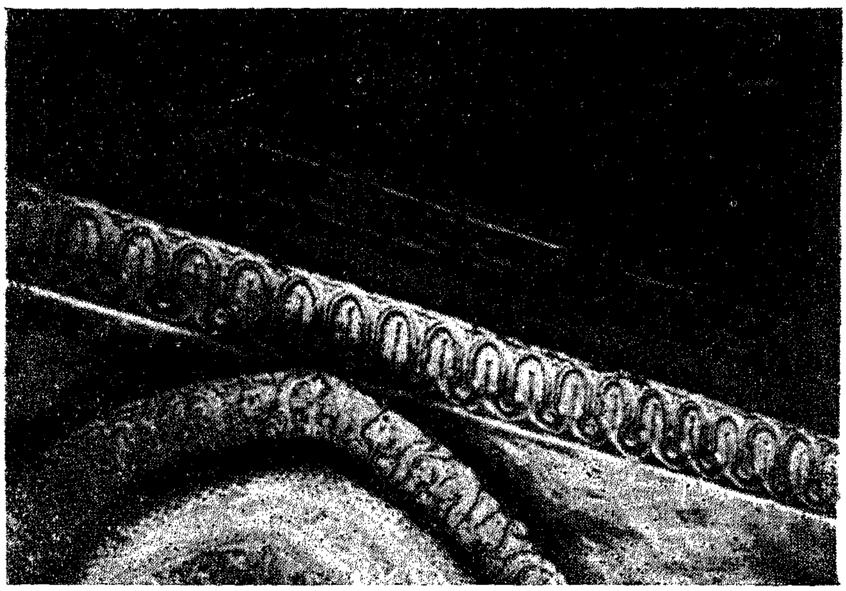
صـورة مقياس النيـل



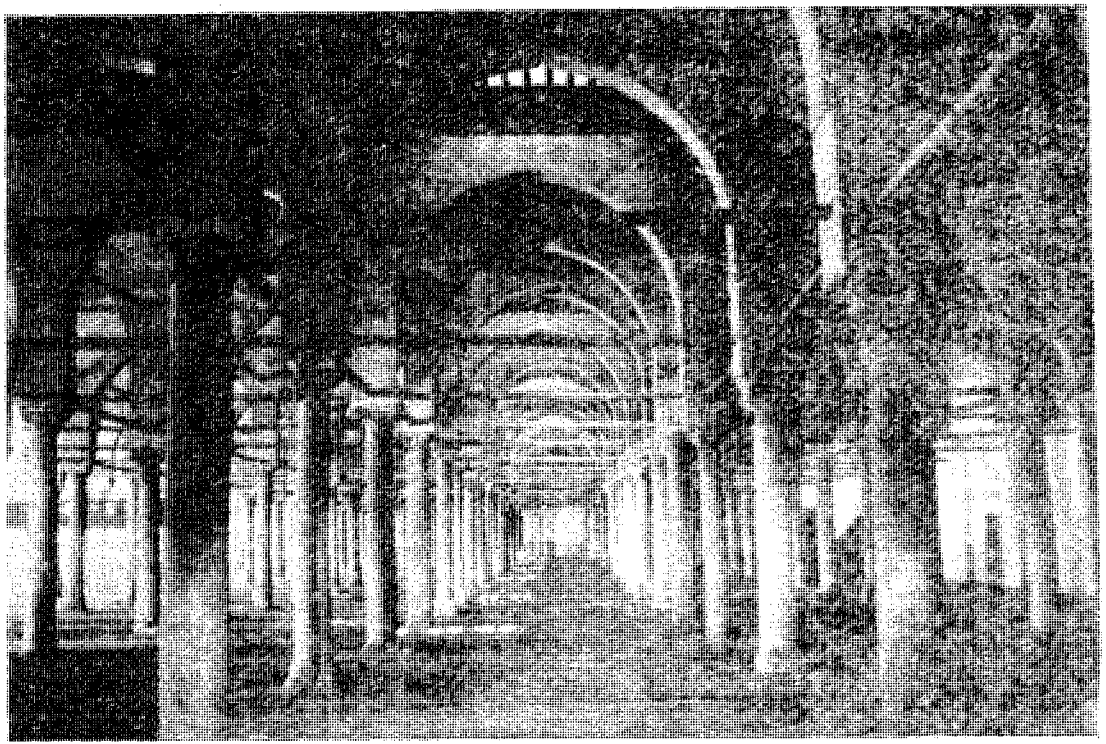
منظر خارجي لمسجد عمرو بن العاص



منظر داخلي لمسجد عمرو بن العاص



زخرفة داخلية لمسجد عمرو بن العاص



صورة عامة للمسجد من الداخل

مصر جزء من الأمة العربية

يعتبر الفتح الاسلامى نقطة تحول فى تاريخ مصر فقد نقلها من ولاية تابعة للروم الى قطر عربى له دلالاته ومقوماته وآثاره ، وسرعان ما أصبح هذا القطر جزءا من الامة العربية الكبرى التى امتدت مساحتها حتى شملت أجزاء كثيرة من المعمورة ، بل اصبح هذا القطر فيما بعد له مكان الصدارة فى هذه الامة العربية ، فقد احتضن الدعوة الاسلامية ووجدت فيه حصنا لها حين عدت عوادى الصليبيين والتتار فيما بعد ، وحاول كل منهما أن يقضى على الدولة الاسلامية وعلى نفوذها الموجه فى العالم .

وبفتح مصر توالت وفود القبائل العربية فى هجرات متوالية ، بعضها للتجارة ، وبعضها للرحلات ، وبعضها للاقامة .

ولم يأت العرب الى مصر كما كان يأتى غيرهم من الفاتحين وفى نفوسهم تسلط الفاتح ، وشهوة المستعمر وقسوة الغالب ، وصلف المتسلط ، ولكنهم جاءوا ومعهم مبادئهم الكريمة ، واخلاقهم العظيمة . ومثلهم العليا التى كانت ولاتزال مضرب الأمثال ، جاءوا اخوة فى الدين ، ورسل اصلاح ، ودعاة هداية ، وأصحاب رسالة تدعو الى المساواة والانصاف والعدالة الاجتماعية ، ولقد ترك النبى صلى الله عليه وسلم قدوته فيهم وأثره بينهم وهم لم يزالوا يرتلون قوله تعالى « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا » (١) .

---

(١) سورة الاحزاب .

جاء المسلمون بهذه الاخـــلاق فوجد المصريون فى ظلهم الأمن الذى كانوا يتوقون اليه والعدل الذى طال حرمانهم منه ، والمساواة التى كانت أملا بعيد المنال حينما كان الروم متسلطين عليهم ، ولأول مرة بعد قرون طويلة شعر المصرى بكيانه فى ظل الحكم الجديد وأقبل على عمله فى جد ونشاط : الزارع فى حقله ، والعامل فى عمله ، لا يكلف فى أمره شططا ولا يطلب منه الا حق الدولة نظير رعايته وتأمينه والدفاع عنه وما تتطلبه معيشته من حقوق وواجبات • هذا الى جانب شعور متبادل بين العــربى الوافد والمصرى المقيم يحس فى ظله كل منهمـــا أنه قريب من الآخر ، مشدود اليه بجاذب خفى هو جاذب الصهر والنسب القديم •

ثم كان لتشجيع الخلفاء لهذه القبائل على الهجرة الى مصر أثر كبير فى تزايد هذه الهجرات ، وفى اقبال كثير من المصريين على الدخول فى دين الله افواجا •

انشاء الفسطاط :

كان العرب فى أول أمرهم يقيمون متجمعين فى المدينة التى اختطها عمرو بن العاص وهى « الفسطاط » ســـنة ٢١ هـ . وسبب تسميتها كذلك كما يقول المؤرخون ان عمرو بن العاص (١) لما أراد التوجه الى الاسكندرية لفتحها بعد أن اســتولى على حصن بابليون أمر بأن ينزع فسطاطه (وهو الخيمة التى كان يقيم فيها) ولكن رأى فيه زوج يمام قد أفرخ فقال عمرو : « لقد تحرم بنا » وتيامن به ، وترك الفســـطاط مكانه رأفة بهذا اليمام • ولما عاد من الاســـكندرية بعد فتحها ســـأله المسلمون عن المكان الذى ينزلون فيه فقـــال المكان الذى تركنا فيـــه الفسطاط •

فنزل هناك المسلمون وأقاموا حوله ثم ابتدءوا يختطون المواضع بجانبه • كل قبيلة اختارت لها مكانا معينا •

وأتيح لمصر بانشاء الفسطاط أن تشيد عاصمة جديدة تعــد أولى عواصم مصر الاسلامية وكان موضع الفســـطاط جديرا بالاختيـــار من الوجهتين الحربية والمناخية •

ويذكر المقريزى فى خططه أن موضع الفسطاط كان أرضا فضاء ومزارع فيما بين النيل والجبل الشرقى المعروف بجبل المقطم ولم يكن

---

(١) خطط المقريزى •

بهذا الموضع من البناء والعمران سوى حصن يطلق عليه اسم قصر الشمع والمعلقة ، وهو الذى كان يقيم فيه حاكم مصر من قبل الروم ، وكان الحصن يمس على النيل وكانت السفن تصل الى بابه القبلى المعروف بباب الحديد وهو الباب الذى خرج منه فيرس ومن صحبه من رجاله بعد استيلاء المصريين على الحصن ، وما زالت آثاره الى وقتنا هذا • والى شمال الحصن كانت تمتد مروج ومزارع أقيم عليها جامع الفسطاط (١)

وهذا المسجد هو أول ما أقيم فى هذه المدينة ، وحوله تنافس العرب فى اقامة بيوتهم وتشييد خططهم ، ورأى عمرو بن العاص أن يعين على هذه الخطط أربعة من جنده ، وهم « معاوية بن حديج ، وشريك ابن سمى الغطيفى ، وعمرو بن مخزم الخولانى ، وحيويل بن ناشرة المعافرى » فأنزل هؤلاء الرؤساء الناس منازلهم ، وجعلوا لكل قبيلة من القبائل خطة تأوى اليها ، وقد سميت هذه الخطط أو الحارات بأسماء هذه القبائل (٢) ، ومن هذه الخطط خطة مهرة ، وخطة لخم وجذام ، وخطة بنى بحر وهم قوم من الأزد ، وخطة ثقيف ، وخطة حضرموت ، وخطة سبأ ، وخطة مذحج ، وخطة غطيف ، وبنى وعلان ، وخطة خولان ، وخطة نافع ، وغيرهم (٣) ، ومن هذه الخطط تكونت الفسطاط الحاضرة الجديدة لمصر الاسلامية •

والفسطاط هى حى مصر القديمة حاليا ومن الملحوظ أن أكثر شوارعها يحمل أسماء عربية قديمة ، ولا يزال بهذا الحى مسجد عمرو بن العاص المشهور ، وهو أول مسجد أسس فى مصر ، وكان قديما منارا للعلم والعرفان والأدب ، يقوم بما قام به الأزهر فيما بعد •

وقد ظلت الفسطاط مقرا للولاة فى عهد الخلفاء الراشدين وعهد الدولة الاموية وأقيمت فيها قصور كثيرة منها قصر الذهب الذى بناه والى مصر عبد العزيز بن مروان (٦٥ ــ ٨٦ هـ) كما أقيم فيها كثير من المنشآت العامة من متاجر وأسواق ومتنزهات وفنادق وحمامات •

وبالرغم من انشاء حواجز جديدة فى عهد صالح بن على عام ٣٣ هـ ، وفى عهد أحمد بن طولون عام ٢٥٤ هـ فان الفسطاط ظلت محتفظة برونقها وازدهارها ، حتى أنشئت القاهرة عام ٣٥٨ هـ على يد جوهر

---

(١) ، (٢) خطط المقريزى •

(٣) مصر فى فجر الاسلام ص ٢٤٥ ، وفى هذا دلالة على أن مصر يتألف عربها من أكثر القبائل العربية المعروفة ، والتى تمثل أكثر أقطار الوطن العربى عراقه وحجازه ويمنه •

الصقلي قائد المعز لدين الله الفاطمي ، فظل شأنها يضعف شيئا فشيئا اذ حلت محلها قاهرة المعز ، وفي أيام الحروب الصليبية حدث نزاع كبير بين الوزيرين شاور وضرغام واستعان شاور بالفرنج لنصرته ضد أسد الدين شيركوه ، وقدم الفرنج واقتربوا من الفسطاط التي كانت مقرا في ذلك الوقت للمقاومة الشعبية ، ومركزا هاما من مراكز الاستعداد والدفاع والتمرن على أساليب الحرب والقتال مما كان يشغل بال شاور والعاضد باستمرار ويعتبرانه مكمن الخطر دائما . فوجد شاور الفرصة سانحة للتخلص من الفسطاط نهائيا ، فأمر أهلها بأن ينزحوا منها الى القاهرة بحجة أنه يريد حرقها لئلا يستولى عليها الافرنج ، ولم يجد احتجاج أهلها وثورتهم شيئا فقد أرسل عشرين الف قارورة من النفط وأشعل فيها النار وظلت مشتعلة أربعة وخمسين يوما حتى أتت على كل شيء فيها .

وقد عمرت الفسطاط فيما بعد ولكنها لم تصل الى مكانتها الاولى ولكن العرب بمرور الوقت لم يكتفوا بالاستقرار في العاصمة فقد تحولوا الى القرى وشاركوا أهلها في زراعاتهم ، بل أخذت القبائل العربية تفد الى مصر وتستقر في القرى المصرية ، ويذكر المؤرخون انه في زمن مروان ابن محمد عندما ولى الحوثرة بن سهيل الباهلي مصر (١٢٨ ـ ١٣١ هـ) مالت اليه بطون قيس ، فمات مروان وبها ثلاثة آلاف أسرة منهم ، ثم توالدوا وقدم عليهم من البادية كثير من ذوى قرباهم ، ويظهر ان القبائل العربية أخذت تفد الى مصر باستمرار واخذت تصاهر أهل البلاد (١) .

وممن قدم الى مصر في ذلك العهد أولاد الكنز وأصلهم من ربيعة ابن معد بن عدنان أى من عرب الشمال وكانوا ينزلون اليمامة وقد قدم كثير منهم الى مصر في خلافة المتوكل على الله العباسي بعد سنة ٢٤٠ هـ ، وانتشروا في أنحائها ، ونزلت طائفة منهم بأعالي الصعيد . وكانت البجة (٢) تشن الغارات على القرى الشرقية في كل وقت حتى خربوها . فقامت بطون ربيعة تصدهم ، وقد تمكن الخليفة المتوكل من اخضاعهم ووفد اليه رئيسهم ليقدم فروض الطاعة والولاء وعادت ولاية عباسية كما كانت قبل ذلك .

وهكذا تم نصر الله والفتح ، وأصبحت مصر في يد العرب الذين توغلوا في شتى أرجائها وامتزجت دماؤهم بدماء أهلها ، وتزاوجوا

---

(١) كتاب « مصر في فجر الاسلام » للدكتوره سيده اسماعيل الكاشف .

(٢) بلاد البجة تمتد من صحراء قوص الى أول بلاد الحبشة .

وتناسلوا منهم واخذت قبائل العرب تترى وتتابع على شتى انحاء البلاد حتى غصت بهم (١) ٠

وتم الاندماج الكامل بين العرب والمصريين فى عهد الخليفة المعتصم العباسى فقد انتشر العرب ـ كما قلنا ـ فى القرى المصرية انتشارا كبيرا ترتب عليه انتشار اللغة العربية وآدابها تبعا لانتشار الدين الاسلامى فى البلاد ونبغ فى مختلف العلوم العربية حتى من غير المسلمين علماء مصريون فقد الف البطرك الملكانى كتابه فى التاريخ باللغة العربية ، وكذلك أرخ ساويرس أسقف الاشمونين للبطاركة فى أواخر القرن الرابع الهجرى باللغة العربية ، .. وهذا يدل على ان اللغة العربية أصبحت لغة الكلام والتخاطب واللغة الرسمية لمصر ، ولم تعد اللغة القبطية التى كانت سائدة قبل ذلك تفهم من عامة الشعب المصرى ٠ (٢)

وباقبال العلماء على مصر وهجرتهم اليها ، وبافتتاح كثير من المدارس والمعاهد ، وبانشاء المساجد والمكتبات لم تلبث مصر أن أصبحت تحتل المركز الاول فى توجيه دفة الحضارة والعلوم والتقدم فى العالم العربى ، وأصبحت مركز الاشعاع من جديد ، وأعادت على العالم تاريخها المشرق بالعلوم والفنون المختلفة ، مما كان له أكبر الأثر فى اتساع حركة العمران ، والاحتفاظ للعرب بمجدهم وعظمتهم ، وظهور أئمة اعلام فى مختلف فروع العلم من أمثال الشافعى ، وأبى عبد الله أحمد بن يحيى التجيبى ، والليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمى ، وعثمان بن الحكم الخزامى ، والمفضل بن فضالة بن عبيد الرعينى ، وعبد الدين وهب ابن مسلم المصرى وغيرهم ممن كانوا أعلاما فى الاجتهاد والفقه واللغة والأدب ٠

ومن أئمة الحديث الذين وفدوا الى مصر وكان لهم فيها انتاج حسن أبو ذر عبد الله بن عمر الجهنى ، وأبو الخير مرثد بن مكحول ، وعقيل ابن خالد ، وعبد الله بن يوسف التنسى ، وعبد الله بن الزبير الحميدى وحمزة بن محمد بن على الكتانى المصرى ، وابن العماد الامام الحافظ الاسكندرانى ، والمنذرى زكى الدين ابو محمد المصرى ، والدمياطى والحارثى وغيرهم ٠

ومن أئمة القراءات والنحو واللغة عقبة بن عامر الجهنى ، وداود ابن طيبة المصرى وعبد الصمد بن عبد الرحمن بن القاسم العتقى ،

---

(١) كتاب « صور من كفاح الشعب العربى » للدكتور جمال الدين الرمادى ٠

(٢) كتاب « مصر فى فجر الاسلام » للدكتوره سيده اسماعيل الكاشف ٠

وعبد الملك بن هشام بن أيوب المغافرى والحوفى صاحب اعراب القرآن وابن بابشاذ ، والشاطبى وأبو حيان ، وابن هشام ، وابن عقيل وغيرهم .

ومن علماء الطب والحكمة والفلك سعيد بن نوفل ، وسعيد بن البطريق . ومحمد بن احمد التميمى ، والرشيد بن الزبير الاسوانى . والقطب المصرى وابن البيطار ، وابن النفيس ، والاصفهانى ، وابن محمد التبريزى وغيرهم .

ومن المؤرخين سعيد بن عفير وابن خلكان ، والفضالى ، وابن الفرات ، والمقريزى ، وابن حجر .

ومن الأدباء والشعراء جميل بثينة ، وكثير عزة ، وعزة صاحبته ونصيب بن رباح ، وابو نواس ، وأبو تمام وأبو العباس الناشىء . وكشاجم ، والمتنبى . ومن شعراء مصر تميم بن المعز ، وابن مطروح . والبهاء زهير ، وابن نباته ، وابن الفارض وغيرهم .

ولقد أفرد العلامة الشيخ جلال الدين السيوطى فى كتابه « حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة » مائة وعشرين صفحة تقريبا ذكر فيها أسماء العلماء والحكماء والأدباء والشعراء الذين كانوا بمصر ، أو وفدوا اليها منذ الفتح الاسلامى حتى تاريخ تأليف كتابه .

وبذلك نجد أن مصر قد وصلت فى فترتها التى امتدت منذ الفتح الاسلامى حتى ابتليت بالفتح العثمانى الى غاية كبيرة من العظمة والسؤدد وتبوأت عرش العالم الاسلامى وتزعمته ، وبعد ان كانت ولاية خاضعة للخلافة فى عصر الخلفاء الراشدين وخلفاء بنى أمية وبعض العباسيين لم تلبث أن أصبحت مركزا للخلافة الفاطمية ثم أصبحت مركزا للخلافة العباسية نفسها وذلك بعد سقوط بغداد فى أيدى التتار سنة ٦٥٦ هـ وانتقال الخليفة العباسى الى مصر فى عهد الظاهر بيبرس سنة ٦٦١ هـ ، وظل الامر على ذلك حتى فتح العثمانيون مصر سنة ٩٢٣ هـ (١)

والتقدم العلمى عادة يتبع الدول المتقدمة فى الحضارة والعكس صحيح أيضا فان تقدم الحضارة موقوف على التقدم العلمى فى الدول . وبذلك يحق لنا أن نؤكد ان مصر كانت خليقة بأن تبلغ مالم تبلغه دولة ، لما حققته من تقدم فى الناحيتين العلمية والحضارية . وقد أشار ابن

---

(١) مصر فى فجر الاسلام ، المرجع السابق .

خلدون الى ذلك فى مقدمته عندما تحدث عن أن العلم يتبع الامصـــار الموفورة بالحضارة وذكر دليلا على صحة نظريته بقوله « ولا أوفر اليوم فى الحضارة من مصر فهى أم العالم وايوان الاســــلام ، وينبوع العلم والصنائع ، وبقى بعض الحضارة فيما وراء النهر » (١) ٠

(١) مقدمة ابن خلدون ٠

شهادة التاريخ لمصر

ظفرت مصر عبر التاريخ بثروة سـخية من أقـوال المفكـرين والمؤرخين ، وتناولتها الكتب المقدسة بكثير من الآيات البينات ، ولم تخل أقوال الانبياء عليهم السلام من الاشارة اليها والاشادة بها ، ويعتبر هذا مثار فخر للمصريين حين يفتخرون بوطنهم الحبيب الذى جمع بين جلال الماضى ، وروعة الحاضر ، وجمال الأمل فى المستقبل .

وان دل هذا على شيء فانما يدل على ما كان لهذا القطر العظيم من مجد عظيم ، وأثر لا ينكر فى بعث الحضـارة ، واشراق نور العلم والعرفان فى كل زمان ومكان ، وكان للنيل ومجراه حظ كبير فى التفرد بالذكر فى كثير من الاحيان ، حتى كتبت عنه الاساطير ونسجت حوله الحكايات ، وكان منارا خصبا لافتنان الخيال وروعة التصـوير ، وحتى قيل عنه انه من الجنة .

ولا ينكر أحد ما للنيل من فضل على الوادى الذى يجرى فيه ولم يقل هيرودت المؤرخ القديم قولته المأثورة « مصر هبة النيل » عبثا ، هذه القولة التى سارت مع الزمن مثلا مأثورا وحكمة خالدة ، وقد تنبـه المصريون القدماء لذلك الفضل فتعدوا به درجة التقدير الى درجـة التقديس والعبادة ، لأنه مصدر الحياة ، ولازال . ولم يعد الحقيقة فى شيء ذلك الشاعر الذى يخاطبه بقوله .

أنت فى مسلك الدماء وفى الانفاس تجرى مدويا فى انسيابك .

واعترافا من القدماء بفضل النيل كانوا يقيمون له احتفالا بوفائه

كل عام . ولا زال الشعب المصرى يحتفل به حتى الآن ، ولكن القدماء مبالغة فى الاحتفاء كانوا يقدمون للنيل هدية قيمـــة تتمثل فى عروس جميلة فاتنه رمزا للمحبة والوفاء ، وتقديرا لما كان يهبهم اياه من نعمـة الحياة . وقد ابطل هذه العادة عمرو بن العاص ، حين فتح مصر ، وكان ذلك بأمر من الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وأول أثر ورد فى مصر وفضلها يحكى عن آدم عليه الســلام (١) حين مثل الله له الدنيا « شرقها وغربهـا وسـهلها وجبلهـا وأنهـارها وبحارها وعامرها وخرابها . ومن يسكنها من الامم ، ومن يملكها من الملوك . فلما رأى مصر رآها أرضـــا سهلة ذات نهر جار ، مادته من الجنة تتجدد فيه البركة ، ورأى جبلا من جبالها مكسوا نورا لا يخلو من نظـر الرب عز وجل اليه بالرحمة ، فى سطحه أشجار مثمرة ، فروعها فى الجنة تسقى بماء الرحمة ، فدعا آدم للنيل بالبركة ودعا لأرض مصر بالرحمـة والبر والتقوى . وبارك على نيلها سبع مرات . قال أيها الجبل المرحوم سفحك جنة ، وتربتك مسكة تدفن فيها عرائس الجنة أرض حافظة مطيقة رحيمة ، لاخلتك يا مصر بركة ، ولازال بك حفظة ، ولازال منك عز ، يا أرض مصر فيك الخبايا والكنوز ، ولك البر والثروة ، سال نهرك عسلا ، كثر الله رزقك ودر ضرعك وزكا نباتك وعظمت بركتك وخصبت ولازال فيك يا مصر خير مالم تتجبرى وتتكبرى أو تخونى » .

ويقال : ان هذا أول دعاء لمصر بالرحمة ، وبغض النظر عن صحة ثبوت هذا النص الى أبينا آدم عليه السلام أو عدم ثبوته فان فيه من الدلائل مانراه متفقا مع طبيعة مصر وطبيعة أهلها السهلة القوية المتميزة ، ومتفقا مع مانراه من كلأ الله ورعايته لهذا القطر العظيم . فهو فى مأمن من الجوائح والمصائب . وما ينتاب غيره من البلاد الاخرى من كوارث ، تظهر فى تلك الغضبات الطبيعية المدمرة من زلازل وبراكين وأعاصير وفيضانات تشرد الآمنين ، وتفتك بالاهلين ، وتقضى على مظاهر الحياة والعمران ، وتسبب الرعب ، وتصيب الناس بالجنون . كما لا يظهر فيها أكثر ما تتعرض له بعض البلاد الاخرى من آفات وأمراض وأوبئة وغلاء مما يذهب بأمن الناس ويصيبهم بالمخاوف ويجعلهم لا يطمئنون الى حياتهم ، ويعرض استقرارهم لهزات عنيفة ، ويلجئهم الى ذلك الجفاف الروحى الذى نراه فى كثير من الدول التى تطغى فيها المــادة على الروح وتتركهم حيارى يتخبطون فى دياجير الملذات والشهوات وتدنيهم من مرتبة الحيوانات ،

---

(١) النجوم الزاهرة .

وليس هذا يحتـــاج الى دليل ، فمصر ولله لحمد لا تزال فى منجـــاة من كل ذلك .

وما نراه فى بعض الاحيان متعارضا مع منطوق هذا النص فانما هو قليل بالنسبة لما تتعرض له الديار الأخرى ، والأعم الاغلب فيها الأمن والبركة والسلامة . وهذا القليل الذى تتعرض له انما هو من قبيل التذكير الذى يذكر الله به عباده . تمشيا مع قوله تعالى « ونبلوكم بالشر والخير فتنة » فهو من قبيل اختبار العزائم ، وتقوية روح الدين القويم ، وتثبيت العقيدة فى النفوس ، فالشدائد تعتبر رباطا قويا يؤلف بين القلوب ، ويوثق العلاقة بين الانسان وخالقه ، ولم تكن سببا فى افتتان الناس عن دينهم أو انصرافهم عن بارئهم الا من أراد الله ان يختـــم على قلبه وبصره ، وقديما قال الشاعر ..

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت ويبتلى الله بعض القوم بالنعم

ولا زالت تقارير الامم المتحدة توافينا بما يثبت أن مصر أعظم الدول بركة ، وأخصبها عيشا وأرغدها حياة ففى آخر تقرير لها عام ١٩٦٢ تؤكد أن مصر أرخص دول العالم فى الاسعار رغم ارتفاع مستوى المعيشة عما قبل أيام الثورة بكثير .

ويشهد بذلك أيضا الاجانب القادمون الى مصر ، والمصريون الذين زاروا البلاد الاجنبية ، فانهم يجمعون على أن بلادنا هى أرخص بلاد العالم واغناها بالسلع الضرورية ، وفى الوقت الذى يستطيع فيه أى سائح أجنبى محدود الدخل أن يقضى رحلة ممتعة بتكاليف زهيدة فى بلادنا ، لا يمكن لاى مصرى أن يسافر الى احدى دول امريكا أو أوربا أو غيرهما الا اذا كان معدا نفسه ولديه مورد ضخم يمكنه من مجابهة رحلته وما ينتظره فيها من نفقات باهظة ، وتكاليف كثيرة ، وغـــلاء فاحش .

ونرى هذا النص السابق متفقا مع دعوة نوح عليه السلام لحفيده بيصر بن حـــام ، وقد رواها عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ـــ : « اللهم انه قد أجاب دعوتى فبارك فيه وفى ذريته ، وأسـكنه الارض الطيبة المباركة التى هى أم البلاد ، ويقصـــد بها مصر (١) ، ويقال : ان مصر سميت على اسم ابنه مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه الســـلام .

---

(١) النجوم الزاهرة .

ومن الآثار الواردة فى فضل مصر ، ماروى عن كعب الاحبار : « لولا رغبتى فى بيت المقدس لما سكنت الا مصر » ، فقيل له ولم ؟ قال : لانها معفاة من الفتن ، ومن أراد بها سوءا كبه الله على وجهه ، وهى بلد مبارك لأهله فيه (١) .

وروى ابن يونس عن كعب الاحبار أنه قال : من أراد أن ينظر الى شبه الجنة فلينظر الى مصر اذا زخرفت ، وفى رواية اذا ازدهرت .

وروى صاحب النجوم الزاهرة عن ابن يونس أيضا قال : فى التوراة مكتوب أن مصر خزائن الارض كلها فمن أراد بها سوءا قصمه الله .

وفى القرآن الكريم اشارات عدة الى مصر تدل على فضائلها الكثيرة ، ونعمها الجليلة . فهو يحكى عن يوسف عليه السلام قوله مخاطبا اخوته ووالديه « ادخلوا مصر ان شاء الله آمنين » وهو اعتراف صريح بالامن المكفول فى مصر ، والنعمة الموفورة فى جنابها ، والرحمة الظاهرة فى ربوعها وخاصة أنه فى عهد يوسف عليه السلام كان الجدب والقحط منتشرين فى ربوع البلاد ، ولم ينج من تلك المجاعة التى اجتاحت العالم وقت ذاك الا القطر المصرى الذى حفظه الله وظهر فيه حسن تدبير يوسف عليه السلام ، وقد سبقت الاشارة الى ذلك .

وفى معرض النعم التى طلب الله سبحانه وتعالى أن يذكر بها موسى قومه ، نعمة اقامتهم بمصر لانها دار عز ومقام كريم « وأوحينا الى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين » ، ولكن قومه لم يحفظوا هذه النعمة الجليلة فحرمهم الله منها وكتب عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله وشردوا فى الآفاق .

وأراد الله ان يكلأ عيسى بن مريم وأمه برعايته وحفظه فوجههما الى مصر وحكى القرآن الكريم هذه القصة بقوله « وجعلنا ابن مريم وأمه آية وأويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين » وعلى تفسير أشهر المفسرين أن ذلك فى مصر .

هذا غير ما وردت الاشارة اليه فى عدة مواضع عدها ابن عباس عشرة ، وقال جلال الدين السيوطى انها اثنا عشر موضعا ، وهذا رقم

---

(١) المصدر السابق .

قياسي بالنسبة لغيرها من البلاد التى لم تذكر أصلا أو ذكرت فى مواضع قليلة .

وهناك أحاديث كثيرة رويت عن النبى صلى الله عليه وسلم فى مصر وفضائلها منها ما أخرجه ابن عبد الحكم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جنداً كثيفا فذلك الجند خير أجناد الارض ، فقال أبو بكر : ولم يا رسول الله ؟ قال : لأنهم وأزواجهم فى رباط الى يوم القيامة (١) .

والتاريخ يؤكد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أخبر عنه الوحى بأنه لا ينطق عن الهوى ، فان ما نراه اليوم من غلبة الجيش المصرى وقوته واستعداده لهو أكبر شاهد على صدق هذا الاثر المروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان هذا الجيش هو الذى حقق أول ثورة ناجحة قوية بيضاء قضت على الظلم والفساد ، وضربت المثل الاعلى فى البناء والتشييد والقيادة الحكيمة وقد وقف الشعب كله من خلفها يحميها ويؤازرها ، ويقدم نفسه فداء وتضحية لكل دعوة تحررية فى البلاد العربية . بل فى العالم أجمع ، وما دوره الأخير فى تثبيت دعائم الثورة العربية فى أرض اليمن بغائب عن الاذهان ، وما دوره فى ارهاب اسرائيل وبعث الرعب المتواصل فى أوصالها بمجهول ، وان الامل العظيم معقود عليه فى أن يتم رسالته فى تطهير الارض العربية من الاستعمار وأذنابه ، واقامة جيش وطنى عربى واحد ترفرف عليه راية عربية واحدة وبذلك تتم الوحدة الكبرى الشاملة التى هى هدف العرب فى كل مكان .

واذا ما تصفحنا المؤلفات الحديثة وجدناها تزخر بعبارات ذائعة الصيت تشهد بالفضل والفخار لمصر حتى من غير العرب ، وما يسعهم غير ذلك . فالآيات الخالدة تستنطق الخصوم قبل الاصدقاء ، وترغمهم على أن يشهدوا لها ويشيدوا بمجدها ويذيعوا فضائلها ، فأول من اكتشف حل الرموز الهيروغرافية « شامبليون » تبهره أعاجيب الفن المصرى وحضارة المصريين فيقول : ان مصر فى كل العصور هى أبدا دائمة القوة والعظمة فى كل فنونها وفى ضيائها ، واذا ما ارتقينا سلم القرون فاننا نراها دائما تتلألأ ببهاء لا يحتجب ، ولا ينقصنا شىء فى

---

(١) حسن المحاضرة للسيوطى .

سبيل ارضاء عاطفة حب الاستطلاع الا أن نعرف كيف نشأت هذه المدينة الاولى . (١)

ويقول « سير دنسون روس » مدير مدرسة العلوم الشرقية بانجلترا « مصر هى مهد الفنون ولولا بقاء كثير من آثارها الاولى حتى يومنا هذا لقامت معلوماتنا عن التاريخ الاول — للفنون على الحدس والتخمين (٢) »

وكتب العلامة الاثرى الامريكى « جمس هنرى برستد » ... وهكذا صارت مصر أقدم واهم المراكز التى على شاطىء البحر الابيض المتوسط . كيف لا وقد اجتمعت فيها السيادة المدنية والحربية من أقدم عصور التاريخ الى ظهور مدنيتنا وحضارتنا الحديثتين (٣) .

تلك نخبة من الاقوال المأثورة الواردة فى مصر ، ولن يتسع المجال لذكر جملة ما ورد فيها من أقوال . فالمأثور من ذلك كثير ، وقد أطلق عليها المؤرخون والرحالة قديما اسم « المعمورة ، والمحروسة » وقرنوا اسمها بهاتين الصفتين نظرا لما رأوا فيها من آثار الحضارة والعمران التى لا تزال باقية حتى الآن .

ومن فضائلها التى عدها الكندى (٤) «جبلها مقدس ، ونيلها مبارك ، وبها الطور حيث كلم الله تعالى نبيه موسى ، وبها الوادى المقدس ، وبها القى موسى عصاه . وبها فلق الله البحر لموسى ، وبها ولد موسى وهرون عليهما السلام ويوشع ابن نون و دانيال وأرميا ولقمان وعيسى بن مريم وبها النخلة التى ذكرها الله تعالى لمريم (٥) .. ومن فضائلها انها فرضة الدنيا يحمل من خيرها الى سواحلها . وبها ملك يوسف عليه السلام ، وبها مساجد ابراهيم ويعقوب وموسى ويوسف عليهم السلام . وبها البرابى العجيبة والهرمان ، وليس على وجه الارض بناء بائيد حجرا على حجر اطول منهما » .

ولو امتد به الاجل أو لو استشف مكنون الغيب ورأى مظاهر النهضة الحديثة لتحدث عن ذلك حديثا مستفيضا ، وأضاف الى افضال مصر القديمة افضالا من بدائع صنع العقل البشرى ، ومن ابتكارات

---

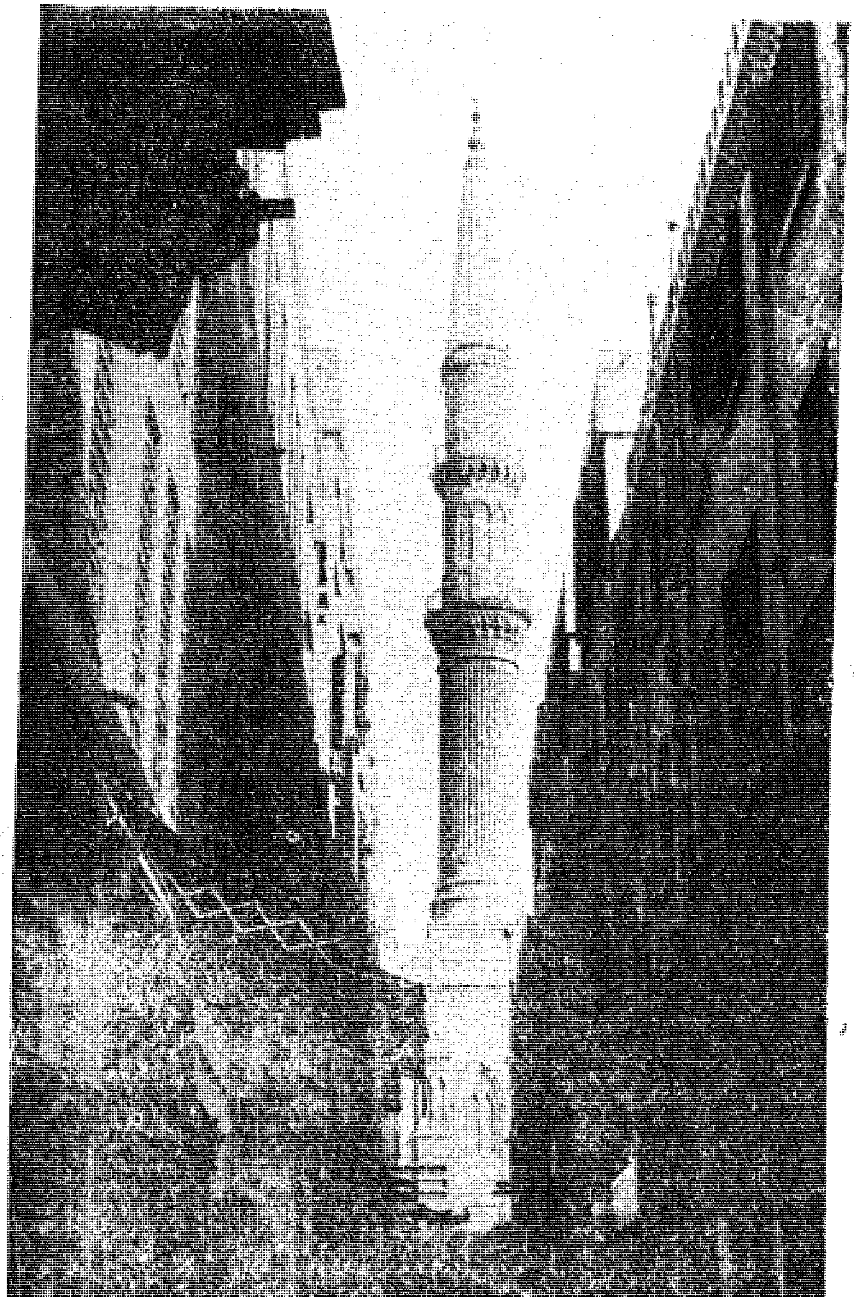
(١) و (٢) « مصر » — زكى سعد واحمد يوسف .

(٣) و (٤) كتاب مصر لزكى سعد وأحمد يوسف .

(٥) فى القرآن الكريم يقول الله لمريم « وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلى واشربى وقرى عينا » .

العبقرية المصرية التى اذهلت العالم واجبرته على التسليم لهـــا بالاعجاز والخلود .

ان مصر بحق جمعت بين مجدين عريقين ووصلت ماضيها المشرق بحاضرها المزهر لتبنى بهما مســتقبلا أشد اشراقا ، وأقوى ازدهارا وأروع فى جبين الدهر حسنا وجمالا ..



مئذنة المسجد الحسينى

(تصوير ك · س · ديرادور)

أشهر الوفود التي قدمت الى مصر

لم تزل مصر كعبة يحج اليها منذ أقدم العصور حتى الآن ، يجد فى رحابها القصاد كل ما ينشدون من أمن وهدوء واستقرار • وقد امتازت الطبيعة المصرية بكرم الضيافة المأثور الذى أضفى عليها جمالا ، وأكسبها فى عيون البلاد هيبة وجلالا ، وترك لها صيتا ذائعا وشهرة واسعة •

وكانت مصر ــ وما زالت ــ ملجأ الأحرار يلجئون اليها حين تضيق بهم السبل ويدركون أن الاخطار قد أحاطت بهم ، وانه لا حيلة لهم الا الفرار من وجه الظلم حتى تواتيهم الفرصة الممكنة فيكروا عائدين الى أوطانهم وقد طهرت من الفساد وخلصت من الأصفاد ، وهم يثنون على ذلك البلد المضياف الذى وجدوا فى ظله المأوى الأمين والمقام الكريم •

ولم يكن استقبال مصر لهؤلاء الوافدين الا مشاركة منها فى تحمل مسئولية النضال فى سبيل الحرية والاستقلال ، فقد قاست مصر من أهوال الاستعمار الشيء الكثير، وأدركت مرارته وقسوته، وجربت أساليبه وألاعيبه ، وذاقت بعد ذلك طعم الحرية بعد كفاح مرير وطويل ، عرفت مصر ذلك فأولت الشعوب الراغبة فى الحرية كل اهتمامها ، وآلت على نفسها أن تكون قاعدة للحرية ينبثق منها اشعاع قوى مضيء ينير الطريق لكل أمة تحاول أن تشق طريقها الى مستقبل زاهر بايمان وعزم ، ولن تكف مصر عن حمل ذلك اللواء الخفاق أبدا فهذا عزم وعهد قطعتهما على نفسها وترجم عنهما رئيسها جمال عبد الناصر فى خطابه بمناسبة عيد العلم السادس فى الخامس عشر من ديسمبر سنة ١٩٦٠ بقوله : « ان

احتفالنا بعيد الفن والعلم اليوم ليس انعزالا عن المعارك التى تدور من حولنا طلبا للحرية ، وانما هو فى تصورى تفاعل معها وتجاوب صحيح مع معاركها الدامية ، بل هو أكثر من ذلك ، هو وعد وهو عهد من شعب هذه الجمهورية العربية المتحدة الذى أدرك دور الفن والعلم فى تحقيق حريته ، وعد وعهد من هذا الشعب الذى يدرك دور حريته التى حصل عليها فى تحقيق حرية غيره من الشعوب المحيطة به ، المتطلعة الى مثل ما يسعى لتحقيقه . وأن القيمة الكبرى لشعب هذه الجمهـــورية العربية المتحدة هو أنه طليعة ، كما أن التبعة الكبرى لهذه الجمهـــورية العربية المتحدة هى أنها قاعدة للحرية ، تلك قيمتها وتلك فى نفس الوقت مسئوليتها وعلى شعبنا ان يتحمل مسئولية أنه طليعة للحـــرية ، وعلى جمهوريتنا أن تتحمل أنها قاعده للحرية ، وان التعاون الحقيقى المنبعث عن عاطفة صادقة فى سبيل الخير والمثل العليا هو هدف نبيل تحققه مصر باستمرار فى هذه الصورة الرائعة التى نراها فى اســـتقبال القادمين وتوديع العائدين ، وهو فى الوقت نفسه خطوة واســـعة نحو تحقيق المبادىء الكريمة السامية من حرية وعدالة ومساواة حاول المجـــاهدون الوافدون تحقيقها وحالت ظروف قاسية بينهم وبين ذلك .

ولم يخل بطبيعة الحال ان يكون بعض الوافدين ممن يحلمون بتحقيق أغراض خاصة بهم ، وقد جاءوا الى مصر يحاولون تحقيق بعض ماكانوا يحلمون به أو يقيمون ريثما يتمكنون من وجود الفرصة المناسبة لتحقيق مايريدون .

ولم تضق مصر بطبيعتها ذرعا بهؤلاء ، فهى لم تغلق فى وجه أحد بابها طالما كان مسلكه حميدا ، وغايته كريمة ، وأمره فوق مســـتوى الشبهات .

والوفادة الى مصر قديمة منذ فجر التاريخ ، ففى السنة السادسة من حكم « سنوسريت » الثانى (الاسرة الثانية عشرة اى فى نحو سنة ١٩٠٠ ق م) وفدت الى مصر قبيلة من أرض كنعان مؤلفة من ســـبعة وثلاثين شخصا بين رجال ونساء وأطفال ووصلت الى اقليم الغـــزالة وهناك استقبلها موظف مصرى اسمه « حيتى » ثم قادها الى حاكم الاقليم الامير « خنومهوتبو » فأحسن مقابلتها ، وأقطعها أرضا تقيم فيها ، وأمر الرسامين بتسجيل هـــذا الحادث رسمـــا فى بعض المقـــابر الموجودة الآن فى قرية تعرف بقرية بنى حسن (احدى قرى محافظة المنيا) فى

ثلاث صور (١) • ويعلق الاستاذ عبد القادر حمزة باشا على هذه القصة فى كتابه (على هامش التاريخ المصرى القديم) قائلا « وأغلب الظن أن وفود هذه القبيلة لم يكن الحادث الفذ الذى حدث من هذا النوع ، بل كانت له أشباه تتجدد بتجدد السنين والشهور لأن القبائل الآسيوية التى كانت ضاربة على حدود مصر الشرقية فى سيناء ، وكنعان كانت تفد على مصر كلما عضها الجوع لتلتمس العيش والمأوى ، فوفود تلك القبيلة لم يكن الا واحدا من حوادث متعددة متجددة •

وقد سبق أن أشرنا الى أن القرآن الكريم سجل حادثة شبيهة بهذه الحوادث ، وهى وفادة أخوة سيدنا يوسف عليه السلام الى مصر حين أجدبت أرضهم ، وانتابها القحط والخراب بقوله « وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون » •

ولما جاء الاسلام اتسعت حركة الوفادة وخاصة بعد أن أصبحت مصر مركزا للخلافة الاسلامية ، وجاء الادباء والشعراء من كل صوب يؤمون الولاة والخلفاء بمدائحهم وينالون جوائزهم • وأقبل العلماء يجدون فى مصر المكان الرحب والصدر الفسيح لعلمهم والمجال الواسع لانتاجهم فيقيمون ويطيب لهم المقام ، وجاء الطلاب يتلقون العلم فى مساجدها ومدارسها ويستمعون الى هؤلاء العلماء ويخرجون ويصبحون رسل ثقافة ومنارات هداية واشراق •

قامت الدولة الاموية سنة ٤٠ هـ بعد كفاح مرير مع آخر الخلفاء الراشدين على بن أبى طالب كرم الله وجهه ومع أبنائه من بعده ، وقد تعهد معاوية بن أبى سفيان للحسن بن على على أن يفى بشروط أملاها عليه الحسن حقنا لدماء المسلمين ، ولكن معاوية لم يحفظ هذا العهد ونكث به ، وأراد أن يجعل الخلافة من بعده لابنه يزيد ، وفى سبيل ذلك ارتكب ما لم يرتكبه خليفة من قبله ، وجاء يزيد ومن بعده من خلفائه وفى قلوبهم من الحقد على الأسرة الهاشمية ما فيها ، وحدثت موقعة كربلاء التى استشهد فيها سبط الرسول صلى الله عليه وسلم الحسين بن على رضى الله عنهما ومعه كثير من أهل بيته وولده ، ولم يطمئن بهذه الاسرة الكريمة المقام بعد أن أدركوا الحقد الذى يتعقبهم به خلفاء بنى أمية وولاتهم ، ووجدوا ان الحجاز لم يعد الموطن الآمن بالنسبة لهم خاصة بعد أن بث الامويون العيون من حولهم خوفا من أن يؤلفوا القلوب ، ويستميلوا النفوس ، ويكونوا جيشا ينقضون به على بنى أمية ليقتصوا

---

(١) كتاب على هامش التاريخ المصرى القديم « لعبد القادر حمزة » •

منهم ، ولم يرضوا أن يكونوا موضع شك أو مثار ريبة وتوجس ، وهم الذين طبعهم الله على العزة والانفة ، وطهرهم من الرجس تطهيرا ، وأكرمهم بالانتساب الى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ٠

فأقبلت وفودهم الى مصر حيث وجدوا فى رحابها الأمن والهدوء ، وكانت مصر فى استقبالها لهم عند حسن ظنهم بها ، فقد رحبت بهم أيما ترحيب وأكرمت وفادتهم وأفسحت لهم صدرها ، ولاقتهم بما يليق بهم وبمجدهم الكريم من حفاوة وتكريم ٠

وبذلك أصبحت مصر دارا للأسرة النبوية المجيدة التى بادلت مصر الحب وأولتها من التقدير ما حفظه لها التاريخ ، وما جعل القلوب تزداد اليها تشوقا وحنينا ، ولم يكن ذلك بالغريب على مصر فهى التى تعودت أن تستقبل الغرباء من كل حدب وصوب فأولى بها أن تستقبل أحفاد الرسول وأهل بيته ، وهم الذين يوصى بهم ويحض على اكرامهم ، وهم الذين نزل القرآن فى شأنهم يعلى منزلتهم ويتوج هام الايام بهم ٠

وأصبحت مصر فى نظر العالم الاسلامى منذ ذلك الوقت رمزا للوفاء والتقديس يتطلع اليها المسلمون فى شتى الاقطار ، لأنها فى نظرهم هى التى حفظت لهذه الاسرة الكريمة جميلها واعترفت بحقها ، وأولتها من العناية والتقدير ، ما يليق بها وبمنزلتها ٠

وأصبحت بيوت الهاشميين فى مصر قبلة يحج اليها المسلمون ، وأضحت قبورهم من بعدهم مثار ذكرى ، ومهبط رحمة ، ومكان قدس ، ومحط آمال ، وكعبة يقصدها الآلاف يستعيدون فيها سيرة رسول الله الكريم ، ويتبركون فيها بآثار عترته الطاهرة الزكية ٠ ولحكمة ما اختص الله مصر بهذه النعمة المباركة ، وأكرمها بتلك الرحمة الشاملة السابغة فما من بلد آخر يشاركها فى ذلك الفضل المأثور ٠ وتلك القباب العالية المتلألئة والمآذن المشرقة السامقة ، والأضرحة الكثيرة المنبثة فى ربوع الوادى ، تشهد أن مصر من غير شك كانت ولا تزال مهبط رحمة الله ومستقر فيضه ونعمته ، فقد أكرمها بأوليائه ، الطاهرين وأصفيائه المقربين ، حتى ان من شاء الله له أن يقبض منهم بعيدا عن مصر قيض الله له من ينقل جسده أو رأسه الشريف اليها ، فقد نقل رأس الحسين رضى الله عنه على يد طلائع بن رزيك نائب مصر فى سنة ٥٥٠ هـ ، وهو الذى بنى المشهد الحسينى بالقاهرة ٠ ذلك المشهد الذى جدده فيما بعد عبد الرحمن كتخدا ، وهو فى مكانه الحالى ، وقد بذل طلائع فى نقله نحو

أربعين ألف دينار ، وخرج هو وعسكرة فتلقاه خارج مصر (١) ، وفى مسالك الابصار ما يؤيد ذلك فقد جاء فيه « مشهد الحسين بعسقلان وكان رأسه بها ، فلما أخذها الفرنج نقل المسلمون الرأس الى القاهرة ، ودفن بها فى المشهد المعروف خلف القصرين (٢) » كما نقل رأس ابنه سيدى على زين العابدين المتوفى سنة أربع وتسعين هجرية، ودفن بمشهده المعروف قرب مجراة القلعة (٣) ، وان كان البعض يقول أن هذا المشهد بنى على رأس سيدى على بن على زين العابدين (٤) ٠

وقد عنى بعض المؤرخين بذكر أسماء من انتقل الى مصر من أسرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، وعدوا منها السيدة زينب ابنة الامام على كرم الله وجهه ، وهى أخت الامام الحسين بن على رضى الله عنهما ٠ جاءت الى مصر فى ولاية مسلمة بن مخلد فى أوائل شعبان سنة ٦١ هـ بعد موقعة كربلاء ، وأقامت فى داره عابدة متهجدة حتى توفيت رضى الله عنها فى ليلة الأحد لأربعة عشر يوما مضت من رجب سنة ٦٢ هـ ، ودفنت بالمكان الذى أقيم حوله مسجدها المعروف باسمها ، وقد ذكر أوصافه على باشا مبارك فى خططه ٠

والسيدة فاطمة النبوية ابنة الامام الحسين بن على ٠ توفيت سنة عشر ومائة للهجرة ، ودفنت بالمسجد المعروف باسمها الآن خلف الدرب الاحمر (٥) ، والسيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على ٠ دخلت مصر مع زوجها اسحاق بن جعفر ، وقيل مع أبيها الحسن ٠ توفيت سنة ثمان ومائتين للهجرة ، ودفنت فى منزلها المعروف بخط درب السباع (٦) ، والسيدة رقية ابنة الامام على كرم الله وجهه ، وكانت لها تكية فى غاية الاتقان بداخلها ضريحها المعروف قرب السيدة نفيسة (٧) والسيدة عائشة النبوية ابنة جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على زين العابدين وأخت موسى الكاظم توفيت سنة ١٤٥ هـ ، ودفنت بالمسجد المعروف باسمها الآن بناحية قره ميدان (٨) ٠

وبديهى أن يكون أكثر من وفد الى مصر من أسرة الرسول نساء

---

(١) مشارق الانوار الشيخ حسن العدوى الحمزاوى ص ١٥٦ ٠

(٢) مسالك الابصار لابن فضل الله العمرى ص ٢١٨ ٠

(٣) و (٤) مشارق الانوار ص ١٥٨ ٠

(٥) الدر المنثور فى طبقات ربات الخدور ص ٢٦٣ ٠

(٦) المصدر السابق ص ٥٢١ ٠

(٧) المصدر السابق ص ٢٠٦ ٠

(٨) المصدر السابق للسيدة زينب بنت على بن الحسين ٠

فان أكثر الرجـــال استشهدوا فى موقعة كربلاء ، ولم يبق من أولاد الحسين رضى الله عنه الا على زين العابدين وكان طفلا مريضا ، ومع ذلك فقد أرادوا قتله لولا أن دافعت عنه عمته السيدة زينب رضى الله عنهـــا دفاعا مجيدا ، وهو الذى حفظ سلالة الحسين رضى الله عنه من الاندثار .

وهكذا ردت مصر الى عترة الرسول صلى الله عليه وسلم اعتبارهم ، وحفظت لهم كرامتهم وحققت معهم قوله صلى الله عليه وسلم وقد اخرجه أحمد فى مسـنده ، « انى أوشـــك أن أدعى فأجيب ، وانى تارك فيكم الثقلين : كتاب الله عز وجل حبل ممدود من السماء الى الأرض ، وعترتى أهل بيتى ، وان اللطيف أخبرنى أنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض ، فانظروا بماذا تخلفونى منهما » (١) .

وتسامع الناس فى مشارق الارض ومغاربهـــا ، بما لمصر من حظ موفور وعز مشهور فأقبلوا زرافات ووحدانا يؤمون ولاتهـــا وأمراءها ، ويتعرفون على مآثرها وآثارها ، ويمتعون أنفسهم بمحاسن جمالها ، ويغنمون فوق كل ذلك وينعمون .

ففى ولاية عبد العزيز بن مروان نرى نصيبا الشاعر يقصده لينال جوائزه ومعروفه ويقول فى وصف حوف مصر :

سرى الهم تثنينى اليك طلائعـــه بمصر وبالحوف اعترتنى روائعـه
وبات وسـادى سـاعدا قل لحمه عن العظم حتى كاد تبدو أشاجعه

وقد أكرم عبد العزيز بن مروان وفادته ورده الى أهله شاكرا بعد أن منحه مالا جزيلا وعطايا كثيرة ... (٢)

ومن قبل نصيب جاء جميل بن معمر الشـــاعر العذرى المشـــهور بجميل بثينـــة وقد أكرمه عبد العزيز بن مروان وقد مات بمصر ودفن فيها . (٣)

وكما جاء جميل صاحب بثينه جاء كثير صاحب عزة وأقام بمصر مدة وأصاب منها ثراء عظيما وحظا موفورا . (٤)

وسمع أبو نواس الشاعر العباسى بكرم الخصيب عامل مصر فى أيام

---

(١) مشارق الانوار ص ١٢٦ للشيخ العدوى .
(٢) الاغانى طبعة التحرير ص ١٠٨ .
(٣) حسن المحاضرة للسيوطى ص ٢٣٩ .
(٤) المفصل فى تاريخ الادب العربى جـ ١ ص ١٧٩ .

الخليفة العباسى هارون الرشيد فقصده ومدحه بعدة قصائد من أبلغ شعره، وحصل من جوائزه ومن جوائز أعيان مصر أكثر من ثلاثة آلاف دينار أنفق أكثرها فى عام قضاه فى الفسطاط ينعم بها ، ويطرب ، ومن شعره الذى يمدح به الخصيب ويذكر فيه مصر قوله : —

تقول التى من بينها خف محملى | عسير علينا أن نراك تسير
أما دون مصر للغنى متطلب | بلى ان أسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بوادر | جرت فجرى فى اثرهن عبير
ذرينى أكثر حاسديك برحلة | الى بلد فيه الخصيب أمير
اذا لم تزر أرض الخصيب رحالنا | فأى فتى بعد الخصيب تزور

وأغلب الظن ان مجىء أبى نواس لم يكن بقصد تحصيل الثراء بقدر ما كان للمتعة بمفاتن مصر وجمالها ، والتمتع بما فيها من روائع ومشاهد ، وهو الشاعر المعروف عنه الحرص على طلب المتعة وتحصيل اللذائذ ٠ والا فقد كان يكفيه المال الذى يحصل عليه من الخلفاء والأمراء فى العاصمة وقد كان الرشيد مشهورا بعطاياه الفائقة وجوائزه الثمينة التى كان يغدقها على الأدباء والشعراء تشجيعا لهم على الافتنان فى الشعر وضروب الأدب ٠

وتتسع آمال المتنبى ويرغب فى الامارة والملك ، ويسعى لذلك جهده عند سيف الدولة الحمدانى أمير حلب ، ولكنه لا يجد عنده بغيته فيحاول أن يجد تحقيق هذه الآمال العريضة فى مصر ، فيولى وجهه شطر كافور الأخشيدى ويقلده من مدائحه دررا ثمينة ، ومنها قوله : —

وفى النفس حاجات وفيك فطانة | سكوتى بيان عندها وخطاب
وما أنا بالباغى على الحب رشوة | ضعيف هوى يبغى عليه ثواب
اذا نلت منك الود فالكل هين | وكل الذى فوق التراب تراب
وما كنت — لولا أنت — الا مهاجرا | له كل يوم بلدة وصحاب

ولم يكن أبو الطيب يؤمل فى كافور ماله أو عطاياه أو هداياه ، فقد كان غنيا بما أعطاه سيف الدولة ، ولكنه كان يريد أن يلى بعض بلاد الصعيد ، وذلك لتحقيق بعض آماله السياسية التى تترامى الى غاياتها البعيدة (١) ٠

ولكن لغايات سياسية أيضا لم يشأ كافور الاخشيدى أن يحقق طلبته ، فقد روى أنه قال له « أنت فى حال الفقر وسوء الحال وعدم المعين سمت نفسك الى النبوة فان أصبت ولاية وصار لك أتباع ، فمن يطيقك ؟

(١) المتنبى للاستاذ محمود محمد شاكر عدد خاص من مجلة المقتطف ص ١٤٧ ٠

وأيأس هذا أبا الطيب فظل ينتظر الفرصة الملائمة للخروج من مصر، حتى واتته في يوم عرفة سنة ٣٥٠ هـ فخرج من مصر بليل ، بعد أن ترك قصيدة يذم فيها كافورا ملقاة على فراشه ٠ ولم تسلم مصر كذلك من ذمه ، فقد جاءها وكله أمل في أنه سيجد فيها رغبته ويحقق طلبته ولكن أميرها اذ ذاك لم يمكنه من غايته ، فأحفظ ذلك نفسه وملأها غما وغيظا ٠ فلم يجد بدا من أن يشفي ذلك كله ــ وهو الشاعر ــ بأبيات يضمنها سبب غيظه ومبلغ غمه وألمه ، وقد يلتمس له العــذر على أية حال ، فانه قد نكب في نفسه وآماله وقلبه وهواه قبل أن يفد الى مصر ثم لم يجد بعد ذلك ما كان يعلل به نفسه من آمال عريضة تعوضه بعض الغبن الذى أحس به على يد سيف الدولة ، وترجع اليه كرامته التى أحس أنه فقدها ، وهو الحريص عليها والمتغنى بها ٠٠ ليس مثل هذا الشخص ملوما اذا ازداد حنقه وغيظه فكفر بالبلاد ومن فيها وتصور محاسنها مفاسد ، ومفاتنها قبائح ، وظن بأهلها الظنون ٠

وليس من الحق أن نبرىء تلك الآونة التى كانت تعيش فيهــــا مصر تحت حكم الاخشيديين من وجود بعض المفاسد التى ظهرت على أيدى هؤلاء الحكام الذين كانوا من المماليك ثم اصبحوا من الملوك ، ولو اننا حاولنا أن نستنطق أى مصرى عاش فى هذه الفترة عن مكنون ضميره لرأيناه يوافق المتنبى فى عتبه على مصر لولا أنه أسرف فى قسوته عليها فى معرض قسوته على كافور ٠

ولئن كان المتنبى قد فاتته الامارة فى مصر فان الغنى والثروة والمقام اللين لم يفته ، ولقــــد أجازه كافور وأكرمه وأعطاه من المال ما كان كفيلا بأن يرضى غيره من الشعراء ، ولكننا لا نستطيع أن نجبر الحاكم ، وهو السياسى الذى ينظر بمنظار السياسة الى بواطن الامور على أن يولى طامعا فى الولاية مقابل أن يمدحه بشعره ، ويبالغ فى الثناء عليه ٠

فسواء رضى المتنبى أو لم يرض ، فحسب مصر أنها أكرمت وفادته ، ولم تغلق فى وجهه أبوابها ، وأعطته من خيرها وبرها الشىء الكثير ٠

وظلت مصر هكذا حريصة على عهدها تستقبل وفود القادمين من شتى بقاع العالم العربى والاسلامى وغيرهما ، وتطور هــــذا العهد حتى أصبح رسالة سامية تؤديها ، وبذلك أصبحت قلعة للحرية ومعقلا للأحرار فى تاريخها القديم والحديث على أن مدلول هذه الرسالة قد اتسع فيما بعــد حتى أصبحت شيئا مأثورا فى المجال الدولى ٠

الرحلات الى مصر :

ان المتتبع لأخبار الرحلات فى التاريخ يدرك ما كان لمصر من منزلة تفرض نفسها على الرحالة والسائحين ، وتجبرهم على أن نكون أول ما نتجه اليه أنظارهم ، وتتحرك ، اليه هممهم وخواطرهم ·

فابن حوقل الذى عاش فى أواسط القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) يشير فى كتابه (المسالك والممالك) عند وصوله الى مصر الى خصوبة تربتها ونضارة زرعها وكثرة خيراتهـــا ، ولم يترك فى حديثـه الاشارة الى الثروة الحيوانية فى مصر كما أشار الى ما يصنع فى مدينـة تنيس ودمياط من فاخر الثياب ، ويقول : « ربما بلغت الحلة من الثياب مائتى دينار اذا كان فيها ذهب ، وقد يبلغ ثمن مالا ذهب فيها مائة دينار أو أكثر » وهذا دليل على مابلغت اليه مصر من رقى وارتفاع فى مستوى المعيشة فى ذلك العصر» كما خص الاسكندرية بذكر مشوق ،ووصفها بأنها مدينة رسومها بينة وآثارها ظاهرة تنطق عن ملك وقدرة وتعرف عن تمكن فى البلاد وسمو ، وتفصح عن عظة وعبرة ، واستشهد فى وصفها بهذا البيت :

فلو سئلت عن أهلها لرأيتهـــا مخبرة عن حالهم بالعظـائم (١)

وجاء الادريسى المتوفى عام ١١٨٠ م الى مصر ، ووصف النيل ، كما تعرض للثروة السمكية الموجودة فيه وأنواعها وأشكالها ، ووصف مدينة الفيوم وما فيها من فواكه وغلات ·

وجاء الرحالة ابن جبير المتوفى عام ١٢١٧م أيضا الى مصر ، وأخذ بمنظر النيل الساحر ، وبعد أن زار الاسكندرية توغل فى بلاد الوجـه البحرى ، ووصل الى مدينة دمنهور ، وهى على حد تعبيره ، بلد مسور فى بسيط من الارض فسيح ، كما وصف كثيرا من المدن والقرى الواقعة على النيل ، وقد صور حياة المصريين وأعمالهم وبيوتهم وقصـــورهم وآثارهم ومساجدهم أروع تصوير · (٢) ·

والقزوينى المتوفى عام ١٢٨٣هـ ــ رحل الى مصر وتحدث عن النيل حديثا مستفيضا وقال عنه : « ليس فى الدنيا نهر يصب من الجنوب الى

(١) دائرة معارف الشعب كتاب رقم ٤٩ عن كتاب (المسالك والممالك) لابن حوقل ·

(٢) المرجع السابق ·

الشمال ، ويمد فى شدة الحر حين تنتقص الانهار كلها ويزيد بترتيب وينقص بترتيب غير نهر النيل » (١) ٠

كما وصف ابن بطوطة المتوفى عام ١٣٧٨ م مصر فى رحلته وصفا جميلا وكان مما قاله فيها « هى أم البلاد وقرارة فرعون ذى الاوتاد ، ذات الاقاليم العريضة والبلاد الاريضة ، المتناهية فى الحسن والنضارة ، مجمع الوارد والصادر ، ومحط رحل الضعيف والقادر ، تموج موج البحر بسكانها ، وتكاد تضيق بهم على سعة مكانها ، وشبابها يجدد على طول العهد ، وكوكب تعديلها لا يبرح عن منزل السعد ٠ قهرت قاهرها من الأمم ، وتملكت ملوكها نواحى العرب والعجم ، ولها خصوصية النيل التى جل خطرها ، وأغناها أن يستمد القطر خطرها ، كريمة التربة ، مؤنسة لذوى المتربة » ، وفيها يقول الشاعر : ـ

لعمرك ما مصر بمصر وانما
هى الجنة الدنيا لمن يتبصر

فأولادها الولدان والحور عينها
وروضتها الفردوس والنيل كوثر ٠

وفى حديثه عن طبيعة مصر يقول « وأهلها ذوو طرب وسرور » كما انه وصف المصريين بكرم الضيافة فهو يتحدث عن مدينة ملوى قائلا : وبهذه المدينة احدى عشرة معصرة للسكر ، ومن عاداتهم أنهم لا يمنعون فقيرا من دخول معصرة منها ، فيأتى الفقير بالخبزة الحارة فيطرحها فى القدر التى يطبخ السكر فيها ثم يخرجها وقد امتلأت سكرا فينصرف بها (٢) ٠

ولم تقتصر الرحلات الى مصر على الرحالة من العرب ، ولكن هناك أجانب وفدوا الى مصر فى رحلاتهم ، وتحدثوا عنها فى افاضة واسهاب ٠ فمنهم ، «بروس» المتوفى عام ١٧٩٤ م ، وقد سافر الى الاسكندرية عام ١٧٦٨ م وزار الاقصر بعد ذلك وعبر الصحراء قاصدا القصير ومنها الى جده (٣) ٠

و « براون » المتوفى عام ١٨١٣ م زار فى رحلاته مصر ، وقد نشر

---

(١) رحلة ابن بطوطة ٠

(٢) رحلة ابن بطوطة ٠

(٣) المرجع السابق دائرة معارف الشعب ٠

كتابا فى عام ١٧٩٩ م بعنوان رحلات فى افريقية ومصر وسورية ، وأفاض فى حديثه عن مصر (١) .

وفى العصر الحديث قبل قيام الثورة شهدت مصر مطلع الحرية العربية بالحركات التى قامت لتحرير الوطن العربى على أيدى رجال قدموا اليها ، لانهم وجدوا فى مصر مجالا واسعا لدعوتهم ، وان مصر التى آلت على نفسها منذ أصبحت مركزا للخلافة الاسلامية أن تكون حرما آمنا لكل لاجىء اليها لم تحنث فى العهد الذى قطعته على نفسها ، حتى ولو كانت تحت سيطرة حكومة باغية جائرة ، أو فى ظل حكم رجعى قاس .

ففى عام ١٨٦٩ م اتجه جمال الدين الافغانى الى مصر ، وكانت شهرته قد سبقته اليها ، وكان مجيئه بدءا لتنبيه القلوب ، وتحرير الاذهان ، وتخفيف حجب الغفلة التى كانت سائدة فى ذلك الوقت ، ولكن دعوته لم تصادف قبولا من القائمين بالأمر فذهب الى استانبول ولكنه عاد الى مصر مرة أخرى فى عام ١٨٧١ م وفى هذه المرة التف حوله كثيرون من طلبة العلم ففتح عيونهم على حقيقة وجودهم ، وأزال الغشاوة التى كانت مغطية عليها ، ونبههم الى الاخطار المحدقة بهم ، ونفخ فيهم من روحه وأثار فيهم حمية الوطنية والغيرة على الدين ، وقد استطاع جمال الدين الافغانى بخطبه الملتهبة ودروسه القيمة ، وأحاديثه الشيقة أن يبعث فى النفوس نزوعا الى الحرية ورغبة فى تحقيق العدالة .

وتعلق هو بالشعب المصرى تعلقا شديدا ، وأحبه حبا جما ، لانه وجد أن تعاليمه التى يجاهد من أجلها لا يمكن أن تثمر الا فى مصر ، وما من قطر من أقطار الشرق أثر فيه جمال الدين مثل تأثيره فى مصر فهو من أوائل العاملين على تطور الروح الوطنى فى هذه البلاد ، وقد وجد استجابة من جانب الشعب المصرى فى ذلك فبدأ الناس ينتقدون الحكام علانية وكان لذلك أثره فيما بعد حين اشتعلت الثورة العرابية المشهورة . ومن الطبيعى ألا ترضى تصرفات جمال الدين الافغانى الحكام المستبدين بعد أن رأوا الخطر المحدق بهم من وراء تعاليمه التحريرية الثورية ، فصدرت الأوامر بابعاده من مصر فسافر متجها الى الهند ، ولكن تعاليمه ظلت من بعده قوية ناصعة حتى وجدت الفرصة مهيأة للاعلان عن نفسها فى شكل ثورة عرابى ، وفى شكل الافكار التقدمية التى شاء الله لها أن تظهر فيما بعد على يد من ساروا على هديه وآمنوا بتعاليمه فقاموا بثورة يوليو سنة ١٩٥٢ م .

---

(١) دائرة معارف الشعب كتاب رقم ٤٩ ص ٢٩١ وما بعدها .

وتبع الافغانى فى المجىء الى مصر عبد الرحمن الكواكبى ، وهو أحد الابطال الاحرار الذين ثاروا على الظلم ، ونددوا بالعسف الاستعمارى ، ونبهوا الشعب العربى الى حقوقه وواجباته ، وثاروا ضد الظلم العثمانى ممثلا فى السلطان عبد الحميد ولم تجد معه الوعود المغرية ولا التهديدات المتوالية ، ونصب نفسه محاميا يحامى عن المظلومين ويدافع عن المضطهدين حتى أوغر صدور الحكام فضيقوا عليه الخناق ، فلم يجد أمامه سوى القاهرة ليواصل كفاحه فيها مع زمرة من المصلحين الذين التقت قلوبهم بقلبه ، جاء الى المجتمع الذى كافح فيه جمـال الدين الافغانى ومصطفى كامل ومحمد عبده ، وظل يجاهد حوالى عامين حتى توفى عام ١٩٠٢ ، بعد أن ترك أول دعوة الى مؤتمر اسلامى سياسى اقترحه وصوره فى كتاب «أم القرى» وترك كتاب « طبائع الاستبداد » صور فيه الظلم والظالمين ، وحث على مقاومة المستبدين ٠

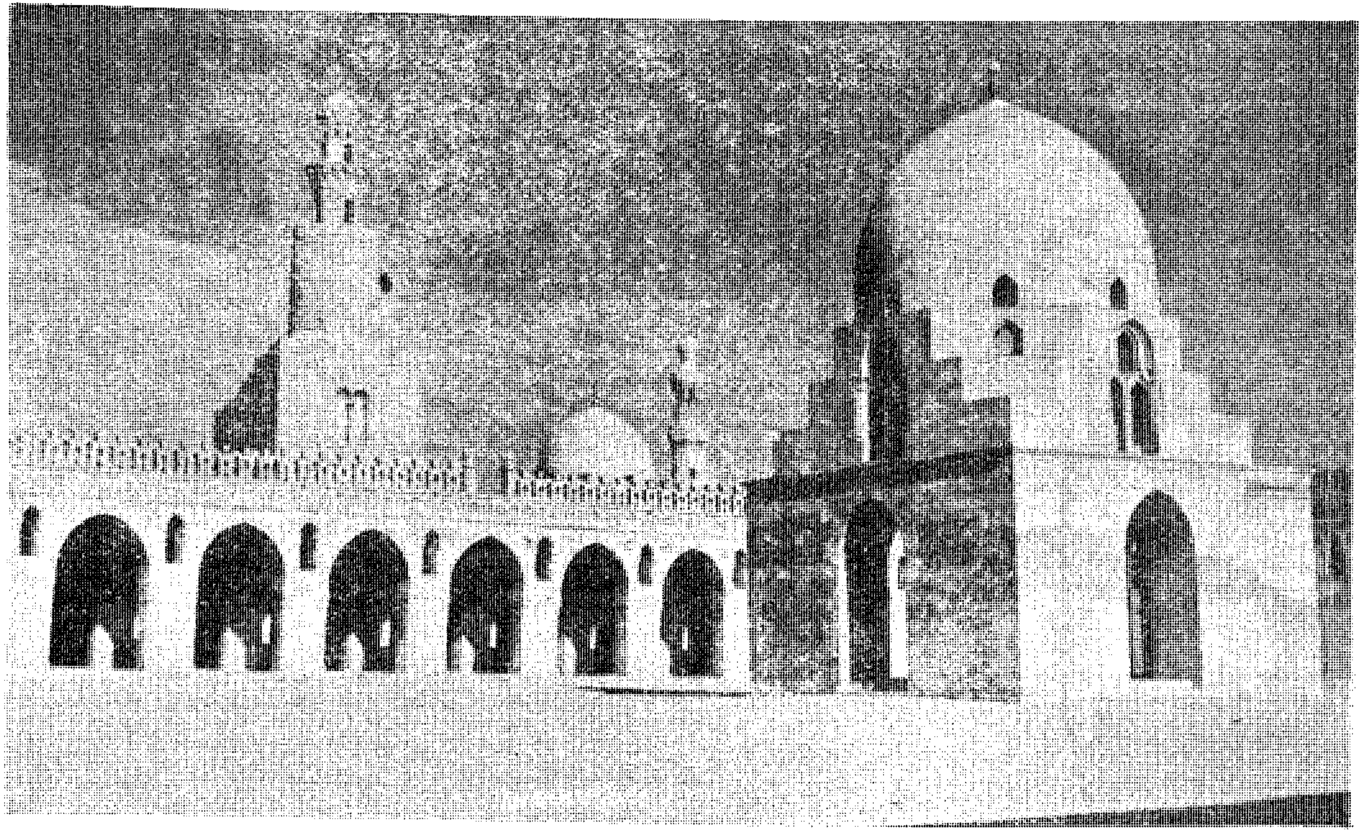
ويعد الافغـانى والكواكبى من الرواد الذين حاولوا بعث القوميه العربية واشعال فكرتها مستنهضين الهمم نحوها والاخذ بأسبابها ، فهى الطريق الوحيد للوصـول بالعرب الى عزتهم وكرامتهم ٠ ويعتبر هذان المثلان قدوة طيبة لمن جاء بعدهما وتتلمذ على أيديهما من القادة والساسة والمصلحين ، وقد لبى دعوتهمـا فى كل قطر عربى كثـير من الاحرار ، ووجدوا فى مصر المكان المهيأ لفكرة ناصعة قوية حاول الاستعمار خنقها فلم يفلح وهيهات للباطل أن يخنق الحق مهما أوتى من قوة وسلطان ٠

وتحت الضغط الاستعمارى الايطالى فى ليبيا اضطر كثير من الزعماء الليبيين الى اللجوء الى مصر وأخذوا يستنصرون لبلادهم القوى التى تعينهم على تحقيق استقلالهم وجاء عمر المختار فى سنة ١٩٢٢ م الى أرض الكنانة ليتزود للجهاد ، وليدعو رفاقه الى العودة للوطن ويحضـهم على النضال ، وقوبل فى مصر مقابلة كريمة تليق بشرف غايته وسمو دعوته ، ثم عاد الى ليبيا ليستأنف جهاده ، ويعلن الحرب على الايطاليين ، حتى خر صريعا على يد هؤلاء المستعمرين بعـد حياة حافلة بالجهـاد والكفاح الشريف العادل ٠

وكانت ثورة يوليو ١٩٥٢ فى مصر فاتحة عهد جديد فى تاريخ الامة العربية ، فقد أشرقت معها شمس القومية العربية التى سبق التبشير بها، والتى تنادى بالعزة والكرامة والتحرر ، وكان ان تجاوب معها الاحرار فى كل قطر عربى يحاولون أن يسيروا على منوالها ، ويهتدوا بهديها ٠

لقد صارت مصر قاعدة للحرية تشع على كل بلدان العـــالم نورا وهديا وايمانا ، وتنادى على لسان قائدها « ان يدى فى يد كل وطنى حر مخلص لبلاده » لقد اتجهت الاذهان اليها من جديد ، واشرأبت الاعنـــاق ترقب مطلع هذا العهد الســـعيد ، وكان لاصلاحاتها الثـــورية المتوالية واشعاعاتها القوية المشرقة ، ومبادئها السليمة الهادية ، صدى عميق الاثر تهتز له نفس كل أبى ، وتتجاوب معه روح كل عربى ٠

وقصدتها الوفود مجددة العهود وبانية الآمال ، واتسع نطاق العمل الثورى حتى تعدى حدود الوطن العربى الكبير وشمل القارتين الافريقية والآسيوية ، وانعقدت المؤتمرات وتعددت الرحلات ، وكثرت الزيارات ، وأشرقت شمس مصر باعتبارها قلب العالم العربى وقلب العالم الافريقى والآسيوى، تهدى من مبادئها تحية الكيان الانسانى وتبعث سلام التعايش السلمى ، وتبشر بنور رسالة جديدة لا تلبث أن يعم نورها الآفاق فيبدد ما فيها من ظلم وجور واضطهاد ٠



منظر داخلي لمسجد أحمد بن طولون

(تصوير ك · س · ديرادور)

قلب العروبة النابض

ظلت مصر ولاية تابعة للخلافة الاسلامية مدة الخلفاء الراشدين ، وخلفاء بنى أمية وصدرا من عهد خلفاء العباسيين ·

ولم تتوان طوال هذا العهد من أن تقوم بواجبها ــ باعتبارها جزءا من الامة العربية الكبرى ــ خير قيام ، وكانت تنظر الى القاعدة التى تنبثق منها أضواء الخلافة نظرة اكبار واجلال ، سواء أكانت هذه القاعدة هى المدينة المنورة ، أم دمشق ، أم بغداد ·

وكان لماضى الشعب المصرى فى العلوم والفنون أثر كبير فى حمل رسالته العلمية والتقدمية ، والمضى بها الى الامام لتنير للشعوب العربية فى جميع أجزاء الوطن العربى طريق المستقبل المشرق ·

ولم تستطع شمس دمشق أو بغداد أن تكسف هذه الانوار المتدفقة من شواطىء النيل فقد كان الولاة فى مصر يعملون بكل ما أوتوا من قوة على أن تظل مصر زينة الدنيا ومنارة العرفان ·

وتسابق هؤلاء الولاة فى استقدام الأدباء والشعراء ، وفى بناء القصور والمساجد ، وفى الافتنان فى انشاء الحدائق والمتنزهات ، وفى العناية بمظاهر العظمة والسلطان حتى حدث كما أشرنا سابقا أن وجد الشعراء لأنفسهم مجالا آخر غير مجال الخلفاء فى دمشق وبغداد يثرون عن طريقه ، ويتسلقون قمة المجد والشهرة · كما حدث بالنسبة لجميل بثينة وكثير عزة ونصيب بن رباح وأبى نواس وغيرهم من الشعراء الذين قدموا الى مصر ومدحوا ولاتها ونالوا جوائزهم · هذا غير من كان يفد الى مصر

من العلماء والمتعلمين والوجهاء والمتنزهين وسوى هؤلاء من ولد بها ونشأ فيها من العلماء والادباء ونبغ وأنتج •

ولم تغب روعة مصر عن بال الخلفـاء أنفسهم ، خاصة لان بعضهم كان قد قصد اليهـا قبل خلافته مثل عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ومعاوية بن أبى سفيان وغيرهم ، كمـا رغب فى زيارتها بعض الخلفاء للتعرف عليها والتنعم بمظاهرها ، وقد زارها الخليفة المأمون العباسى ومكث بها زمنا وأعجبته مباهجها ، ولكنه حاول أن يفضل بغداد عليها ، وقد وردت عنه قصة فى ذلك ذكرها صاحب نهاية الارب(١) فقال : «قال سعيد بن عقبة كنت بحضرة المأمون وهو فى قبة الهواء ، فقال : لعن الله فرعون حين يقول : أليس لى ملك مصر ؟ فلو رأى العراق ! فقلت يا أمير المؤمنين : لا تقل هذا فان الله عز وجل يقول : ودمرنا ماكان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون ، فما ظنك بشيء دمره الله وهذا بقيته ؟ قال : ثم قلت : لقد بلغنى أن أرضا لم تكن أعظم من مصر ، وجميع أهل الارض يحتاجون اليها ، وكانت الانهار بقناطر وجسور وتقدير حتى أن الماء يجرى تحت منازلهم ، وأفنيتهم يحبسونه متى شاءوا ويرسلونه متى شاءوا ، وكانت البساتين بحافتى النيل من أوله الى آخره ما بين أسوان الى رشيد الى الشام متصلة لا تنقطع ، ولقد كانت الأمة تضع المكتل على رأسهـا فيمتلىء مما يسقط من الشجر » ويعقب النويرى صاحب نهاية الأرب بعد أن عدد جملة من أوصاف مصر بقوله فهذه نبذة من فضائل مصر ، ولولا الرغبة فى الاختصار لكانت فضائلها تكون كتابا منفردا •

ونضيف : فما بالكم لو رأى سعيد بن عقبة والنويرى مصر فى أيامنا هذه ؟

وكانت مصر تعتبر مركزا هاما بالنسبة للامة العربية الكبرى فعن طريقها ترتبط أجزاء هـذا الوطن العربى الكبير ، وعن طريقهـا يسافر الراغب فى أداء فريضة الحج المقدسـة وفى ذلك يقول القلقشندى : ان مصر مع ما اشتملت عليه من الفضائل وحفت به من المآثر أعظم الاقاليم خطرا وأجلها قدرا وأفخمهـا مملكة وأطيبها تربة وأخفها ماء وأخصبها زرعا وأحسنها ثمارا وأعدلها هواء ، وألطفها ساكنا ، ولذلك نرى الناس يرحلون اليها وفودا ، ويفدون عليها من كل ناحية ، وقل أن ينزح منها من دخلها أو يرحل عنها من ولجها ، مع ما اشتملت عليه من حسن المنظر

(١) نهاية الارب فى فنون الادب للنويرى ص ٣٤٢ جـ ١ طبعة دار الكتب •

وبهجة الرونق لاسيما فى زمن الربيع (١) ، ويقول فى موضع آخر ...
والقاهرة اليوم أم الممالك وحاضرة البلاد وهى وقتنا هذا دار الخلافة ، وكرسى الملك ، ومنبع الحكماء ، ومحط الرحال ، ويتبعها كل شرق وغرب خلا الهند فانه نائى المكان ، بعيد المدى . وتقول لم نعد الهند الآن بعيدة المدى بل أصبحت ترتبط بمصر ارتباطا وثيقا فى كثير من مجالات الحياة المختلفة .

كما ان مصر فى ذلك الوقت بالذات كانت تقوم بدور خطير فى تعمير الحرمين الشريفين ، وامداد سكانهما بما يحتاجون اليه من ضرورات الحياة ويقول النويرى فى نهاية الارب « من فضائل مصر أنها تمير الحرمين الشريفين ولولا مصر لما أمكن أهل الحرمين وعمالهما المقام بهما ، ولما توصل اليهما من يريد من أقطار الأرض (٢) .. وقال ابن زولان فى كلام له عن محاسن مصر « ومن ذلك الاقوات والميرة التى لا قوام لأحد الا بها ، فان مصر تمير أهلها والساكنين بها وبأعمالها وتمير الحرمين الشريفين والوافدين اليهما من الأقطار وما تجد بلدة الا وتصل اليها ميرة مصر (٣) .

وظل الأمر على هذا المنوال طيلة فترة تبعيتها للخلافة وتقدر بحوالى قرنين من الزمان ، حتى اذا أمكنت الفرصة أحمد بن طولون من استقلاله بمصر سنة ٢٥٥ هـ (٤) أصبحت مصر دولة مستقلة عن الخلافة ، فاتسع سلطانها ونافست بغداد فى عظمتها ورقيها ، وازدادت نبعا لذلك أعباؤها، فلم يكن استقلالها فرارا من واجباتها ازاء الدولة العربية الكبرى ولكنه كان طليعة لأن تقوم بدور أكبر فى حياة الأمة العربية ، فقد أسس أحمد ابن طولون مدينة القطائع وأشرقت الحضارة العربية فى سمائها ، وجمعت فى أرجائها بدائع الفن وروعة الحضارة واشراقة المجد ، ومسجده القائم الى اليوم مظهر من مظاهر الحضارة التى كانت ، ويتميز هذا المسجد بمئذنته الفريدة فى وضعها الهندسى .

وقامت بعد ذلك دولة الاخشيد فى الوقت الذى تفرقت فيه وحدة الأمة العربية وأصبحت مقسمة الى أجزاء بعد أن انفصمت عرى الخلافة وطمع كل أمير فى استقلال ما تحت يده من امارات ، وقد اتسع عمران مصر وعظم أمرها وقوى جيشها حتى أصبحت فيما بعد مثابة للناس وأمنا .

---

(١) صبح الاعشى ص ١٨٥ جـ ١ طبعة دار الكتب ، وطبعة الدار القومية .
(٢) نهاية الارب جـ ١ .
(٣) النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٤٥ .
(٤) بدائع الزهور ص ٢٦ .

وبعد أن ابتليت الأمة العربية بالتتار ، ودخلوا بغداد فى عهد آخر خليفة عباسى سنة ٦٥٦ هـ (١) ، ولجأ الى القاهرة حيث كان يحكمها فى ذلك الوقت الظاهر بيبرس البندقدارى ، فأكرم وفادته ، وبايعه بالخلافة فى مجلس كبير جمع فيه علماء مصر وقضاتها وأعيانها ومن يومها أصبحت مصر مركزا للخلافة الاسلامية وعاصمة للدول العربية ، ولم تزل كذلك حتى الآن ــ يقول القلقشندى تعقيبا على استقرار الخلافة فى مصر « أما الآن فقد استقرت دار الخلافة بخط المشهد النفيسى بين مصر والقاهرة ولا أخلى الله هذه المملكة من آثار النبوة (٢) »

وفى أحلك العصور التى مرت بالأمة العربية ، وابتليت فيها بالمحن القاسية ، وكادت شمسها أن تغيب قيض الله لها مصر ، فهى التى حفظت للعروبة مجدها ، وحملت لواء الشعلة العربية المقدسة تضىء بها الطريق ، حتى أذن الله لهذه الغمة أن تنجلى وهذه السحب أن تبدد ، وبذلك عادت للعروبة شمسها المشرقة الساطعة ٠

ان مصر تعتبر قلب العروبة النابض ، وبما أتاح الله لها من فرص مهيئة مكنتها من الاحتفاظ بقداسة هذا الدين وجوهر هذه الأمة ، أولت العالم العربى كل أهميتها ، وآلت على نفسها أن تكون عند وعدها الذى قطعته على نفسها باعتبارها مركزا للعالم الاسلامى منذ وطئت أقدام آخر خليفة عباسى أرضها ، وباعتبارها حفيظة على العروبة التى تسرى فى دمائها وتتغلغل فى كيانها ، وباعتبارها جزءا من الأمة العربية الكبرى التى كتب الله لها أياما مشرقة مجيدة ، وعلمت العالم كله معنى الحضارة والحرية ، ولقنته دروسا فى المثل العليا والقيم الاخلاقية ، وأحيت فيه معانى الكرامة والنبل ، وبعثت فيه انسانيته وأرته طريق العلم والتقدم ، وباعتبارها مع كل ذلك مؤمنة بتعاليم رسالاتها السمحة ومبادئهـــا الكريمة المنبثقة من تراثها العربى الكريم ، وباعتبارها تنادى بالوفاء والمودة والتضامن ٠

ولذلك خاضت فى سبيل ذلك كثيرا من المعارك الطاحنة ، وقاست ضروبا من الكفاح والصراع ضد أعداء العــروبة فى الداخل والخارج قديما وحديثا ، وضد عوادى الزمن ، ودواعى الفرقة ، وعوامل الانحــلال ٠ وخرجت من تلك المعارك منتصرة صلبة العود قوية العزيمة ، لأن الصراع فى طريق الحق لا يزيد القلوب الا تصميما ، ولا يكســب النفوس الا صلابة وقوة ٠

---

(١) و (٢) صبح الاعشى ٠

والقاهرة هي اليوم مركز الاشعاع بالنسبة للعالم العربي والاسلامي بل لقد اتسعت اشعاعاتها فشملت كل الشعوب المتطلعة للحرية والاستقلال المحبة للسلام في افريقيا وآسيا وغيرهما ·

وثورتها اليوم قد علمت غيرها من الثورات كيف تكون ناجحة ومصلحة ، ومهدت الطريق أمام كل الشعوب المتطلعة للحرية لان تسلك طريقها على بينة ووضوح ، لذلك اتجهت اليها قلوب هي في أمس الحاجة الى ايمان قوى بها وبالقومية العربية التي تبشر بها ، وبالرسالة التي تؤمن بمبادئها ·

وما زالت كلمات رئيسها من فوق منبر الأمم المتحدة ترن في أسماع العالم حتى الآن ، وتجد طريقها الى قلوب الشعوب بسرعة عجيبة · فلم يتعودوا ان يسمعوا من قبل ذلك كلاما يبشر بالأمل ويجلو صدأ المادة ويزيح ركام الزيف والتضليل ، ويبين للشعوب حقها ، ويأخذ بأيديهم اليه ، ويهتف بأمجاد العدالة الاجتماعية وينادى بحياة أجمل ومستقبل أفضل مما سمعوا من كلمات الرئيس ·

لم يتعودوا ان يسمعوا ذلك من قبل في ذلك المكان ، ولكنهم كانوا يسمعون خطبا جوفاء ، وعبارات خالية من المدلولات ، ووعودا زائفة ، ومهاترات تزيد من أمد الخصومات ·

تلك هي مصر وهذه هي مبادئها فلماذا لا تتربع على عرش القلوب ؟ ولماذا لا نهفو اليها أفئدة الشعوب ؟ ولماذا لا تكون قلبا نابضا بالحياة لكل عربي ، ورمزا للعزة والكرامة لكل أبي ؟

وقد نشرت صحيفة الجمهورية (١) في يومياتها بقلم ناصر الدين النشاشيبي ما يشير الى هذا المعنى تحت عنوان « هذا بلد الاشعاع » وقد جاء فيه : « المهمة الحقيقية لوفد الجزائر الذي يزور القاهرة حاليا هي التعرف على القاهرة ، ولا يقتصر معنى التعرف على زيارة منطقة الهرم والقناطر الخيرية وقلعة صلاح الدين ، بل هو التعرف على جوهر القاهرة ، لروحها ، لرحاب جامعاتها ، لحقيقة رسالتها ، لفلسفة ثورتها ، لأحاديث زعمائها للجو الذي تعمل فيه اذاعتها ، للشعارات التي ترفعها أنديتها ومحافلها ، لمصانعها الحربية ، لأبحاثها العلمية ، لحضارتها الاسلامية الخالدة ، لسر هذه التي أصبحت بلد الاشعاع لدنيا آسيا وأفريقيا على

---

(١) عدد ١٣ ابريل سنة ١٩٦٣ ·

السواء . وما يقوم به وفد الجزائر فى زيارته اليوم قد قام بمثله كل وفد عربى مشى الى القاهرة منذ ثورة ٢٣ يوليو ، هكذا فعل وفد المغرب ، ووفد اليمن ، ووفود العراق ولبنان والجزيرة العربية وفلسطين والأردن والخليج العربى وتونس والسودان . كلهم جاءوا الى القاهرة يبحثون عن سرها ، عن اشعاعها ، عن روحها ، عن معالم حياتها ، فاستلهموا منها الكثير ووجدوا على أرضها لغة أصيلة ودينا أصيلا وثقافة خالدة وفنا عظيما وعفولا تعدت السدود والحدود ، وغزت آفاق الأدب فى أكثر من عاصمة فى الشرق والغرب ، وشاهدوا دورا ، للنشر تنتج فى كل يوم ثلاثة كتب جديدة (أو أكثر) ودورا للصحف تخرج كل يوم خمس صحف بمختلف اللغات ودورا للأدب والحياة ... هذه هى القاهرة ، وعندما أقول القاهرة أعنى كل شبر فوق أرض هذه الجمهورية . فالباحث عن البطولات يذهب الى بور سعيد ، والباحث عن الآثار يطير الى الأقصر ، والباحث عن أحلى سوار لأحلى حسن يذهب الى الاسكندرية ... وما أكثر ما سمعت عن أشخاص فى أقاصى الدنيا يسألوننى عن القاهرة حتى (الصهاينة) أعداؤنا ما زالوا يبكون ويترحمون على (أيامهم فى مصر) ، وقد نجد مدنا كبيرة كنيويورك مثلا بلا روح ، وقد نجد مدنا صغيرة بلا شمول ولا عمق ولا اتساع ، ولكن القاهرة جمعت فى يد واحدة سر الملايين ، وجمعت فى اليد الأخرى سر الحياة والعلم والحضارة والمدنية والاشعاع الكبير ... »

ولهذا المركز الخطير الذى تتمتع به مصر تؤمن ايمانا لا حد له بضرورة التعاون بين الشعوب على أسس كريمة دعامتها المحبة والسلام والرغبة فى ايجاد عالم أفضل وهى على هذا الاساس تقيم علاقاتها مع الدول المختلفة ، وتحاول أن تختط لنفسها طريقا متميزا واضحا يعرفه الاصدقاء والاعداء على السواء ، وان يكن لذلك من أثر فاننا نلمسه فى المبادىء التى تنادى بها بلادنا منذ مؤتمر باندونج حتى اليوم ، تلك المبادىء المنبثقة من ضمير حر يدرك قيمة الانسان ، ويعرف للانسانية حقها ويقدر المثل العليا والقيم الاخلاقية حق قدرها .

وكل دولة تبنى نفسها وترسم خطواتها وتحدد معالم طريقها على هذا الاساس لابد أن تجنى من الثمرات ما يكفل لها تحقيق العزة والكرامة الوطنية ، ولابد أن تحظى بتقدير خصومها ، قبل أن تظفر بتقدير أصدقائها .

وهذا هو الذى كان فان الرغبة الاكيدة التى تحفز قادة الشعب الى

أن يصلوا بشعبهم الى غايته المرجوة من الكمال والمجد ·· هذه الرغبة قد دفعتهم الى أن يحددوا معالم الوصول اليها من أقرب طريق ·

وأقرب طريق هو الطريق الطبيعى الذى أوصت الشرائع كلها على سلوكه لا التواء ولا تعسف ولا غموض ولا لعب بالمقدرات ولا استغلال ولا عبث بالكرامات الانسانية ولا وعود باطلة ولا تضليل ولا غير ذلك مما تنتهجه الدول والحكومات الاستعمارية والرجعية والانتهازية · لاشىء من ذلك كله جعله قادة الشعب المصرى نصب أعينهم حينما أرادوا أن يصلوا بهذا الشعب الى غايته المرجوة من الكمال والمجد ·

وعلى هذا الأساس السليم أقام الشعب المصرى علاقته مع الدول فوجد تجاوبا من كل الشعوب المحبة للحرية والسلام ، ولا أدل على ذلك من موقف تلك الشعوب أيام العدوان الغادر على مصر عام ١٩٥٦م فان دولة واحدة فى منظمة الامم المتحدة لم تستطع أن تؤيد تلك الحملة الغادرة، وأن الضمير العالمى يومئذ شعر بهزة عنيفة جعلته يصرخ فى وجوه المعتدين : أن ارفعوا أيديكم عن مصر ، وكان الانسحاب المخزى ، وكانت الهزيمة المرة ، ومن يومها تحولت هذه الدول المعتدية الى دول من الدرجة الثانية ، ولم ترفع رأسها من الرغام الذى وضعها فيه حكامها الآثمون ·

ان الأدلة على زيادة التعاون بين مصر وغيرها من الشعوب كثيرة جدا ونراها فى مظاهرها المختلفة فى صور الوفود الذاهبة والآيبة ، وفى المؤتمرات المتعددة وفى المهرجانات والمعارض الكثيرة ، وفى البعثات العلمية والتجارية والثقافية · فى الانتفاع بالخبرات والكفاءات ، فى تبادل الجهود والخدمات ، فى ازدهار حركة السياسة وتنشيطها وحركة الصناعة وتقدمها والنواحى العمرانية والزراعية والاقتصادية والفنية ، وغير ذلك من مظاهر التعاون الايجابى المثمر ·

والمتصفح للصحف اليومية يرى الدليل الملموس على صدق هذا القول ، فقد نشرت صحيفةالأخبار(١)، ذات يوم ما يلى : « ·· تقرير اقامة اسبوع للصداقة الالمانية المصرية » فى نهاية يونيو القادم تقام احتفالات هذا الأسبوع فى ·· (ديوسبيرج) أكبر ميناء ألمانى على نهر الراين ، أعدت مهرجانات ضخمة تطلق خلالها الصواريخ الملونة تحمل صورة الرئيس جمال عبد الناصر والأهرامات والنيل ، ويشترك فى هذا المهرجان مليون ونصف مليون مواطن ألمانى ، ويساهم فيه الطلبة العرب فى ألمانيا ، ويقام

---

(١) جريدة الاخبار عدد ١٩٦٣/٤/٢٣ ·

تحت رعاية الحكومة الفيدرالية بالمانيا ، وتعرض فيه المنتجات المصرية ونواحى الحيـاة المختلفـة فى مصر ، وتلقى محاضرات مختلفـة تتنـاول الصداقة بين ألمانيا والجمهورية العربية المتحدة ونواحى النشاط والتعاون بين البلدين • »

ومما يدل أيضا على مدى التعاون الوثيق بين مصر وألمانيا مساهمة العلماء الالمان فى تطور الصناعة المصرية وتقدمها ، مما أثار اسرائيل وجعلها تقوم بحملة مسعورة بقصـد تعطيل هؤلاء العلمـاء عن واجبهم وحمـل الحكومة الالمانية على اجبارهم على العودة الى ألمانيا ، ولكن باءت محاولاتهم بالفشل ، فقد أصر هؤلاء العلماء على استمرار القيام بواجبهم والتعاون مع الشعب المصرى الذى يرون فيه مثلا حيا للشـعوب الجديرة بالحيـاة والتفوق • ومع ذلك ففى سبيل العروبة قطعت مصر علاقاتها مع ألمانيا لأنها أسرفت فى تدليل اسرائيل •

ومن الاسباب الوثيقة الصلة بالتعاون قيام بلادنا بجهود كبيرة فى خدمة السلام العالمى ، ومساهمتها فى حل المشكلات التى تقوم بين الدول المختلفة على أساس من التفاهم والتعمق فى البحث ، والعدالة والاحتفاظ بالكرامة ، ومن أمثلة ذلك تلك الزيارة التى قام بها السيد على صبرى عضو مجلس الرياسة ورئيس المجلس التنفيذى الى موسـكو والصـين والهند ، يحمل معه رسائل المحبة والسلام ، ويقوم بدور فعال فى اصلاح ذات البين بين الهند والصين • ومن الكلمات المشعة التى تحمل معانى التعاون والحب والوئام تلك الكلمـة التى ألقاها فى مطار بكين حينمـا استقبلته جموع الشعب الصينى بملابسهم الزاهية : « أيها الأصدقاء : حملنى الرئيس جمال عبد الناصر تحيته وتحية شعب الجمهورية العربية المتحدة الى شعب الصين العظيم والى قادته الأصدقاء مقرونة بأمانى السعادة والنجاح ، ودوام التقدم والرخاء ، وأشكركم — ياصاحب الفخامة — على كلمتكم الرقيقة التى عبرتم بها عن الروح الطيبة والصداقة الوطيدة التى تربط بين الشـعبين العريقين الصـينى والعربى ، وهمـا من رواد الشعوب التى أضاءت مشـاعل النور الاول فى طريق البشرية منذ فجر التاريخ •

ان المسافات الشاسعة ، لم تستطع أن تفصل بين الشعوب الصديقة أو تمنع التقاءها أو تعوق التعاون بينها ، ولقد أكدت أحداث التاريخ أن اللقاء كان متصلا ومستمرا بين شعب الصين العظيم على ضفاف اليانج تى والنهر الاصفر ، وبين الشعب العربى الخالد على ضفاف النيل منذ أقدم العصـور ، ثم عاد اللقاء فى عصرنا الحديث متصـلا ومثمرا منـذ المؤتمر

للدول الافريقية والآسيوية بباندونج حيث التقى الرئيس جمال
ـر بكم ، ولقد بدأت صفحة جديدة من التعاون المشترك الذى
ـر الايام بين بلدينا الصديقين منذ ذلك اللقاء التاريخى .

الأصدقاء . ان حضارة العالم ليست الا حصيلة للجهد المشترك
ـبشرية جميعها التى يجب أن تتعاون جميعها من أجل سلامتها
وتحريرها » .

. أشارت الصحف واذاعات العالم حين ذلك الى هذا الدور الذى
ـه السيد على صبرى ، وعلى سبيل المثال نشرت صحيفة
(١) ، ما يلى : « يسود الدوائر الدبلوماسية فى نيودلهى شعور
لتفاؤل لحل الخلاف الصينى الهندى نتيجة لمباحثات السيد على
والتى ينتظر نجاحها بفضل قدرته على الاقناع . ويعلقون أهمية
المباحثات الدائرة بهذا الصدد » .

ـن أمثلة التعاون بين مصر والهند ما نراه من تبادل فى شتى أنواع
ـلخدمات فى سبيل البناء والاستعداد لخلق وطن حر قوى ناهض
ـمواجهة الأحداث وصد العدوان بأنواعه وأشكاله ، وقد نشرت
لأهرام خبرا يدور حول هذا المعنى فى عددها الصادر بتاريخ
ـ٦ « أعلن اليوم فى نيودلهى أن الحكومة الهندية تبحث ارسال
ـية الى الجمهورية العربية المتحدة لزيارة المصنع العربى للطائرات
وقال راجور أمايا وزير الانتاج الحربى وهو يعلن ذلك أمام البرلمان
ـن البعثة التى ستسافر الى القاهرة تضم عددا من الخبراء العاملين
ـى الطائرات النفاثة الهندية فى بانجالو ، ومنهم خبراء يعملون
ـاف المهندس الالمانى الدكتور كورت تانك » .

ـقد ظهرت فكرة ايفاد البعثة فى أعقاب الاقتراح الخاص بالتعاون
. ومصر فى انتاج الطائرات التى تزيد سرعتها على سرعة الصوت،
أن الجمهورية العربية المتحدة تعمل لانتاج محرك نفاث أسرع
ـت ، وقد زار الهند فريق من الخبراء المصريين ، وزاروا مصنع
«

ـفى مجال آخر من مجالات التعاون ، نشرت الصحيفة نفسها
ـحدثت فيه عن دور الجمهورية العربية المتحدة فى رفع مستوى

٢/٤/١٩٦٣ .

الخدمات الطبية لكل دول الشرق الاوسط وافريقيا ، وقد أشار التحقيق الى انعقاد مؤتمر طبى لذلك يتكون من ١٥٤ أستاذا من أساتذة الطب لمدة أسبوع في قاعة مجلس الامة بالقاهرة ، وهذا المؤتمر يقرر بصفة نهائية ما سبقت مناقشته فى مؤتمر الاسكندرية للتعليم الطبى فى سبتمبر ومؤتمر طهران فى أكتوبر ١٩٦٣ والموضوع الذى يبحثه هذا المؤتمر هو كيفية توصيل الخدمات الطبية الى جماهير الشعوب العربية والافريقية ودول الشرق الاوسط بزيادة عدد الاطباء ، وفي الوقت نفسه بالارتفاع بمستوى الأطباء ومتابعة تطورات التقدم الكبير فى الميدان الطبى العالمى ٠

هذا ما تشعر به مصر ازاء مسئولياتها التى تتحملها باعتبارها مركزا للعالم العربى والافريقى وهى تقوم بهذه الاعباء مخلصة فى أداء هذا الواجب لانه جزء من رسالتها التى آمنت بها عبر القرون ٠

ولقد أدركت جميع الدول العربية هذا الدور ومدى خطورة هذه الرسالة فى شأن العرب خاصه وفى شأن الدول الافريقية والآسيوية عامة وتحدث بها المسئولون والسياسيون فى مختلف العواصم العربية ، ولقد نشرت مجلة الهلال فى عددها الصادر فى مارس سنة ١٩٥٣ م مقالا بقلم السيد تحيب الراوى سفير العراق فى مصر فى ذلك الوقت تحت عنوان « العالم العربى والاسلامى ماذا ينتظر من مصر ؟ » جاء فيه : « قطعت مصر شوطا عظيما فى نواحى الثقافة والاقتصاد والسياسة ، والشرق الاسلامى والعربى ينظر الى جامعات مصر ومعاهدها العلمية نظرة اكبار واعجاب ، ويرى فيها منهلا عذبا للعلم ينهل فيه فتياته وفتيانه وموطنا تجتمع فيه الآراء والافكار ويتوحد شعور ابناء الجيل فتتوثق الروابط وتبنى على أسس صحيحة ترجع الى التاريخ واللغة وصلات المعرفة التى تكونت فى ربوع الشرق العربى والتى لعبت فيها دورا عظيما فى سالف العصور كل من مكة وبغداد ودمشق والقاهرة فامتزجت هذه الثقافات امتزاجا قويا ، وأصبح من الواضح أن تتجه الافكار الى معاهد العلم والجامعات فى مصر ، وصار من الطبيعى أن تفتح هذه الجامعات أبوابها لابناء الشرق العربى والاسلامى، وتحتضنهم لتصبح الوحدة الثقافية حقيقة واقعة ، هذا ما ينتظره الشرق العربى من الناحية الثقافية ، كذلك ينظر الشرق العربى والاسلامى الى هذا التقدم الاقتصادى الذى أصابته مصر فى زراعتها ، وفى تنظيم الرى واستغلال التربة ومن ثم الى شركاتها الصناعية وما تنتجه ، ويرى فيها سوقا عربية كبرى تتحد فيها الأسواق الاقتصادية العربية لايجاد سوق عربية كبرى تنظم اقتصادياتنا وتفتح لها الآفاق المالية التى تمكننا من

استثمار كنوزنا الطيبة • ان فى هذه البلاد وفرة طبيعية لا حدود لها ، فاذا اتجهت الى وحدة اقتصادية ينتظرها الشرق العربى من مصر أصبح معها يوما ما كتلة اقتصادية لها شأنها فى تموين العالم ومعونته بالغذاء والكساء والمواد الاولية •

« وقد صارت الشقيقة الكبرى مصر بفضل مكانها الطبيعى مركزا سياسيا ومحورا تلتقى فيه الدول العربية اذا حز بها أمر سياسى يمس مصالح الشرق العربى مجتمعا • ولا شك أن اتجاه العالم اليوم الى القوة والرأى المجتمع يتطلب منا تقوية وحدة رأينا فى جميع اتجاهاتنا السياسية• ان الشرق العربى فى مجموعه بين دوله وحدة سياسية طبيعية لها مصالحها المشتركة فى الحياة الاقتصادية والثقافية ، فاذا هى اجمعت رأيها،وأحكمت خططها استطاعت أن تملى على العالم رغبتها فى حفظ كيان الشرق العربى والدفاع عن مصالحه ، وجعله مركزا ينظر اليه العالم نظرة الاكبار » •

من أجل هذا كله تعتبر مصر قلب العروبة النابض ، ومركزها ، وهى بالنسبة للدول الآسيوية والافريقية فى القمة ، فهى وشعبها طليعة التحرر، واليها تهفو قلوب المسلمين فى كل مكان ، واليها تتجه أنظار الملايين فى شعوب كثيرة من مختلف القارات وتهتف باسمها السنتهم ، وتبارك شعبها قلوبهم ، وتردد شعاراتها أرواحهم • وقد ترجمت شعاراتها بالنسبة للعالم الاسلامى الى أعمال فخصصت فى اذاعتها محطة تذيع القرآن الكريم طوال الوقت ، وأمدت أقطار المسلمين فى شتى انواع العالم بآلاف كثيرة من المصحف الشريف مكتوبا أو مسجلا برواية حفص عن عاصم ، أو رواية ورش عن نافع ، وأفردت للبرامج الدينيـة فى الاذاعة والتلفزيون وقتـا منظما فسيحا ، وخصت الدول الاسـلامية فى افريقية وآسـيا بكثير من الكتب التى تبسط قواعد الدين ومناهجه ، وتتولى توزيع تسجيلات تعليم الصلاة فى الاسلام بالعربية والفرنسية والانجليزية والاوردية والسواحلية وأوفدت كثيرا من العلماء ومن جلة القراء الى شتى أنحاء العـالم العربى والعالم الاسلامى عامة ، لا تبغى من وراء هذا كله الا ان تكون قد نهضت بواجبها ، وأدت رسالتها •

مصر قلعة حصينة للعالم العربى

« ان روح هـــذا الشعب لم تستسلم وانمـــا استطاعت تحت المحن العصـــيبة أن تختـزن طاقات تحفـــزت لاطـــلاقها فى اللحظـــة المناسبة »

الميثاق

بناء وحماية

منهج البناء :

قد يكون من الكلام المعاد أن نقول : ان مصر هى أستاذ العالم فى مختلف الحضارات ، فقد سبق أن أشرنا الى ذلك فى أثناء الاحاديث التى مرت •

والذى نضيفه هنا أن مصر باعتبارها قطب الرحى بالنسبة للدول العربية كلها قد أصبحت القلعة الحصينة التى تصدر عنها الاشـــعاعات المختلفة فى كل ما يتصل بنواحى الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية • والنواحى التى تتصل بالبناء والتشييد والاعداد والتوجيه والتقوية •

وقد بلغت مصر فى ذلك أقصى ما تصل اليـــه دولة ذات حضـــارة ومجد ، وقد توافر لها من الاسباب ما أعانها على القيام بهـــذا العبء ، ومكنها من النهوض به •

لقد ظلت مصر وحاضراتها : (الفسطاط والقطائع والقاهرة) منار اشعاع طوال أيامها ، وكثر فيها التعمير والانشاء ، وبنيت فيها المساجد ، وأقيمت الاسواق وأنشئت المكتبات العامرة بالكتب والمراجع ، والمدارس النظامية المختلفة ، فأقبل عليها طلاب العلم من كل مكان يتلقون العلوم المختلفة ويدرسون الفنون التى تتصل بالتقدم الحضارى والعمرانى ، وكان لانشاء الازهر أثر كبير فى ازدياد النشاط العلمى الثقافى ، فقد أصبح قبلة ، يفد اليها العلماء من كافة الاقطار وكانت له حرمة عظيمة كما يقول ابن أياس (١) ، فى داخل مصر وخارجها ، ولا تعتبر مصر قلعة حصينة الا اذا أخذت بأسباب التقدم جميعها وأول هذه الاسباب هو العلم .

فالعلم هو الوسيلة الوحيدة لنيل المجد وتحصيل العظمة، وبه تصل الامم الى غايتها المرجوة من الكمال والرقى ، ولذلك حرصت الثورة فى عصرنا الحاضر على أن تبنى قواعدها على أسس متينة من العلم والثقافة . وكان اعلان الميثاق الوطنى من فوق منبر الجامعة اشارة الى هذا المعنى الدقيق . واشعارا بالارتباط الوثيق بين الاصلاح والعلم ومهما يكن من أمر فلن تنجح أى ثورة ما لم تكن قدقامت أساسا على بحث ودراسة علمية دقيقة ، وأخذت منهج اصلاحها عن طريق العلم والمتعلمين . وفى الخطاب الذى ألقاه الرئيس جمال عبد الناصر فى عيد العلم السادس ما يؤكد هذا المعنى ، فهو يقول : « ها نحن الآن نقود معركة التطور الكبرى ، وفى مقدمة الصفوف الاولى يسير العلماء ، وهم الآن بالمئات فى المعامل والمصانع ، وفى الحقول وفى المتاجر يبحثون عن الحل للمشاكل المستعصية ويجدون الوسائل للغايات الكبرى ويقودون المجتمع الجديد الى الآفاق التى تطلعنا اليها » .

وفى خطاب ألقاه فى جامعة القاهرة احتفالا بعيدها الخمسينى يقول : « ... **ان المعرفة هى القوة الحقيقية ، هى الحرية الحقيقية ، فأنتم تعرفون أننا من الناحية السياسية نقاوم احتكار المعرفة ، ولا بد انكم تتابعون الجهود التى تقوم بها فى الامم المتحدة ومجالاتها لكى نقاوم احتكار العلم . ان العلم يتقدم بسرعة مذهلة وعلينا أن نسارع الى موكبه ونصنع لأنفسنا مكانا فى ركبه .. علينا أن نتحول الى قوة خلاقة تأخذ من الآخرين ، ولكنها تعطيهم ، وتساهم فى صنع المستقبل بطريقة ايجابية**

(١) بدائع الزهور ص ٢٦ .

بناءة ، وأن نعد أنفسنا فى هذا السبيل لرحلة طويلة لا نهاية لها ، فان العلم والفكر ميدان الى مالا نهاية له » .

على أساس من هـذا الفهم الواعى حددت مصر من قـديم الزمان طريقها ، لأنها وعت هذه القاعدة وعيا تاما ، وأخذت بأسبابها وكانت لها نتائجها . والشواهد على ذلك فى التاريخ القديم والحديث كثيرة .

وليس من المستطاع فى هذا المجال استقراء كل مظاهر الاشعاع منذ فجر التاريخ حتى الآن . ولكن يكفى أن نقدم لذلك أمثلة ، ففى عهد الظاهر بيبرس (١) امتد النشاط العلمى والثقافى حتى شمل العنـاية بانشاء المؤسسات العلمية وفى مقدمتها المدرسة الظاهرية التى بناها بين القصرين ، وقد استغرق بناؤها عامين ، وأقيم يوم افتتـاحها احتفال كبير جريا على عادة ذلك العصر ، وقد جرى العرف على أن يلحق بـكل مدرسة خزانة كتب يرجع اليها المعلمون والمتعلمون ويستفيدون منها فى البحث والاستقصاء ، لذلك جعل الظاهر بيبرس بمدرسـته تلك خزانة كتب جليلة ، وعين لها خازنا من العلماء يجيد ترتيب الكتب وتنظيمهـا وحفظها وارشاد المطلعين الى ما فيها ، كما أنشأ بجـوارها مكتبا لتعليم اليتامى من الاطفال ، ووقف على كل ذلك أوقافا واسعة لينصرف الجميع الى أعمالهم فى جو من الاطمئنان وراحة الفكر » .

وقبل هذه المدرسة أنشىء الازهر فى عهد المعز لدين الله الفاطمى سنة ٣٦١ هـ كما أسلفنا .

ويصحب الازدهار العلمى عادة الازدهار فى كل أطوار الحيـاة ، ويتوقف عليه تقدم البلاد فى شتى مرافقهـا ، واذا كانت مصر قد بلغت من التقدم العلمى حدا تستطيع أن تفاخر به الزمن وتفرض شخصيتها عليه ، وتتميز بطابع عام يجعلها مفخرة فى جبينه ، فانها تجـد نفسـها ملزمة بالمحافظة على هذا المجد الذى حصلته ، ولذلك فلا بد أن يظـاهر نهضتها هذه قوة عسكرية تحمى مكاسبها ، وتؤمن حدودها ، وتضمن لها دوام الظفر والقوة والصدارة .

فقد هيأت مصر لنفسها قوة حربية منذ القدم ، بها ترهب الاعداء وتصد المعتدين ، وتحقق الاهداف الكريمة السامية ، وتنصر العروبة فى كل مكان ، وأنشأت لذلك أسطولا عظيما فرض وجـوده على شـواطىء

---

(١) كتاب « الظاهر بيبرس » للدكتور سعيد عبد الفتاح ص ١٤٦ .

البحر الابيض المتوسط ، وشرق وغرب . وهذا ابن هانيء الاندلسى شاعر المعز لدين الله الفاطمى يقول فى مدح أسطوله :

لك البر والبحر العظيم عبابه
فسيان أغمار تخاض وبيد
أما والجوارى المنشآت التى سرت
لقد ظاهرتها عدة وعديد
قباب كما تزجى القباب على المها
ولكن من ضمت عليه أسود
ولله مما لا يرون كتائب
مسومة تحدو بها وجنود
أطاع لها أن الملائك خلفها
كما وقفت خلف الصفوف ردود
وأن الرياح الذاريات كتائب
وأن النجوم الطالعات سعود
وما راع ملك الروم الا اطلاعها
تنشر أعلام لها وبنود
عليها غمام مكفهر صبيره
له بارقات جمة ورعود

ويحدث ابن اياس عن قوة مصر الحربية فى عصر المعز لدين الله الفاطمى فيقول : « ثم ان المعز استكثر من العساكر بمصر ، فكانوا ما بين كنانة وروم وصقالية وبربر ومغاربة ، وكانوا فى العدد لا يحصون لكثرتهم ، حتى قيل انه لم يطأ الارض بعد جيوش الاسكندر أكثر من جيوش المعز لدين الله الفاطمى (١) .

وفى عهد الظاهر بيبرس منع الناس من أن يتصرفوا فى أخشاب السفن ، وأعاد رجال الاسطول الى الخدمة ، وأمر ببقاء عدد من الشوانى وهي السفن الحربية الكبيرة حتى تكامل عنده ببر مصر ما ينيف على أربعين قطعة وعدة كثيرة من الحراريق والطرائد ونحوها . وتذكر المراجع أن السلطان بيبرس كان ينزل بنفسه الى دار الصناعة بجزيرة الروضة ويشرف على بناء السفن ويرتب ما يجب ترتيبه ، فضلا على أنه أنشأ عدة شوانى بثغرى دمياط والاسكندرية (٢) .

---

(١) تاريخ ابن اياس « بدائع الزهور » .
(٢) الظاهر بيبرس ص ١٤٢ .

واذن فالنشاط العلمي لا بد أن تظاهره القـــوة الحربية تقوى من شأنه وتحرسه ، وتحافظ عليه • واذا كان العلم هو خالق المجد ، وبانى الدول ، ومحقق الاصلاح والقوة ، فان القوة أيضـــا تذكى العلم وترفع شعلته وتثبت أركانه ودعائمه •

عرفت مصر ذلك قديما ، وقد عرفته حديثا • ففى هذا العصر امتدت شعلة العرفان حتى شملت كل قرية من القرى ، وكل كفر من الكفور ، وتسابقت الدولة مع الزمن فى تشييد أركان العلم وتثبيت دعائمه ، ورفع مناراته عاليا ، حتى أنه فى كل ثلاثة أيام تشيد مدرســـتان كما قضت بذلك الخطة الخمسية وذلك لترفع الدولة الغشـــاوة عن العيون ، وتزيل ركام الجهل عن العقول • وبدأت الثورة المصرية الحديثة تصحح الأوضاع الخاطئة التى فرضها الاستعمار وأذنابه حين ابتليت هذه الديار بهم، فقد فرض الاستعمار الجهل على البلاد كعادته مع الدول التى يستعمرها وكتب عليها أن تبقى تابعة لا متبوعة ، وذلك لكى يمكن لنفسه فيها ويبقى على حياته بين ربوعها ، فعمل على اغلاق المدارس وحرمان الشعب من التعليم ، واباحته للسادة الاقطاعيين ، وقد محت الثورة كل ذلك وقضت عليه ، وحققت مجانية التعليم فى جميع مراحله ، بما فيها المرحلة العليا ، فهيأت الفرص أمام أبناء الشعب جميعا بحيث يأخذ كل حقه على قدر كفاءته وجهده ، لا فرق بين سيد ومسود ، فالكل فى حق الحياة والعلم سواء ، واتسعت دور العلم وأصبحت الجامعة جامعات ، وتطورت رسالة الأزهر بما يتناسب مع مقتضيات الحياة الحاضرة ، واتسعت مدلولات الثقافة وتعددت روافدها ، وكثرت مصـــادرها والدلائل عليهـــا ، حتى أصـــبحت مصر بحق بلد الاشعاع •

ولم يقتصر دور مصر الآن على تلقين العلم ، بل نبهت الأذهـــان الى ما هو أعمق من ذلك • أصبحت رسالة العلم احياء معانى الكرامة والانسانية ، وتحقيق الغرض الأسمى فى الحياة ، فلم يخلق الانســان ليعيش وحده ، لكنه خلق ليكون له دور ايجابى فى تحقيق معنى الســعادة فى الحيـــاة لنفســـه ولغيره من أفراد المجتمع الصـــغير والكبير الذى يعيش فيه •

وأقبلت الوفود ــ بناء على هذا المبدأ ــ تسعى الى مصر لتنهل من مناهلها وتستقى من منابعها ، وقامت هى بدورها فى ذلك خير قيام ، فلم تحصل منهم ضريبة على ذلك ، ولم تتخذ العلم تجارة تثرى من ورائها على حساب هؤلاء الوافدين اليها ، بل كان العكس هو الصحيح • وأصبحت

هى التى تعطى وتشجع وتمنح الجوائز وتقدم الهدايا وتيسر السبل ، وأنشأت من أجل ذلك نادى الوافدين ومدينة البعوث التى تضم مبعوثين من مختلف البلاد العربية والاسلامية والافريقية جاءوا جميعا لينالوا قسطهم من العلم ، وليكونوا رسل الهداية والتبشير بالحرية والكرامة فى بلادهم ، وذلك على نفقة مصر ، لا يتكلفون هم فى نظير تعلمهم ونفقاتهم ومطالبهم شيئا ، ولا يرهقون من أمرهم عسرا ٠

ثم عرفت مصر للعلم حقه وفضله ، فأقامت له عيدا تحتفل به كل عام ، وتوزع فيه الجوائز على العلماء والمتعلمين حثا لهم على مواصلة الجهود ، وتحقيق السبق وملازمة النجاح والفوز وأدركت ان هذا هو سبيل المجد فعملت على صيانته بكل ما وسعها من جهد ، وذلك عن طريق التقدم الحربى وبناء جيش قوى يحفظ للبلاد حريتها وكرامتها ويرفع من شأنها ، ويحقق أمنها وسلامتها ، ويكون على أهبة الاستعداد فى تثبيت دعائم القومية العربية ورفع رايتها عالية خفاقة ، وتأمين مكاسبها ، وحماية ثرواتها والدفاع عنها فى داخل حدودها وخارجها ٠ وغنى عن القول أن تثبت أن مصر الآن لديها هذا الجيش المنتظم المجهز بأحدث الأسلحة ، فقد قام ولا يزال يقوم بدوره الذى تتطلبه الظروف الطارئة فى الأمة العربية ، وتظاهر هذا الجيش قوة معنوية ، وشعبية هائلة ، وارادة قوية وقيادة رشيدة ، واستعدادات ضخمة ، وامدادات كثيرة وانتاجات حربية متقدمة ومتطورة ٠

من هذه الناحية يعتبر العالم العربى مصر قلعة حصينة له ، فهى قد أخذت للأمر عدته واستعدت له ، وهيأت نفسها للقيام به مهما كلفها من جهود ومشقة ، وألزمت نفسها العمل بمقتضاه ، فهل نفذته ؟ نعم ، وان كان هذا السؤال لا يحتاج الى جواب ٠٠٠

منهج الحماية : ــ ماذا صنعت مصر لاسباغ حمايتها :

« ان وادى النيل لم تنقطع فيه أصوات النداءات الثورية فى مواجهة الارهاب المستحكم الذى تسنده قوى الاحتلال الاجنبى والمصالح الدولية الاستعمارية » ٠

« ان شعب الجمهورية العربية المتحدة فى حربه ضد الاستعمار ضرب مثلا حيا ما زال أسطورة فى تاريخ نضال الشعوب » ٠

الميثاق

لقد كانت مصر عبر التاريخ الدرع الواقية للعروبة ضد عوادى الزمن والمحن وضد غوائل الاستعمار ، وما من نكبة تلم بالأمة العربية الا وتجد أمامها ــ ولا نفول من خلفها ــ مصر تشد من أزرها وتقوى من عضدها ، وتتحمل عنها مشاق الكفاح والجهاد ٠

مصر والتتار : ــ هجم التتار كما أسلفنا على الدولة العربية فى القرن السابع الهجرى كالاعصار الجارف الذى يحطم فى طريقه كل شىء ، ولم تثبت أمام هؤلاء الغزاة أية قوة أعدها الخلفاء العباسيون وغيرهم من أمراء الدول الاسلامية ، ولم تتمكن جهود هؤلاء من صد هجمات التتار أو اعاقتهم عن تقدمهم ٠

وقد كان هؤلاء التتار مثلا سيئا للوحشية والبربرية المدمرة ، التى لا تحترم حضارة ولا تعترف بمدنية ، ولا تحافظ على عمران ٠ فقد اتسموا بالتخريب والتدمير ، وحافظوا على قسوة طباعهم التى اكتسبوها من مواطنهم الأصلية ، ومضوا يحرقون ويدمرون ويقتلون الآمنين ويروعون الأطفال والنساء ، وينتهكون حرمة الابرياء ، ويخربون المدن ، ويشيعون الرهبة والفزع فى النفوس ، حتى وصلوا الى بغداد عاصمة الخلافة العباسية اذ ذاك ، فدمروها وأحرقوها وخربوا مدارسها وأغرقوا كتبها فى النهر وفر الخليفة العباسى ولجأ الى مصر فى أيام الظاهر بيبرس الذى بايعه بالخلافة ، كما سبق أن أشرنا الى ذلك ، وجهزه بجيش كبير سافر به الى العراق محاولا أن يصد به هجمات التتار ، ويتمكن من اجلائهم عن بغداد ولكن لم يكتب له النصر وقتل ٠

وأوغل هؤلاء البربر فى البلاد العربية وأنزلوا الضرر ببلاد المسلمين فى الشرق ٠ لقد اجتاحوا العراق ، وأوغلوا فى الشام حتى وصلوا غزة وعين جالوت فى فلسطين ، ولم يبق أمامهم الا مصر ، ولكن قامت مصر بدورها ــ كما أسلفنا ــ وتمكنت من هزيمة التتار فى موقعة عين جالوت هزيمة منكرة ، ثم استطاعت اجلاءهم عن الشام ، ولكنهم ظلوا لا يكفون عن التطلع اليها ومحاولة امتلاكها ، وظلت مصر لهم بالمرصاد ، وحرصت على التأهب لهم باستمرار وصد غاراتهم ، وتتبع المحاولات التى كانوا يقومون بها للتحالف مع أعداء العرب من الصليبيين وغيرهم واحباطها (١) ، ولذلك لم تنقطع الامدادات والحملات من مصر الى الجيوش العربية المتأهبة فى الشام وما وراءها للقضاء على أية محاولة يقوم

---

(١) الظاهر بيبرس المرجع السابق ص ٩٢ ٠

بها التتار ، وقد أوقعت بهم هذه الجيوش هزيمة منكرة فى موقعة « البيرة » على نهر الفرات ، وظلت تقلم أظافر بغيهم المتكرر ، حتى جاءت سنة ٦٧٥هـ وفيها جاءت الاخبار الى مصر بأن التتـــار قد زحفوا على البـــلاد فتقدمت الجيوش العربية الظافرة بقيادة الظاهر بيبرس وتمكنت من هزيمتهم بعد أن قتلت منهم عددا كبيرا ، وكان ملك التتار يقال له « ابغـــا » فلمـــا انهزمت جيوشـــه هـــرب بالفلول المتبقية معه ، فتبعه الظاهـــر نحو « الابلستين » وحدثت بينهما موقعة كبيرة انهزم فيها ايضا جيش التتـــار بقيادة ملكه ، فتبعه الظاهر حتى وصـــل زبيد (١) وانتهى الصراع أخيرا بهزيمة التتار ، وفرارهم ، وأسر الكثير منهم ٠

لقد تمكنت مصر من وقف زحف المغول الرهيب المدمر الذى لم تجرؤ قوة أن تقف فى طريقه ، وبذلك حفظت للعالم كله حضارته ومدنياته وتمكنت من أن تحتفظ بصفحات مشرقة لا تزال الانسانية مدينة لمصر بها حتى الآن ٠ فلو أنه قدر للتتار أن يظهروا على مصر لانطفـــأت شـــعلة النور من العالم ، واختفت الحضارة وآثارها الى الأبد ، فلم يكن هؤلاء الرعـــاع يحفظون قيمة العـــلم أو يقدرون أثره ، ولم يكونوا يعرفون للانسانية كرامة مثلها وقداسة فضلها ، ومقومات حياتها من علم وفن وفضيلة وما يتصل بهذه المقومات ٠ كلا ولكنهم كانوا عتاة جفاة جهلة قساة غافلين عن كل معنى شريف فى الحياة ، ولذلك كان استعمارهم شر أنواع الاستعمار ٠

لقد كان التتار مدفوعين بشهوة التسلط والاستعلاء والغرور والرغبة الملحة فى التشفى والانتقام ، وكان يملأ نفوسهم حقد أسود على كل تقدم وعمران ، والا فكيف تعلل ذلك التدمير والتخريب الذى كانت تتعرض له البلاد عقب فتحهم لها وسيطرتهم عليها ؟ وما ذنب المكتبات وما فيها من كتب تتعرض للاتلاف والاغراق ؟ ٠

فوقوف مصر فى وجههم لم يكن خدمة موجهة اليها أو للأمة العربية بقدر ما هى موجهة الى الانسانية جمعاء فى مشارق الارض ومغاربهـــا وقد عادت عليها بالخير والسعادة والحياة ٠

---

(١) تاريخ ابن اياس ص ٩٠ ٠

مصر والحروب الصليبية :

وكما وقفت مصر فى وجه التتار وصدتهم عن غايتهم ، وأضعفت من شأنهم وقفت كذلك من قبل ومن بعد فى وجه الصليبيين فى اعتداءاتهم المتعاقبة . حتى تمكنت من القضاء عليهم .

وبالرغم من تمكن الصليبيين من السيطرة على الشام ، واقامة أربع امارات لهم هناك فانهم رأوا انه لا سبيل لهم الى السيطرة التى يريدونها على الشرق العربى الا بالاستيلاء على مصر ، لعلمهم أنها هى القلعة الحصينة للعروبة وأنها لا يمكن أن تسكت على ذلك الضيم الذى يراد بالعرب جميعا . وقد أعد الصليبيون عدتهم لتحقيق هذا الهدف واستعانوا بالامدادات الكثيرة التى وصلتهم من مختلف البلاد الاوربية ، وهجموا على دمياط . ولكن تمكن الجيش المصرى بمظاهرة الجيوش الاخرى من أن ينزلوا بالمغيرين خسائر فادحة وأن يشيعوا الرعب فى صفوفهم ، ويردوهم على أعقابهم خاسرين .

ولم يحترم الصليبيون العهود التى قطعوها على أنفسهم بعد هذه المعركة ، بل نقضوها طمعا فى أن يجدوا فرصة يكرون منها لتحقيق أحلامهم القديمة . ولكن صلاح الدين الأيوبى تمكن بعد توحيد الجهود بين الشعب المصرى والسورى من القضاء عليهم فى معركة (حطين) التى مهدت الطريق لتحرير بيت المقدس واستعادت فلسطين ، وقد كان هذا النصر موحيا للشعراء بكثير من قصائدهم التى تسجل هذا الانتصار الرائع ، وهذا حسن الجوينى يقول فى قصيدة له يمدح بها صلاح الدين الأيوبى : —

جند السماء لهذا الملك أعوان	من شك فيه فهذا الفتح برهان
متى رأى الناس ما تحكيه من زمن	وقد مضت قبل أزمان وأزمان
هذى الفتوح فتوح الأنبياء وما	لها سوى الشكر بالأفعال أثمان
للناصر ادخرت هذى الفتوح وما	سمت لها همم الأملاك مذ كانوا
أضحت ملوك الفرنج الصيد فى يده	صيدا وما ضعفوا يوما وما هانوا
لو أن ذا الفتح فى عصر النبى لقد	تنزلت فيه آيات وقرآن

وكلما تحركت همة الصليبيين الى تحقيق أهدافهم السابقة ، والى استعادة سلطانهم فى الشرق العربى ، وجدوا مصر فى طريقهم تصدهم عن عزمهم ، وتردهم عن قصدهم ، وتقلم أظفار أطماعهم . ففى عهد الملك الكامل محمد ، فكر الصليبيون فى مهاجمة دمياط لأنهم قدروا أن

انتصار صلاح الدين السابق عليهم يرجع الى أنه جمع فى يده مقاليد مصر والشام ، وأن مصر مصدر قوته وسر نصرته ، فمتى استولوا عليها أمكنهم أن يسيطروا على بيت المقدس في يسر وسهولة ٠ وهذا فهم استعماری قديم قائم على دراسة ودراية وبحث ، وقد أشار الميثاق الوطنى الى ذلك بقوله : « **ان الجمهورية العربية بالذات طليعة النضال العربى التقدمى وقاعدته ، وقلعته المحاربة هى الهدف الطبيعى لجميع أعداء الأمة العربية وأعداء تقدمها (١)** » ٠

وقد أبدى أهل دمياط من ضروب الشجاعة والصبر والاحتمال ما يستحق الاعجاب والتقدير وذلك حين حاصرها الصليبيون ، ودارت رحى الحرب واستمرت أياما متوالية القى فيها الصليبيون بكل خبرتهم وقوتهم وحنكتهم الحربية والسياسية ، ولكن لم يجدهم كل ذلك شيئا أمام تصميم المصرى وايمانه بقوميته ووطنه ٠ وانتهت المعركة بهزيمة الصليبيين هزيمة منكرة واستسلامهم ، ورغم ذلك فقد حاولوا اعادة الكرة فى معركة دمياط الثالثة فى عهد الملك الصالح نجم الدين وزوجته شجرة الدر ، ولم يكن حظ الصليبيين فى هذه المعركة خيرا من حظهم فيما سبق ، **فقد دارت الدائرة عليهم وهزموا شر هزيمة وأسر ملكهم لويس التاسع وسجن فى دار ابن لقمان بالمنصورة** ، ونظرا لأن الشعر العربى سجل لتاريخ العرب ديوان منشور لمآثرهم وأمجادهم فان الشاعر المصرى جمال الدين بن مطروح سجل هذه الحادثة فى شعره بقوله : —

قل للفرنسيس اذا جئته	مقال نصح عن قئول نصيح
أتيت مصرا تبتغى ملكها	تحسب أن الزمر يا طبل ريح
فساقك الحين الى أدهم	ضاق به عن ناظريك الفسيح
وكل أصحابك أودعتهم	بحسن تدبيرك بطن الضريح
سبعون الفا لا يرى فيهم	الا قتيل أو أسير جريح
وقل لهم ان أضمروا عودة	لأخذ ثأر أو لفعل قبيح
دار ابن لقمان على حالها	والقيد باق والطواشى صبيح

وتمكنت مصر بقيادة الظاهر بيبرس ، بعد تخلصه من التتار من التخلص من بقايا الصليبيين لأنه عرف عنهم الغدر والخيانة ونقض العهود ، فقام بعدة حملات ضدهم واستولى على مدينة قيسارة ١٣٥٦م ، واستولى على مدينة صفد سنة ١٣٥٧ م واستولى على يافا سنة ١٣٥٨ م ، وزحف على انطاكيه واستسلمت له ، كما تمكن من تحرير عكا وطرابلس٠

---

(١) الميثاق الباب السابع ٠

وبذلك نجا العرب من عدوان الصليبيين وشرورهم ، وحفظت مصر للعروبة اشراقها ومجدها ، ونالت عن جدارة لقب زعيمة العالم العربى والاسلامى ، وأثبتت مكانتها باعتبارها قلعة العروبة الحصينة ٠

مصر والمبادىء الهدامة قديما وحديثا : ـ

وكما جاهدت مصر العدوان الاستعمارى الخبيث على أرض العرب فى صورته السياسية جاهدت كذلك الدعوات الانحلالية التخريبية التى تهدف الى تقويض الاسلام والقضاء عليه عن طريق اشاعة الفتن والخرافات، ونشر العقائد الزائفة المضللة ، واثارة الشكوك ، والاوهام فى نفوس الناس وبلبلة أفكارهم ٠

ففى عهد (١) الدولة الطولونية انتهك القرامطة حرمة البيت الحرام وعاثوا فسادا فى بلاد العراق والشـــام وبقيـــة بلاد العرب ، وأبطلوا فريضة الحج ، ودعوا الناس الى ترك الفرائض والعبـــادات ، وأباحوا المحرمات ، ونشروا الفساد والفجور والضلال فعبأت الجيوش المصرية جهودها للقضاء على هذه الحركة الضالة المضللة ، وضربت المثل الأعلى فى العمل على حماية الشرق العربى من هذه الفتنة الجارفة واعلاء كلمته وقد تمكن جيش مصر المظفر من هزيمة القرامطة والقضاء على تسللهم والقبض على زعيمهم واعدامه ٠

ثم أصبحت مصر فيما بعد مركز مقاومة القرامطة ، والقاعدة التى أطاحت بحركتهم تماما فيما بعد ، فقد انتهز القرامطـــة فرصة ضـعف الخلافة فى بغداد فعاثوا فى الأرض فسادا ، ولم يتعظوا بالدرس الذى تلقـوه على يد الجيش المصرى ، ولكنهم تمـــادوا فى غيهم وامعنوا فى ضلالهم ٠

سلك الفاطميون فى محـــاربة القرامطة طريقين : طريق الدعوة ، وطريق الجهاد ، ولذلك أسسوا مراكز للرد على دعاوى القرامطة الباطلة ، وقاموا بدعايات واسعة تندد بدعوتهم وتفضح عقيدتهم وتنير الأذهـان لتدحض مفترياتهم وتقضى على أباطيلهم ، كما حملوا لواء الجهاد الحربى ضدهم ٠ وتمكنت القوات المصرية من هزيمتهم هزيمة منكرة عند الرملة ، وكان لهـــذه الهزائم المتوالية التى حاقت بالقرامطة أثر كبير فى هدم

---

(١) المجتمع العربى ومناهضة الشعوبية ص ١٦٩ وما بعدها ٠

كيانهم وتحويلهم الى مجرد عصابات يائسة لم نلبث أن اندثرت وضاعت في زوايا النسيان ٠

وفي العصر الحديث تقف الجمهورية العربية المتحدة لأي دعوة انحرافية بالمرصاد ، ولازلنا نذكر موقفها من الشيوعية وعملها بحزم على عدم تمكينها من نشر مبادئها التي تراها منافية لروح العقيدة الدينية المتغلغلة في كيان الشرق العربي ٠

وتسلك مصر في مقاومة الشيوعية مسلك الاصلاح والعمل على رفع مستوى الشعب الفكري والاقتصادي والاجتماعي ، وفي الوقت الذي نرى فيه الشيوعية ومبادئها تتغلغل في كثير من البلاد تحت ستار التبشير بالحياة الرغدة السعيدة التي تكفلها للمؤمنين بها ، مستغلة ضعف الشعوب وتأخرها وفقرها واستعبادها ، وفي الوقت الذي تجد فيه هذه الدعوى قبولا لدى بعض الدول حتى تسمح لها بممارسة نشاطها داخل بلادها ٠٠ في هذا الوقت نرى مصر تقوم بواجبها المقدس نحو فضح هذه الاساليب ، ونراها تعمل بحكمة على ابطال فاعليتها بما تقوم به من اصلاحات داخلية ، وما تبذله من جهد في سبيل ازالة الفوارق بين الطبقات وفي سبيل رفع مستوى الافراد ، وفي سبيل توفير العمل للعمال ، وتأمين مستقبلهم ، ورعايتهم في حال عجزهم أو شيخوختهم ونحو ذلك مما يجعل الشيوعية غير ذات موضوع بيننا ٠ ان مصر بحكمة قادتها وحسن تصرف ثورتها تجنب شعبها آلام أشواك المذاهب الشيوعية ، دون أن تخسر صداقة الدول الشيوعية ، ودون أن تعوق مشروعاتها التي استعانت فيها ببعض الدول الشيوعية ، ان ثورتنا بحكمتها تجمع بين احياء الجانب الروحي في الشعب وبين تنمية الجانب المادي فيه ٠ ولا خير في أمة تقيم دعائمها على حساب ما تؤمن به من أخلاق ومبادئ وقد صدق الشاعر حين يقول :

وانما الأمم الأخلاق ما بقيت   فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ولقد أعطى هذا الموقف لمصر مناعة قوية ، وخلع عليها رهبة حالت بينها وبين ما أريد بها من سوء ، بل لقد أجبر خصومها على احترامها، وجعلهم يدركون أن حيادها صادر عن عقيدة راسخة وايمان قوى عميق، وليس مجرد دعاية أو اعلان غايته مجرد الشهرة والظهور ٠

مصر والاستعمار الأوربي :

وفي العصر الحديث وقفت مصر من الاستعمار وقفات مشرفة لهـــا وللعروبة ، هذا الاستعمار الذي رأيناه قديما في صورة حملات الصليبيين والتتار ، ثم رأيناه قد أخذ اتجاها آخر في القرن الثامن عشر وما بعده ٠

قدمت الحملة الفرنسية على مصر في عام ١٧٩٨ م بقيادة نابليون الذي كان يحلم باقامة امبراطورية فرنسية في الشرق ، ولكنه لم يقدر لهذه الحملة النجاح بسبب موقف المصريين الباسل ، واجبارهم الفرنسيين على العودة تحت جنح الظلام قبل أن تمضي ثلاث سنوات على قدوم الحملة الى مصر ، وبذلك انهارت آمال الفرنسيين في الشرق العربي ٠

وأغار الانجليز على مصر في عام ١٨٠٧ م ولكن قواتهم اندحرت عند رشيد ، وتبددت أحلام حملة فريزر التي أعدت لاحتلال مصر ليسهل عن طريقها السيطرة على الشرق ٠

ولم يتمكن الانجليز من تثبيت أقدامهم في مصر عام ١٨٨٢ م الا عن طريق الدس والخديعة والفتنة التي أشعلها حاكم مصر الذي لم يكن من صميم أبنائها لينتهزها المستعمر ويثبت أقدامه ، ولو كان الحاكم يومئذ مصريا صميما لما أمكن أن يتم هذا الأمر ، ولما استطاع المستعمر أن يحقق أغراضه وأهدافه ٠

وسار الشعب المصري في طريق الثورات ضد المستعمر زمنا طويلا، وكافح كفاحا متواصلا في سبيل نيل حريته واستقلاله ، فلقد عرف عنه أن من طبيعته قوة العزيمـــة والثورة الفوية الجارفة التي لا تقف أمامهـــا حواجز أو سدود ، وأنه لا يمكن أن يستكين لظلم ، أو يرضى عن ضيم ٠

والمستعمر لا يكن لمصر من قديم الا كل حقد وضغينة ، لأنها هي التي عاقته قديمـــا عن تحقيق مطامعه ، وهي الآن تحـــاول أن تقضي على ما تبقى له من سيطرة ونفوذ ٠

ولذلك كان موقفه منها ومن ثوراتها المتعاقبة موقف الحذر والتربص والارهاب ، فلم يكن الاستعمار يطيق ، بعد أن وطد أقدامه في الشرق العربي ، فكرة الجلاء عنه ، وترك الكنوز الدفينة وغير الدفينة في هـــذه البلاد ، ولا أن يتخلى عن القواعد الحربية والمواقع الاستراتيجية الهـــامة التي تمكنه من التحكم في مصائر العالم ورقاب الشعوب ٠

ومصر بالذات باعتبارها قلعة حصينة للعالم العربي لا يمكنها أن

تقبل منطق الاستعمار وأساليبه فى المساومة والتسويف ، وتلويحه بالقوة واستعمالها فى كثير من الاحيان • لذلك نراها مصممة على الكفاح ضده ، ومنازلته فى جميع مواقعه ، وكان من الممكن أن يتهيأ لها النصر فى كثير من المواقع التى خاضتها معه لو أن الصف العربى كان موحدا ، والأهداف العربية كانت واضحة وفى اتجاه واحد ، ولو أن ظروف البلاد مهيأة وتحت قيادة حكيمة رشيدة أو لو أن الحزبية البغيضة لم تقتل دوافع الطموح فى الشعب وتقضى على مضائه وعزيمته ، وتفت فى عضده وتمكن لنفسها عن هذا الطريق الملتوى المحفوف بأشواك الخيانة والغدر •

كانت مصر تستطيع من زمن بعيد أن تنتصر فى كثير من هـــذه المواقع لو أن ذلك لم يكن كذلك ، ولكن قدر للبـــلاد خلال ذلك الماضى الأسود أن يكون أعداؤها فى الداخل أشد وأخطر عليها من خصومها فى الخارج •

لذلك وضعت الثورة نصب عينيها أن تقضى قبل كل شىء على هذا الفساد الداخلى أولا حتى لا تنتكس وتصاب بالفشل كما حدث فيما سبقها من ثورات ، وكان تصرفها الحكيم هذا من دلائل توفيق الله لها •

منذ هذا التاريخ الذى وطئت فيه انجلترا أرض مصر أخذت تجاهد فى سبيل نفض أغـــلال هذا الاســـتعمار عن كاهلها ، حتى تمكنت من ذلك بعد قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ م ، فقد وقعت هذه الثورة معاهدة الجلاء فى يوليو عام ١٩٥٤ م التى تقضى بجلاء الانجليز عن مصر فى مدى عشرين شهرا من تاريخ توقيع هـــذه الاتفاقية ، ولم توقع انجلترا على هذه المعاهدة طائعة ، ولكن أكرهها على ذلك ماذاقته على أيدى الفدائيين من أبناء هذا الوطن المجاهد حتى لقد تم الجلاء فعلا فى ١٣ يونيه ١٩٥٦ م قبل موعده بخمسة أيام ، لأن انجلترا وجدت صلابة من قادة الثـــورة فى تنفيذ نصوص الاتفاقية ، ووجد القادة سندا من شـــعب مجمع على أن يشد أزرهم ، ولم يجد الانجليز الأساليب السابق اتباعهـــا مع غيرهم من حكام مصر ، فكان الجلاء الذى أجبرت عليه انجلترا والذى كانت له رنة أسى فى الدوائر الاستعمارية لأنها عدته بداية غروب شمس الاستعمار عن الشرق ، وهذا هو الواقع • ولذلك فما أن أعلن الرئيس جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس فى يونيه سنة ١٩٥٦ م حتى وجد الاستعمار ذريعة لكى يعيد سيرته ، فتحالفت انجلترا وفرنسا فى محاولة فاشلة عن طريق قاعدة العـــدوان « اسرائيـــل » للرجوع مرة أخرى الى مصر ، وقد انتهت هذه المحاولة الى ما هو معروف من الفشل الذريع والخزى الشائن •

ولقد أشار الميثاق الوطنى الى ألوان ذلك الكفاح الذى قدمه الشعب المصرى ليعبر به عن قضية من أروع قضاياه ، وهى قضية الثورة ضد معانى الظلم بأنواعه ، وفى مقدمة ذلك الثورة ضد الاستعمار ، سالكا كل الطرق فى ثورته التى تمكنه من الوصول الى أهدافه العظيمة .

لقد كانت ثورة يولية سنة ١٩٥٢ م شعلة انطلاق الى هذه المرحلة الجديدة والمجيدة فى تاريخ النضال المتواصل للشعب العربى فى مصر .

ولقد استفاد الشعب من كل الدروس التى تعلمها من الانتكاسات التى تعرض لها فى ثوراته المتعاقبة ، حتى أمكنه أن يصنع ثورة ناجحة ، فرضت على الاستعمار ارادتها وأجبرته على أن يتخلى عن مطامعه ، ويحمل عصاه على كاهله ويرحل عنها على حد تعبير الرئيس جمال عبد الناصر اذ يقول : « **ان وادى النيل لم تنقطع فيه أصوات النداءات الثورية فى مواجهة هذا الارهاب المتحكم الذى تسنده قوى الاحتلال الأجنبى والمصالح الدولية الاستعمارية .**

« **ان أصداء المدافع التى ضربت الاسكندرية ، وأصداء القتال الباسل الذى طعن من الخلف فى التل الكبير ، لم تكد تخفت حتى انطلقت أصوات جديدة تعبر عن ارادة الحياة التى لا تموت لهذا الشعب الباسل ، وعن حركة التغطية التى لم تقهرها المصائب والمصاعب** » (١) .

وانتصرت مصر الحديثة فى كفاحها ضد الاستعمار انتصارا حاسما ، وفرضت ارادتها عليه ، ولم يستطع بكل تحديه أن يجبرها على الفرار من أمامه فى أى معركة يخوضها معها حتى حين لجأ الى وسائله الاخرى المقنعة ، لم يتمكن أن ينال منها شيئا .

لجأ الى ذلك حين قررت مصر أن تبنى نفسها ، وتسبق الزمن الذى فرض عليها التخلف ، وحين أرادت أن تخرج من مناطق النفوذ والتبعية ، وتسلك طريقها الذى اختارته بمحض ارادتها ، وحين أرادت أن تجهز جيشها بأحدث المعدات والأسلحة وتصل به الى مستواه اللائق به ، وحين أرادت أن يكون اقتصادها ملكا لها وحدها ، وحين أبت أن يكون لأحد دخل فى تقرير ما تريد ، أو رفض ما تريد ، وحين رأت أن مصلحتها تملى عليها أن تكون غير منحازة لأى أحد أو تابعة لأى معسكر . حين رأت ذلك وارادته بدا للاستعمار أن هذه لغة جديدة لم يتعود أن يسمعها ، ولم يتصور أن

---

(١) الميثاق ـ الباب الثالث .

ينفاهم بها فلجأ الى وسائل الضغط ، والحصار الاقتصادى ، واستعراض العضلات ، والتلويح باستعمال القوة ، والى المناورات الحربية وارسال قطع الأسطول تتمشى فى البحار والمحيطات وتنزل فى الشواطىء العربية أملا فى أن يفت ذلك فى عضد مصر ، أو يجعلها تفكر مرتين قبل أن تتمادى فى تنفيذ ما عزمت عليه ، أو تتراجع عما صممت على تنفيذه ، أو ربما تختار لنفسها حلا وسطا قريبا من منطق الاستعمار !!

ولكن كل ذلك كان مصيره أن تدرعت مصر بالثبات الذى أشعر المستعمر بخيبة أمله واصابه بغصة فى حلقه لازال يعانى منها حتى اليوم .

ومضت مصر لا تلوى على شيء ، فعربت الشركات وأممت البنوك ، وفرضت من القيود الاقتصادية والمالية ما يتمشى مع سياستها التى تختطها لنفسها ، وتخلصت من قيود الاسترلينى ، وعقدت صفقات الاسلحة ، واستقدمت الفنيين ، وتعاونت على مدى واسع مع كافة الدول الصديقة والمحبة للسلام ، وأنشأت لمنتجاتها أسواقا مختلفة فى القارتين الآسيوية والافريقية ، وخرجت مصر من كل ذلك ظافرة قوية منتصرة ، وخرج الاستعمار من معركة التحدى مدحورا مذموما .

وتعقبت مصر الاستعمار تندد به ، وتفضح أساليبه وتعرف الدول بأشكاله وألوانه ، وتنبه الشعوب الى ألاعيبه ، وتنادى فى كل محفل أو مؤتمر أو اجتماع بالحذر منه والتخلص من مناوراته .

انها تريد أن تقضى عليه فى شتى صوره الصريحة والمقنعة وتخلص العالم من شره وآثامه ، سواء كان فى صورة شركات ومعونات أو فى صورة ارساليات ونجدات أو فى صورة وصايات وانتدابات ، أو فى صورة احتلال وقواعد أو كان فى أية صورة من صور ووسائل الاستغلال المختلفة.

وتمكنت بجهادها الدبلوماسى من استصدار قرار من المنظمة الدولية للأمم المتحدة بوجوب تصفية الاستعمار فى العالم وتطهيره منه . حتى يمكن للشعوب أن تأخذ طريقها الطبيعى فى الحياة .

وقد أوضح الميثاق الوطنى السياسة التى تسير عليها الجمهورية العربية المتحدة ، وكان من خطوطها الواضحة الرئيسية : الحرب ضد الاستعمار والسيطرة بكل الطاقات والوسائل وكشفه فى جميع أقنعته ومحاربته فى كل أوكاره .

« ان نهاية هذا العهد البغيض بالنسبة لكل شـــعوب العالم تحققت بفضل نضال شعبنا .

« ان الاستعمار الذى ما زال متمسكا بأهدافه غير أسلوبه ...

ان شعبنا كان بالمرصاد لكل محاولات التنكر والتخفى ، وواصـــل مطاردته لها ، وتجميع قوى الشعب ضدها .

« ان اصرار شعبنا على محاربة الأحلاف العسكرية التى تريد أن تجر الشعوب رغم ارادتها الى فلك الاستعمار ـ كان صوتا عاليا بالحق فى جميع المجالات منبها ومحذرا ... » (١) .

ان مصر التى جربت الاستعمار ، وذاقت من ضراوته وشره الكثير ، ثم قدر لها أن تتخلص منه وتنعم بطعم الحرية وتتنسم نسيم الاستقلال ، لا يســـعها الا أن تكون خير معين ، ونصير للشـــعوب المتطلعة للحرية ، ولا يسعها الا أن تكون هى القاعدة المشعة ، التى تنطلق منهـــا تباشـــير الأمل نحو فجر جديد ، ونحو حياة ســـعيدة خالية من ذلك الاخطبوط الخبيث ، وليس ذلك بغريب عليها فهى قلعة حصينة للعالم العربى ، ومركز اشعاع قوى للشعب الآسيوى والافريقى .

---

(١) الميثاق ـ الباب العاشر (السياسه الخارجية) .

الدعوات التحررية ونشأتها فى مصر

موقف مصر من الثورات التحررية

جاء فى الميثاق : « **واذا كانت الجمهورية العربية المتحدة تشعر أن واجبها المؤكد يحتم عليها مساندة كل حركة شعبية وطنية ، فان هذه المساندة يجب أن تظل فى اطار المبادىء الأساسية ، تاركة مناورات الصراع ذاته للعناصر المحلية ، تجمع له الطاقات الوطنية ، وتدفعه الى أهدافه ، وفق التطور المحلى وامكانياته .**

« **كذلك فان الجمهورية العربية المتحدة مطالبة بأن تفتح مجال التعاون بين جميع الحركات الوطنية التقدمية فى العالم العربى . انها مطالبة بأن تتفاعل معها فكريا من أجل التجربة المشتركة ، لكنها فى الوقت نفسه لا تستطيع أن تفرض عليها صيغة محددة لصنع التقدم (١) »**.

وهكذا نرى أن مصر بحكم كونها قاعدة للحرية ، وطليعة البعث العربى ، يحتم عليها ذلك أن تقف الى جانب كل حركة تحررية بل ومن أمامها ومن خلفها ، يحتم عليها ذلك كونها هى القاعدة التى تنشأ عنها كل حركة تحررية فى الوطن العربى .

ان المبادىء القويمة التى تسير مصر فى ضوئها تدعوها الى أن تبصر أشقاءها العرب بحقيقة واقعهم وتعرفهم طريقهم ، وتدعوهم الى أن يشقوه

(١) الميثاق الباب التاسع (الوحدة العربية) .

بسواعدهم ، ويزيحوا منه كل عقبة تعترض تقدمهم ، وتعطل سيرهم أو تقيد خطاهم · سواء كانت هذه العقبات في صورة جنود احتلال أو أذناب للاستعمار أو انفصاليين رجعيين أو اقطاعيين مستغلين أو نحو هؤلاء وأولئك من أعداء الشعوب ·

ولذلك فان الدعوات التحررية التى تتجاوب فى العالم العربى اليوم تنظر الى مصر باعتبارها مصدر الالهام والوحى ، والموجه الأمين ، والمساعد القوى ، انها تنظر اليها باعتبارها الرائد الذى تتعلم منه كيف تصنع ثورتها ، وكيف تنجح فيها ، ومتى تبدأ ، والى أين تسير ·

نذكر هذا وأمامنا التاريخ الحديث يشهد بأن مصر رغم انتهاجها سياسة قومية خاصة بها خلال الثلث الأخير من القرن التاسع عشر أملتها عليها ظروفها الخاصة ممثلة فى اشتداد الازمة المالية ، وازدياد التدخل الاجنبى ، ووقوع الاحتلال البريطانى فان ذلك لم يجعلها بمعزل عن الحركة القومية فى البلاد المجاورة فقد استمرت الروابط الثقافية بين مصر وهذه البلاد ، واتفقت أمانيها مع أمانى العرب فى التخلص من ربقة الاستعمار ، وغذت وتغذت من الحركة العربية الكبرى ، بل غدت مصر مركزا لجمعيات عربية ذات أهداف قومية فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وأصبحت موئلا وملجأ لكثير من زعماء العرب ومفكريهم وقادتهم الذين لجئوا الى مصر فرارا من بطش الترك ، كما اشترك بعض المصريين فى ثورة العرب على الأتراك فى أثناء الحرب الكبرى الأولى (١) ·

واستمر تيار الحركة القومية فى مصر يقوى ، ويزداد رغم اشتداد وطأة الاحتلال البريطانى ، والحكم التركى فى البلاد العربية المجاورة ، وكان لقيام الجمعيات العربية التى تكونت فى مصر أثر كبير فى اذكاء هذه الحركة · من أمثال جمعية اللامركزية الادارية العثمانية التى تأسست فى القاهرة فى أواخر عام ١٩١٢ م ، وكان لها فروع كثيرة فى أنحاء الشام ، وكانت أهدافها تدور حول اقناع الاتراك بضرورة ادارة الدولة على أساس لا مركزى من جهة ، وتوجيه الرأى العام العربى نحو المطالبة باللامركزية من جهة أخرى (٢) · وهذه خطوة فى طريق تبصير الشعب العربى بحقه ، وتنبيهه الى واجبه ، ودعوته الى الجهاد فى سبيله ·

---

(١) تاريخ العالم العربى فى العصر الحديث ــ دكتور أحمد عزت عبد الكريم و دكتور عبد الحميد البطريق ص ١٥٤ ·

(٢) المصدر السابق ص ١٥٦ ·

حتى الجمعيات التى نشأت فى غير القاهرة كان يتزعمها مصريون ، مثل الجمعية القحطانية السرية التى أصبحت فيما بعد جمعية العهد التى تأسست فى عام ١٩٠٩ م فقد كان يرأسها عزيز المصرى الذى كان فى ذلك الوقت ضابطا بالجيش التركى .

وكان هدف هذه الجمعية أن تكون الاجزاء العربية فى الدولة العثمانية دولة واحدة ذات برلمان خاص وادارة محلية خاصة لغتها الرسمية هى العربية (١) .

واستمر نشاط هذه الحركات القومية يقوى ويشتد ، ويترك أثره فى جميع أجزاء العالم العربى ، ويبشر بطلوع عهد جديد ، وهو وان لم يصادف نجاحا سريعا بسبب عوامل قاهرة الا أنه هيأ الاذهان لجو جديد وثورات أقوى فاعلية وأسعد حظا وأكثر نجاحا .

وظل الكفاح مستمرا فى البلاد العربية حتى نجحت ثورة يولية سنة ١٩٥٢ م فقضت على كل مظاهر الفساد ، ووضعت مشروعات الاصلاح ، وتمكنت من اجلاء المستعمر ، وبذلك كانت أول ثورة تحريرية فى العالم العربى تقوم على أسس ثابتة ، وبرنامج مدروس وخطوات ايجابية وسريعة .

ولم تتخل الثورة عن واجبها فى المحيط العربى ، بل قدمت كل المساعدات الممكنة وفتحت صفحة جديدة فى علاقة مصر بشقيقاتها العربية. صفحة أملتها واقعية الحياة والادراك السليم لما يجب أن يكون عليه مستقبل الوطن العربى ، وضرورة تكاتفه للوصول الى أهدافه .

فقد أدركت الثورة خطورة هذا التفتيت الذى تعرضت له نتيجة للعوامل الاستعمارية هذه الامة العربية ، ومن هنا أمكنها المواءمة بين دعوتها الى الوطنية المصرية ودعوتها الى القومية العربية فليس بين مفهوميهما أى تناقض ، فكلاهما يدعو الى القوة والنهوض وكلاهما يهدف الى تحقيق العزة والكرامة وبناء شخصية عربية لها ملامحها المتفتحة المتميزة فى العالم .

بدأت مصر الثائرة صفحة جديدة فى علاقاتها بشقيقاتها العربيات قوامها الاخوة الصادقة والتعاون الوثيق والاخلاص المتبادل ، ووضعت سياستها على أساس أن عبء الدفاع عن العرب انما يقع على عاتق العرب

---

(١) المصدر السابق ص ١٥٦ .

أنفسهم ، وأن العرب جديرون بالقيام بهذه المسئولية اذا صفت قلوبهم ، وصدقت عزائمهم ، وتوحدت جهودهم ، واستجابت حكوماتهم الى نداء القومية العربية ، واتخذتها هاديا لها فى سياستها ، وتخلصت من الوان السيطرة الاجنبية .

ومن ذلك نفهم أن سياسة مصر التى وضعتها عن طريق ثورتها ، لا تؤمن بنظام التكتلات ولا الاحلاف الاجنبية التى ترمى الى فرض سيطرة خارجية على البلاد العربية واستقلال مواردها عن طريق ذلك .

ومن أجل هذا حاربت مصر الثائرة حلف بغداد بكل ما أوتيت من قوة ، وعدته قيدا يكبل أيدى من التزموا به من العرب ، واعتبرت من أيدوه من الحكام السابقين الذين كانوا يتحكمون فى مصير الشعوب العربية خارجين على ارادة الشعب العربى مستبدين بسياسته ، ومنحرفين بها عن تيار الحركة القومية الصحيحة ، وقد أثبتت الأيام صحة نظرية الثورة ، فقد هب الشعب العربى فى العراق يثبت وجوده، ويصحح تاريخه وينكل بالذين أرادوا أن يكبلوه بهذه الاغلال الاستعمارية وانتهى الأمر بانسحاب العراق من هذا الحلف المشئوم .

وعن طريق هذا القول نستطيع أن نؤكد أن الثورات التحررية انما صنعتها مصر باعتبارها الطليعة التى قادت الشعب العربى فى طريقه الى أهدافه التحررية الكبرى .

وباعتبار أن ثورتها الناجحة الملهمة هى التى أشعلت الحماس فى قلب كل عربى متحرك ليعمل على بناء مستقبله وفق أهداف القومية العربية التى ترجو لهذا الوطن العربى الكبير كل تقدم وازدهار .

وباعتبار الجهاد الذى خاضته مصر وثورتها فى سبيل تطوير هذا الوطن وانتشاله من وهدة الفقر الذى يعيش فيه رغم كنوزه الدفينة وخيراته الكثيرة الأمر الذى أثار عجب حافظ ابراهيم ودعاه الى أن يقول :

أيشتكى الفقر غادينا ورائحنا ونحن نمشى على أرض من الذهب؟

وباعتبار الأنظمة الاشتراكية العربية التى نادت بها مصر الثائرة وطبقتها انما هى اشتراكية مستمدة من صميم تعاليمنا وقوميتنا وديننا .

انها ليست اشتراكية مستوردة من الشرق أو الغرب ، ولكنها اشتراكية تلتقى أصولها مع أصول هذا الدين الحنيف الذى ندين به ، وتلتقى مع الكرامة العربية ، ومع المروءة والانسانية ، ومع الحب والوفاء

ومع طبيعة العرب المجبولين على لين الجانب ونجدة الملهوف ، والتضحية والايثار ٠

وباعتبار ان هذه الثورة التى صنعتها مصر لا تزال فى ثورة ، ورغم مرور أكثر من عشر سنوات فانها لم تفقد اندفاعها ، ولم تفقد مع اندفاعها توازنها ، ولم تثملها الانتصارات الكثيرة المتوالية التى حققتها ، ولم تقنع بما حققته من مكاسب ، بل استمرت فى ثورتها القومية العارمة ، تصنع كل يوم ثورة ، وتغرس كل يوم شجرة ، وتجنى كل يوم ثمرة ، باعتبار كل ذلك وغير ذلك تعد مصر هى صانعة الحركات التحررية فى كل جزء من أجزاء الوطن العربى ، حتى لو تمت هذه الحركات بغير علمها ، لأن ماقامت به مصر انما هو مقدمة ، ونتائجها هى هذه الحلول الحتمية التى تضعها العقول التقدمية لما ينتاب أوطانها من مشكلات ، وتأتى هذه الحلول فى شكل انتفاضات ، أو ثورات ، أو حركات قومية ٠

ولانتجاوز الواقع اذا قلنا : ان ما يحدث فى العالم الافريقى الآسيوى من حركات تحررية يكاد يكون كله صدى لثورة مصر الناجحة البيضاء التى قامت دون أن تراق فيها نقطة دم واحدة ، بل ان ثورة كوبا ، مثلا ، قد درست جميع ثورات العالم ،وكان لها من ثورة مصر المثل الكامل ، وهى فى نظرها النموذج الأعلى للثورات الناجحة المصلحة ، كما صرح بذلك قادتها وزعماؤها ٠

احتضان مصر للمناضلين العرب :

وعلى هذا الاساس فلا يمكن لصانعة الأجيال أن تتنكر لصانعى الأجيال

لا تستطيع مصر وهى الحريصة على مصلحة الشعب العربى أن تغلق أبوابها فى وجه محررى الشعب العربى ٠

لا تستطيع قلعة النضال أن تكفر بأبطال النضال ٠

ان مصر التى وضعت فى اعتبارها الأول تحرير الوطن العربى ، وتحقيق وحدته والوصول به الى أهدافه الكبرى ، لا بد أن تفتح قلبها الكبير على سعته ليجد فيه كل محب للحرية أمنه وظله وسلامه وعزته ، ولينشد فيه كل وطنى غيور على قوميته ملاذه وحماه ٠

لا يمكن لمصر اطلاقا أن توصد أبوابها فى وجه دعاة الحرية ، ومنقذى

أوطانهم والعاملين على تطوير شعوبهم ، وانقاذها من هاوية التأخر والاضمحلال .

ان مصر باعتبارها القلعة الحصينة للعالم العربي قد لجأ اليها الأحرار المناضلون من كافة الاقطار ، فوجدوا فى ظلها كل رعاية واهتمام .

وحين يشتد العسف والجور فى مكان ويظلم الجو بما يتراكم فيه من سحب الارهاب والتنكيل وتضيق الأرض على الابطال بما رحبت ، تصبح مصر فى نظر هؤلاء الأبطال هى الشعاع الهادى ، وهى الواحة الوارفة الظلال ، فيقبلون اليها ، فرارا بايمانهم بوطنهم ، واستعدادا لوثبة أكبر فى جولة مقبلة .

وقد جاء الى مصر كثير من الاحرار ، وكانت عند حسن ظنهم بها ، فأمدتهم بكل ما يحتاجون اليه من عون مادى وأدبى ، وشجعتهم على المضى فى دعوتهم التحررية .

وقد سبق أن أشرنا فى أثناء ما مر من أحاديث الى بعض هذه الاستقبالات التى تمت فى مختلف مراحل التاريخ المصرى ، وكيف وجد الوافدون فى ظل مصر المتحررة كل رعاية وعطف .

ونشير فى هذا الموضع الى بعض هذه الوفادات التى تمت فى تاريخ مصر الحديث .

جاء المرحوم الامير عبد الكريم الخطابى الزعيم المراكشى الذى قاد ثورة الريف وجاهد ضد الاسبان والفرنسيين ، وكان مثلا مشرفا فى الجهاد والكفاح ، وأصبح مقره فى القاهرة مركز اشعاع للوطنية الصادقة والجهاد المخلص ، وظل بمصر حتى وافته المنية ودفن بها فى مشهد مهيب واحتفال رائع يليق بماضيه المشرف فى الوطنية والجهاد ، ولا تزال أسرته محل عناية ورعاية من أشقائهم المصريين وقادة الشعب المصرى الأمين .

كما جاء اليها من تونس كثير من الاحرار الذين حملوا لواء الجهاد وكافحوا فى سبيل تحرير البلاد من الاستعمار الفرنسى وكان من بين هؤلاء الوافدين الحبيب بورقيبة رئيس جمهورية تونس الآن جاء مع كثير من التونسيين الذين جاهدوا فى سبيل تحرير شعب تونس من الاستعمار الفرنسى ، فأكرمت مصر وفادتهم ، وافسحت صدرها لهم وأعانتهم فى جهادهم .

ومن ليبيا جاء وافدون كثيرون فرارا من الارهاب الايطالى الذى قام

ينكل بالأحرار الليبيين المطالبين بحرية بلادهم واستقلالهـا ، ومن هؤلاء الاحرار المجاهد الـكبير عمر المختار ومعه نفر كبير من أنصاره واخوانه ، وقد رحبت بهم مصر يومهـا حكومة وشعبا ، ولبث عمر المختـار فى مصر فترة غير قصيرة ، وبعدها عاد الى ليبيا ليعاود الجهاد ضـد الايطاليين بعد أن تزود لهم من قلعة العروبة زادا قوى معنوياته فصمد لهم فترة طويلةحتى تمكن المستعمرون من اعتقاله ومحاكمته محاكمة صورية انتهت باصدار الحكم باعدامه بعد حياة حافلة بالجهـاد والبطولة ، وقد تأثرت مصر كثيرا بهذا الحكم، وكان له صدى شديد فى دوائرها اثار خواطر الشعراء وألهب حماس المفـكرين والوطنيين وقد رثاه أمير الشعراء بقصيدة يستثير بهـا حمية الشعب العربى ويستحثه على المطالبة بحريته جاء فى مطلعها :

ركزوا رفاتك فى الرمـال لـواء يستنهض الماضى صـبـاح مساء
يا ويحهم نصبوا منـارا من دم يوحى الى جيل الغـد البغضـاء
ماضر لو جعلوا العـلاقة فى غد بين الشـعوب مودة واخـاء ؟

فى سـنة ١٩١١ وجه الايطاليون مدافعهم الى مدينتى : طرابلس ، وبنغازى ، وانطلقت القـذائف على أهل البـلاد الذين تركهم العثمـانيون وحدهم فى الميـدان ، وتأهب الليبيون للـدفاع عن وطنهم ، ووقفـوا أمام طائرات العدو ودباباته ومدافعه بعزم قوى، وشجاعة نادرة ، بقيادة البطل العربى عمر المختار ، ذلك الشيخ العجوز الذى استطاع أن يزلزل أركان الاستعمار الايطالى ، وينتصر عليه أروع انتصار ٠

وفد عمر المختار على « مصر » يدعو الزعماء الليبيين الى الكفاح ، غير أنهم نصحوه بأن يبقى فى مصر وأن يستقر فيها ٠

ومن العراق وفد الثائر الحر رشيد عالى الكيلانى، الذى قام بانقلاب عسكرى فى ابريل عام ١٩٤١ وأطاح بالحـكومة القائمة ، وجعل الملك ، والوصى على العرش ، وعـددا من رجال السـياسة فى العراق يفرون الى خارج البلاد ٠

ولكن لم يقدر لهـذا الانقلاب أن يصبح ثورة ناجحة ، فقـد احتلت انجلترا العراق وضيقت الخنـاق على ذلك المجاهد الذى كان قـد بدأ فى تنفيذ بعض برامجه الاصلاحية وأخيرا لجأ رشيد عالى الكيلانى الى مصر ، حيث وجد فى ظلها الرعاية والحماية ، وقد ظل بها حتى قامت ثورة يوليو سنة ٥٨ فى العراق ، واعترفت بثورته الماضية واعتبرتها ثورة وطنية ، وطلبت اليه الرجوع الى العراق لينـال ما يستحق من تكريم ، وأيضا لم يقدر لهذه الثورة أن تستمر على منهجها التحررى الذى رسمته لنفسها ،

ولكنها انحرفت عن طريقها على يد عبد الكريم قاسم الذى سجن الاحرار ونكل بالمجاهدين وقبض على زعماء هذه الثورة وزج بهم فى ظلمات السجن ، وفر من الأحرار من استطاع الفرار ولجأ الى مصر ، وظل من وفد اليها محل رعايتها حتى أذن الله للأوضاع أن تصحح فى العراق مرة أخرى فعادوا أحرارا الى وطن حر .

وحين حدثت مأساة فلسطين ، وامتحنت البلاد العربية بأكبر كارثة عرت عليها فى تاريخ حياتها، وجد الفلسطينيون أنفسهم مشردين لا مأوى لهم ، فقد انتزع الصهيونيون وطنهم وأخرجوهم من ديارهم واستولوا على مقدراتهم ، وظاهرهم فى ذلك الاستعمار الخبيث ومكن لهم وبذلك صنعت هذه الدول الاستعمارية — التى تزعم أنها متحضرة — أكبر مشكلة فى العالم تسمى اليوم باسم مشكلة اللاجئين .

وقد فتحت مصر صدرها لاستقبال الآلاف منهم ، وكان فى مقدمتهم كثير من رجالاتها الأحرار ، ولا زالت مصر تقوم بواجبها ازاء هؤلاء الاخوة فى العروبة بكل اخلاص ، وتقدم لهم كل المساعدات الممكنة من مادية ومعنوية ، وقد احتضنت قضيتهم وتبنتها ، وجندت نفسها لها واعتبرتها مشكلة من أخص مشكلاتها وأصبحت عودة الفلسطينيين الى ديارهم هدفا قوميا من أهداف الجمهورية العربية المتحدة ، لن يثنيها عن العمل فى سبيل تحقيقه أى عائق ، وسيأتى اليوم الذى ترد فيه لهؤلاء العائدين كرامتهم ، ويعودون الى وطنهم السليب موفورى العزة مرفوعى الرأس .

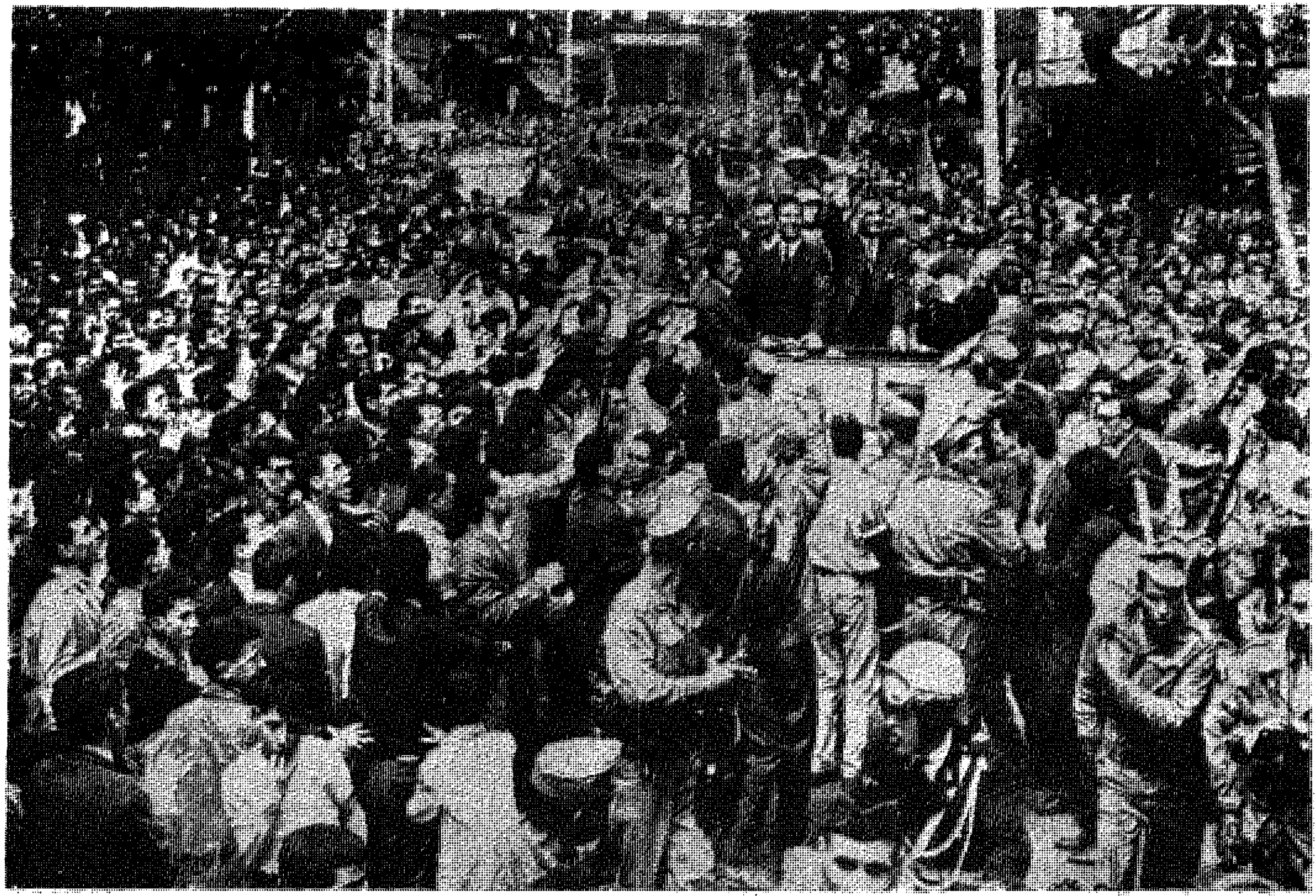
ولا ينكر أحد الدور الذى قامت به مصر فى تأييد الثورة الجزائرية، لقد كان دورا رائعا يشهد بمقدار ما تؤمن به مصر من نضال فى طريق العزة والقومية العربية ولقد رأت فرنسا مدى خطورة هذا الدور ، فأرادت القضاء على ثورة الجزائر عن طريق القضاء على قاعدة الحرية فى الشرق ، فدبرت العدوان الغادر على مصر بمساعدة انجلترا واسرائيل ولكن خاب فألها ، وطاش سهمها وذهبت أمانيها أدراج الرياح ، وكان ما كان من أمر العدوان ونهايته .

ذهبت مصر فى تأييدها للجزائر الى أبعد غاية ، وكان مركز حكومتها المؤقتة فى القاهرة ، وظلت مصر مؤيدة للثورة الجزائرية حتى انتصرت الجزائر ونالت استقلالها ، وتمتعت بحقها فى الحرية والحياة الكريمة ، وتتابعت اعترافات القادة والزعماء الجزائريين بفضل مصر وتضحيتها فى سبيل وصولهم الى حقهم الذى طال الأمد عليهم وهم يحلمون بتحقيقه .

وتوجت الجزائر انتصارها وثورتها باستقبال رائد القومية العربية جمال عبد الناصر الذى زارها فى مايو سنة ١٩٦٣م ، فاستقبله الشعب الجزائرى استقبال من يعترف بالحق لأصحابه، ويقدر الدور الايجابى الذى قامت به مصر فى مساندة ثورته .. لقد خرجت جموع الشعب الجزائرى فى عاصمته ومختلف المدن الجزائرية وقراها لتحية ذلك البطل الذى كان له الفضل الأول فى نجاح الثورة الجزائرية ، وتجلى العرفان بالجميل فى بيان وزارة الدفاع الجزائرية ، الذى أذاعته بمناسبة هذه الزيارة وجاء فيه **« ان الجزائر ستعيش غدا يوما تاريخيا لأنها وقد ظفرت بحريتها واستقلالها ، ستستقبل بطلا من عظماء الأبطال فى الكفاح المناهض للاستعمار ، وتستقبل أعظم صناع الوحدة والاشتراكية العربية : جمال عبد الناصر .... اننا نحيى فى شخص عبد الناصر اخواننا العرب الذين ساعدونا منذ الأيام الأولى دون غرض ذاتى ... ولن ننسى اطلاقا المساعدات المادية والمعنوية التى تلقيناها والتى كانت من الأسباب الكبرى فى انتصارنا .... »**

هذا ولا زالت القاهرة تتطلع اليها أعين المجاهدين فى كافة أنحاء العالم العربى والاسلامى . ويجدون من حديها شعاعا ينير لهم الطريق فى جهادهم ويصل بهم الى غاياتهم الكريمة التى يرجونها لاوطانهم وللانسانية جمعاء .

وهناك أمثلة كثيرة لا يتسع المجال لسردها ، ولن تكف مصر عن مساعداتها لهؤلاء الثوار ومعونتهم لمواصلة كفاحهم ضد عوادى الظلم والاستعمار ، ولن تتوانى فى العمل على تمكينهم من بناء بلادهم على أسس جديدة تساير تطور العصر الحاضر ومقتضياته .



استقبال الرئيس في الجزائر

نص خطاب

السيد الرئيس جمال عبد الناصر

في الجزائر عند زيارته للشعب الجزائرى

فى ٤ مايو سنة ١٩٦٣ :

أيها الاخوة المواطنون ..

أيها الاحرار ..

الحمد لله ، الحمد لله الذى أعطانا هذه الفرصة ، لنرى الأمانى وقد تحققت .. الحمد لله فقد كنا نحلم أن نرى الجزائر العربية ، فقد رأينا اليوم الجزائر العربية ، وشعب الجزائر الثائر ، الحمد لله ، الحمد لله أيها الاخوة ..

ايها الاخوة .. حينما التقيت بكم اليوم ، وكنت فى شوق الى أن أرى شعب الجزائر الثائر البطل .. حينما التقيت بكم فى ظهر اليوم ، كنت أشكر الله من كل قلبى الذى مكننى من أن أعيش هذا اليوم ، كنت أشكر الله من كل قلبى .

وحينما التقيت بكم أيها الاخوة بعد خروجى من الميناء ، وأنا أحمل لكم مشاعر اخوة لكم فى المشرق العربى ، فى مصر وفى سوريا وفى العراق ، وفى كل بلد من بلدان المشرق العربى رأيت نفسى بينكم وكأنى فى مصر أو كأنى فى سوريا ..

حينما سمعت الى هتافكم فى ميدان بورسعيد ·· سمعت الهتاف : فلسطين ، فلسطين ·

فى ميدان بورسعيد سمعت الهتاف للقومية العربية ، فى ميدان بورسعيد وعلى طول الطريق سمعت الهتاف للوحدة ·· وكنت أقول لأخى احمد بن بيلا : اننى حينما أرى هذا الشعب الثائر أشعر أننى بين أهلى بلدى ·· بين أبناء العروبة ·

أشعر أن الهتاف الذى أسمعه اليوم ، فى هذا المكان ، هو الهتاف الذى سمعته أمس فى مصر ·· وفى سوريا ·· وفى العراق ·

أيها الاخوة المواطنون ··

ان العرب أمة واحدة ، هذه هى الوحدة العربية الحقيقية ··

أيها الاخوة المواطنون ··

ان الوحدة خلقتها الشعوب منذ أول يوم ، وجمال عبد الناصر لم يعمل أى شىء لشعب الجزائر ، ولكن الشعب العربى الذى آمن بوحدته ، والذى آمن بحريته ·· الشعب العربى فى مصر هو الذى كان يكافح من أجل أن يتخلص من الاحتلال البريطانى ، كان يشعر بوحدته مع الشعب الثائر الجزائرى ، الذى يريد أن يتخلص من الاستعمار الفرنسى ، ويحصل على حريته ·

كان هذا هو ما جمع بيننا ، كان هذا هو ما وحدنا على مر الأيام وعلى مر السنين ·· وحدتنا أيها الاخوة ، وحدتنا المعارك الطويلة ، وحدتنـــا المشاعر المتشابكة ، وحدتنا الدماء التى ارتبطت على مر السنين وعلى مر القرون ، وحدتنا هذه الامة العربية التى كافحت طويلا من أجل أن تبقى حرة عربية ، والتى بذلت الشهداء وبذلت الدماء ·

منذ عشرات السنين ، ومنذ مئات السنين ، لم تنس أبدا حريتهـا ولم ينس الشعب فى مصر أبدا أن الجزائر لابد أن تكون عربية ، وأن شعب الجزائر الثائر لا بد أن ينتصر ··

أيها الاخوة المواطنون ..

أيها الاخوة الاعزاء ..

لم تفرقنا الا دسائس الاستعمار ، والا الأطماع ، والا الحروب الطبقية التى سلطت علينا والا الاستغلال ، ونحن أمة واحدة ، وكنا دائما أمة واحدة ، يشعر الفرد منكم ، هنا فى الجزائر بما يحدث للفرد فى مصر أو فى سوريا أو فى العراق أو فى اليمن ..

وأنا على ثقة ــ أيها الاخــوة الأعزاء ــ أنكم هنا ، كنتم تشــعرون بالحرب فى اليمن ، كما يشعر بها الشعب اليمنى الثائر ، وكما يشعر بها الجيش المصرى الذى يعمل فى اليمن .

أشعر بهذا ــ أيها الاخوة ــ لانى فى مصر ، وفى سوريا ، كنت أشعر بمشاعر الشعب المصرى ، والشعب السورى ، والشعب العربى فى المشرق تجاه الجزائر ، وتجاه ثورة الجزائر وقد رأى ذلك أخى احمد بن بيلا بنفسه .. رأى ذلك كل من زار المشرق العربى .

ان المشرق العربى الذى آمن بوحدته وبوحدة الامة العربية ، قبل أن تكون هذه الوحدة دستورية .

ان المشرق العربى الذى آمن بالوحدة العربية وان أمة العربواحدة ، وان كفاح العرب واحد ، كان يشــعر دائما أن لابد لشــعب الجزائر أن ينتصر .

وحينما التقيت فى عام ١٩٥٤ ، بالأخ احمد بن بيلا ، حينما أعلن الثورة وكان فى القاهرة شعرت ــ أيها الاخوة ــ وهو يتكلم ، أنه يتكلم عن آمال شعب ، عن آمال شعب الجزائر ..

شعرت ــ أيها الاخوة ــ وهو يتكلم بثورة مثل ثورة شعب الجزائر ، شعرت منه ــ أيها الاخوة ــ بايمان .. بانتصار شعب الجزائر ، حينما التقيت بالأخ احمد بن بيلا سنة ١٩٥٤ كنت على ثقة أن الجزائر لا بد أن تنتصر بعــون الله ما دام فيهــا مثل احمد بن بيلا ، وما دام فيهــا هــذا الشعب .

الشعب لا بد أن ينتصر

وقال احمد بن بيلا ــ أيها الاخوة ــ فى هذه الأيام ان الشعب لا بد أن ينتصر وآن للثورة أن تنتصر .

أيها الاخوة ٠٠

وأنا بينكم اليوم بعد أن ثرتم وبذلتم ورفعتم ، بذلتم الدماء وبذلتم الروح ٠٠ وأنا بينكم اليوم هنا فى أرض الجزائر ، أرض الأحرار ، أرض الثوار ٠٠ المليون شهيد أحمد الله من كل قلبى ، أحمد الله الذى أعانكم على الصبر أكثر من سبع سنوات بالثورة وفى القتال حتى تحقق النصر ٠٠ أحمد الله الذى مكن لكفاحكم أن ينتصر وأن تلتقى ثورتكم هنا المنتصرة فى الجزائر بثورة الشعب العربى فى مصر وبثورة الشعب العربى فى العراق ٠٠ وبثورة الشعب العربى فى سوريا ٠٠ وبثورة الشعب العربى فى اليمن ٠٠ وبثورة الشعب العربى فى كل بلد عربى من أجل الحرية ومن أجل الاستقلال ، ومن أجل الوحدة العربية ٠

أيها الاخوة المواطنون ٠٠

كنت أتمنى أن أرى الجزائر عربية ، كنت أتمنى منذ قامت الثورة سنة ١٩٥٢ أن أرى الانجليز وقد خرجوا من مصر ٠٠ وأن أرى الجزائر وقد استقلت وأصبحت عربية ، وأن أرى الأمة العربية وقد توحدت وأصبحت دولة عظمى تعيد الأمجاد القديمة ، الأمجاد المبنية على الحرية وعلى العدالة وعلى المساواة وعلى العمل من أجل الانسان ومن أجل حرية الانسان ٠

وأنا اليوم ــ أيها الاخوة المواطنون ــ بينكم ومعى أخى احمد بن بيلا الذى التقيت به فى سنة ١٩٥٤ ، وكله أمل ، وكله أمل فى الحرية وفى الاستقلال ٠٠ أنا اليوم ، وأنا بينكم أحمد الله الذى أعطانا هذا النصر الكبير ، أحمد الله الذى أعطى هذا الشعب الثائر قوة الايمان ، ليدفع الثمن الغالى ، المليون شهيد ، المليون بطل ، الجزائر أرض الثوار تفخر بكم ٠

الجزائر أرض الثوار

أيها الاخوة العرب فى كل مكان ٠٠

ان الجزائر أرض الثوار ، الجزائر بلد الأبطال ، الجزائر بلد الشعب الذى خاض وجاهد وكافح فصمم ، فصمم على أن يرفع علم الحرية ٠٠ وأنا

اليوم بينكم ، وأرى علمكم ، علم الجزائر الحبيب الذى نسجتموه بأيديكم وعرقكم ودمائكم وبأرواح شـهدائكم ، وقـد ارتفع عاليا . ليعلن للعالم أجمع أن شعب الجزائر قد استقل ، وأن شـعب الجزائر قد تحـرر ، وأن شـعب الجزائر قد أعلن اليوم ـ أعلن اليوم ـ بحرية عن طبيعتـه ، عن انفعاله ، عن أحاسيسه ، أعلن عن ايمانه بالقومية العربيـة والوحـدة العربية وأعلن عن ايمانه بالحرية العربية ..

اننى أيها الاخوة ، اننى اليوم شعرت بقوة كبرى وأنا أسير بينكم ، بينكم من الميناء الى قصر الشعب ، لانى فعلا أحسست بمشاعر هذا الشعب البطل المكافح المناضل .. أحسست بمشاعر هذا الشعب الذى تحرر ، وأصبح تحرره سياسة لقوة الأمة العربية .

الحرية رفرفت علينا

اليوم أيها الاخوة المواطنـون وأنا كنت أمر بينـكم ، كنت أحس بالمعارك التى دخلها اخوتكم ، والمعارك التى خضتموها هنا .. بالمدفع والبندقية ، وبكل شىء من أجل الحرية .. وأحمد الله أن الحرية رفرفت علينا فى المشرق ، وأن الحرية رفرفت أعلامها هنا فى المغرب . وان أمة العرب تسير رافعة أعلام الحرية ، وهى تعمل بعد أن دفعت الدماء ، وبعد أن دفعت الأرواح ، وبعد أن ضحت وناضـلت ، لترفع راية الـكرامة الانسانية ..

اننا هنا اليوم معكم أيها الاخوة ، أيها الاخوة ، أيها المناضلون ، أيها الثـوار .. وقـد انتهت ثورتـكم المسـلحة من أجل الحرية ، ومن أجل الاستقلال ، وبدأت ثورتكم الكبرى من أجل الاشتراكية .. ومن أجل العدالة الاجتماعية ..

واجهنا نفس العدو

اننا معكم .. لقد سرنا فى هذه المعركة . اخوتكم فى مصر تخلصوا من الاستعمار .. وتخلصوا من الاحتلال ، ثم جابهوا العدوان الثلاثى ، وجابهوا عدوان اسرائيل وقاتلوا ، وصبروا ، وانتصروا ، وكان كل فرد منهم يعرف أنه انما يدافع عن أرض مصر . وفى نفس الوقت يدافع عن أمة العرب كلها .

رفعنا راية العدالة

ثم بعد هذا بدأنا فى رفع راية العدالة الاجتماعية لنتخلص من السيطرة التى قاسينا منها فى الماضى ، سيطرة الطبقة المستغلة ٠٠ تخلصنا من الاقطاع ، وتخلصنا من سيطرة رأس المال المستغل ٠ ورفعنا راية العدالة الاجتماعية لأننا كنا نعرف أن الحرية جناحاها الديمقراطية والاشتراكية ٠

والاشتراكية أيها الاخوة ، هى الديمقراطية الاجتماعية ٠

ماذا نرى بينكم ؟

واليوم ونحن معكم هنا ، نرى أنكم تبنون بلدكم بالعرق وبالكفاح ٠٠ كما حصلتم على حريتكم بالدم وبالأرواح ٠

ونقول لكم ٠٠ اننا نساندكم دائما كما ساندناكم فى الماضى،ونعرف أن هذه المساندة هى قوة لنا ، لأن شعب الجزائر الثائر ، شعب الجزائر الحر ، حينما يساند الامة العربية ٠٠ انما يكون قوة للأمة العربية كلها ، فى كل شبر من أرجائها ٠

أحاسيس لا يمكن وصفها

أيها الاخوة المواطنون ٠٠

ان الأحاسيس التى شعرت بها اليوم وأنا القاكم ٠٠ ان الانفعال الذى شعرت به اليوم وأنا بينكم ، لا يمكن لانسان أن يتخيله ٠٠ لان هذا اليوم ، فى الحقيقة كان يظهر لنا فى الماضى أنه حلم ولكن الله كبير ، الله الذى نصركم ، كنا نشعر أن ما رأيناه اليوم ، كنا نحلم به منذ سنوات ولكنه أصبح حقيقة ٠

الحمد لله الذى مكننا من أن نرى هذه الفرصة لنرى الجزائر العربية، الجزائر المستقلة ٠٠ وأنا أشعر اليوم بفرحة أخى احمد بن بيلا واخوانه الذين جاهدوا وقاتلوا معه ، أشعر أنه فى سنة ١٩٥٤ أيضا كان يحلم بهذه الأيام ٠٠ فقد قال لنا اليوم انه كان يحلم بهذه الايام ٠٠ اننا نحمد الله ، نحمد الله الذى أعطى هذا الشعب القوة والقدرة على الكفاح ٠٠ والذى أعطى هذا الشعب هذا القائد المناضل المكافح الذى قاده من أجل النصر ومن أجل الحرية ٠٠

لقد قال احمد بن بيلا فى سـنة ١٩٥٤ أن لا بد أن ننتصر أو أن نستشهد من أجل الحرية ٠٠ من أجل الاستقلال ٠

الحمـد لله الذي نصر احمـد بن بيلا وانتصر شـعب الجزائر الحر المكافح ٠٠

أيها الأخوة ٠٠

اسمحوا لي أن أنقل اليكم تحية كل فرد من أبناء الجمهورية العربية المتحدة ٠٠

وكما قلت لكم كانوا جميعا يعيشون معكم ثورتكم ، وكفاحكم ، وقد فرحوا جميعا بانتصاركم ٠٠

فاسمحوا لى أن أقول للأخ احمد بن بيلا اننا من كل قلوبنا نرجو من الله أن ينصرك وينصر الشعب الجزائرى فى مرحلة البناء والاشـتراكية ، كما نصرك ونصر شعب الجزائر في مرحلة الحرية والاستقلال ٠٠

الشعارات التى نحققها

اننا ــ أيها الاخوة ــ فى هذه المرحلة نسير جنبا الى جنب فى كل مكان من أرجاء الوطن العربى ٠٠

من أجل البناء ، من أجل الاشتراكية ٠٠ من أجل العدالة الاجتماعية، من أجل أن نرفع أعلام الحـرية وأعلام الاسـتقلال ٠٠ من أجل أن نبنى الأمة العربية القوية الموحدة ٠٠ التى يشعر كل فرد فيها بالعزة والحرية والكرامة والمساواة ٠

اننا نسير من أجل تحقيق الشعارات التي سمعتها اليوم وأنا أسير بينكم ، القومية العربية ، تحرير فلسطين ، الوحدة العربية ، بناء الدولة العربية الموحدة الكبرى ٠٠ وهذا سيكون بعون الله ، وبفضل كفاحكم ٠٠ ونضالكم ، ونضـال الشـعب العربى في كل مـكان فى أرجـاء الوطن العربى ٠

والله الموفق والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ٠

موقفها من الحركات التحررية

ان موقف مصر من جميع الحركات التحررية موقف معروف يدل على فهم واسع ، وادراك سليم ، ونحن هنا نفسح هذا المجال للزعيم العربى المجاهد الجزائرى ليبدى رأيه اذ كتب تحت عنوان :

ماذا يمثل عبد الناصر (١) ، يقول :

« الحق ان الثورة المصرية التى قادها الاخ المناضل جمال عبد الناصر عام ١٩٥٢م كانت نقطة تحول خطيرة فى وطننا العربى وافريقيا ، بل وفى الحركة الثورية العالمية ضد الاستعمار والامبريالية ، ان هذه الثورة قد استطاعت لاول مرة أن تطلق القوى الشعبية الساعية للتحرر والتغيير الاجتماعى من قيود العالم الاستعمارى والامبريالى . وجمال عبد الناصر يمثل موضوعيا القيادة الجديدة الواعية بعمق لوحدة الهدف التحررى الوطنى ، وهدف التقدم الاجتماعى فى طريق الاشتراكية لأعلى النطاق المحلى فحسب ، بل على نطاق الوطن العربى ككل ، وافريقيا ككل ، والحركة الثورية العالمية ضد الاستعمار ككل ، ومن هنا تنبع قيمته الجوهرية العالمية المعاصرة .

« وبدون فهم هذا لا يمكن فهم تحرك عبد الناصر الثورى السريع لمساندة الثورة اليمنية الباسلة بكل هذه القوة والحيوية فى الحركة ، وبدون فهم هذا أيضا لا يمكن فهم مساندته الجبارة للثورة الجزائرية ،

(١) الاهرام فى ١٩٦٣/٤/٢٧ م .

ولا أذيع سرا اذا قلت : ان عبد الناصر لم يتردد لحظة فى تأييد قيام هذه الثورة ماديا ومعنويا ، وكان واثقا الى أبعد حد من نجاحها . والحق أن الشعب المصرى وثورته وقيادته التى يمثلها جمال عبد الناصر ، قد تحملا بحق فى سبيل قضايا الثورات التحررية العربية والافريقية أكبر قسط من المسئولية التاريخية ، يحق لهم أن يفخروا به ، ويوم يكتب التاريخ هذه المرحلة المعاصرة سيكتشف العالم أن ما عرفه عن دور ثورة الشعب المصرى فى عام ١٩٥٢م وعن دور جمال عبد الناصر القيادى ، لا يعدو أن يكون جانبا صغيرا جدا من الحقيقة » .

ثم اسمعه أيضا يقول بعد أن ولاه شعبه رياسة الجمهورية الجزائرية اثر نجاح الثورة :

« ان جمال عبد الناصر كان هو الرجل الوحيد من بين جميع الرجال الذين اتصلنا بهم قبيل ثورة نوفمبر سنة ١٩٥٤ . كان لا يرى فى حركة الشعب الجزائرى التى لم تكن تضم غير ثلاثة آلاف مقاتل يعوز معظمهم السلاح مغامرة طائشة خاسرة ، وانما رآها ثورة عميقة الجذور قادرة على تفجير طاقات الشعب كله فى الجزائر والوطن العربى وافريقيا ، والانتصار على المليون جندى فرنسى المسلحين بأحدث الاسلحة والمستندين الى حلف الاطلنطى . ومن هنا بادر منذ الدقيقة الاولى الى مساندتها ومدها بالسلاح » .

وتقول مجلة الطليعة فى عددها الثانى تعقيبا على ذلك أن نفس هذا الموقف اتخذه جمال عبد الناصر بلا تردد بالنسبة لثورة اليمن سنة ١٩٦٢ . وثورة شعب الكونجو ، بالنسبة لتخطى كل الخلافات العربية لبناء وحدة عمل عربى مشترك ضد العدوان الاسرائيلى ...

وحقا ذلك فان دور الشعب المصرى وثورته فى تأييد الحركات التحررية دور ايجابى لا يكتفى فيه بالتأييد الادبى ، ولكنه يصل فى كثير من الاحيان الى تبنى هذه الحركات واحتضانها والتضحية من أجلها بالنفس والنفيس حتى تصل الى بر السلام والامان .

وقد بدا ذلك واضحا فى موقف مصر من ثورة الجزائر نفسها التى تحدث عنها زعيمها احمد بن بيللا ، فقد أدرجت مصر فى ميزانياتها حسابا خاصا بثورة الجزائر ، وقامت بكل ما يمكن أن تقوم به دولة تشعر بتبعتها الحقيقية نحو شعب عربى شقيق يريد أن يتحرر . ولم تنظر مصر الى الجزائر الا النظرة التى تمليها عليها واجباتها كشقيقة كبرى

تشعر نحو شقيقتها الناهضة بشعور الحب العميق والاخوة الصادقة والوفاء الصادر من الاعماق الذى تحتمه صلات العروبة والدين .

وسخت مصر الى غير حد فى المعونات المبذولة — للجزائريين من فنية وعسكرية رطبية وغيرها مما تتطلبه الظروف ، وتبنت قضيتها فى هيئة الامم المتحدة ، وراحت تدافع عن حق الجزائر فى تقرير مصيرها بكل ما وسعها من جهد وقوة ، وفضحت اساليب الاستعمار واتهمته بالقرصنة والخروج على السلوك الادبى والذوق العام فى المعاملات لاسيما بعد حادث اعتقال الزعماء الخمسة فى أكتوبر عام ١٩٥٦م .

ولم تشعر مصر بالارتياح الا بعد أن توجت الجزائر كفاحها بانتزاع استقلالها وتسليم العدو بحقها فى تقرير مصيرها ، وبذلك أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة .

هذا ولا زالت مصر تقف الى جوار الجزائر فى معركتها الثانية التى تخوضها فى سبيل تطوير نفسها وبناء مستقبلها وتعمير بلادها .

وكما وقفت مصر بجوار الجزائر ، وقفت كذلك بجوار العراق حين أعلن ثورته الأولى والثانية . ففى ١٤ يوليو سنة ١٩٥٨ م انطلقت ارادة الشعب العراقى فى حركة ثورية يعبر بها عن نفسه ويقضى على الطغيان الجاثم على صدر البلاد ممثلا فى الاستعمار الانجليزى وعملائه وصانعى حلف بغداد . وكانت الجمهورية العربية المتحدة أول دولة أعلنت اعترافها بهذه الثورة ووضعت جيشها بكامل معداته تحت تصرف الشعب العراقى الشقيق .

ولما انحرفت هذه الثورة ظلت مصر على وفائها لشعب العراق مفرقة بين الشعب وبين حكامه المنحرفين ، وظلت تساند هذا الشعب وترعاه حتى اذن الله لهذا الشعب الشقيق أن يتخلص من هؤلاء المنحرفين ، وحتى قامت ثورة ١٤ رمضان ١٣٨٢هـ ، التى صححت طريق الثورة الماضية ، وأعادت الامور الى نصابها ، وبذلك رجع زعيم الثورة الحقيقى الى مكانه الحقيقى ، فى قيادة الثورة الرشيدة الى بر الامان .

وكما سارعت مصر الى مباركة الثورة الاولى قبل انحرافها ، سارعت الى مباركة تصحيح هذه الثورة بعد قيام حركة ١٤ رمضان ، وكذلك أثبتت الجمهورية العربية المتحدة أنها فى صف كل دعوة تقدمية وضد كل دعوة انتهازية معوقة للنضال العربى .

وفى عام ١٩٥٨م اشتدت حركة المقاومة الشعبية ضد السياسة الاستعمارية التى كان بعض أذناب الاستعمار يحاولون تحقيقها فى لبنان ، وقامت الثورة الشعبية تنادى بسقوط ذلك الحكم الرجعى الذى يهدف الى تثبيت أركان الاستعمار فى الشرق الأوسط ، وقد استنجد هؤلاء الأذناب وتنذلك بالدوائر الاستعمارية التى ارسلت بعض قطع الاسطول السادس ونزلت جنوده فى شواطىء لبنان .

لم تنظر « مصر » الجمهورية العربية المتحدة بعين الرضا الى هذه التحركات الاستعمارية ونظرت بعطف بالغ الى الثورة الشعبية التى حاولت أن تخلص لبنان من هذا الحكم الرجعى وقد كان مصير هذا الحكم فعلا الانهيار كما انهارت قبله الانظمة المماثلة ، وكما ستنهار كل الانظمة التى تحاول أن تفرض بقاءها عن طريق استجدائها رضى الحكومات الاستعمارية والاستنجاد بها كلما أحرجها شعبها .

ان الزمن الآن ليس مع الحكومات بقدر ما هو مع الشعوب . ولقد أثبتت كل هذه الثورات التحررية أن ارادة الشعب لا تغلب ، وأن الكلمة الأخيرة لا تقولها الحكومات ، ولكن يقولها الشعب بايمانه العميق ، وحقه الغالب ، ووعيه الصادق ، وارادته النافذة .

ولقد رأينا موقف الجمهورية العربية المتحدة من معركة الكونغو . وتأييدها المطلق لمنطق العدل والحرية الذى كان ينادى به لومومبا ، وقد أستنكرت كل ما حدث من الاعيب انتهت بكل أسف بمصرع الزعيم المجاهد لومومبا الذى ابلى بلاء حسنا فى تحرير شعبه وانتزاع حقه من براثن الاستعمار البلجيكى الرهيب .

كما انها لا تزال تؤيد كل حركة تحريرية فى الوطن الافريقى تهدف الى التسليم بحق الشعب واعطائه حياته وحريته كما يتجلى فى موقفها من حكومة روديسيا البيضاء ، وحكومة جنوبى افريقية .

ولا يمكن أن ينسى اطلاقا موقف الشعب المصرى من ثورة اليمن الخالدة التى قامت فى سبتمبر عام ١٩٦٢ م وربما كان جائزا لولا معونة الجمهورية أن تتلاشى هذه الثورة كما تلاشت الثورات التى قامت قبلها . فان نحو الف عام قضتها أسرة حميد الدين فى التسلط على الشعب اليمنى تركت رواسب عميقة فى عقول الشعب وأحاسيسه ، كما مكنت هذه الاسرة لنفسها بكل الوسائل الرهيبة التى لا تخطر على بال ، ومن بينها نظام الرهائن المقوت .

وكانت اليمن على سعتها تعتبر ســـجنا كبيرا وهى على كثرة مساحتها وخصوبتها وصلاحيتها للزراعة وغناها بالمواد الاولية والخامات يعيش اهلها فى منتهى الضنك والفقر ، لأن منطق الحاكم يقضى بهذا ، يقضى بأنه لا يريد لهذا الشعب أن يتعلم ، ولا يريد له أن يثرى ، ولا يريد أن يعمل ، ونتيجة لذلك هجر آلاف اليمنيين وطنهم ، وتركوه الى مختلف البلاد طمعا فى الحياة الكريمة السعيدة التى لم يتمكنوا من تحقيقها فى اليمن - الذى كان يطلق عليه « اليمن السعيد » .

وقامت ثورة اليمن ضد هذا الفساد والتأخر والرجعية والانحلال الذى تعرضت له البلاد والذى فرضته هذه الاسرة المتسلطة ، وأعلنت الجمهورية وخلعت آخر امام تبقى من أسرة حميد الدين ، وتمكن هذا الإمام المخلوع من الفرار ، وحاول أن يجد له ملاذا وحماية فى ظل الاستعمار والرجعية . وهؤلاء وأولئك جمعوا جموعهم ، وهيأوا جيوشهم محاولين بذلك القضاء على الثورة اليمنية الظافرة . ولكن هيهات ، فالقضاء غالب والقدر بالمرصاد ، والله الذى هيأ الكنانة لتكون على موعدها الموقوت مع الحركات التقدمية يأبى أن يمكن لهؤلاء المبطلين أن ينتصروا على الحق ، ولذلك بادرت الجمهورية العربية المتحدة الى الاعتراف الصريح بثورة اليمن ، وأعلنت أنها مع الجمهورية العربية اليمنية قلبا وقالبا ، تدافع عنها بكل ما أوتيت من قوة . وذهب الجيش العربى من مصر ليدفع عن الشعب العربى فى اليمن عدوان المعتدين ، ويسحق المتسللين ، ويقضى على تحركاتهم ، ويبيد قواتهم ، ويبدد شملهم ويفضح مؤامراتهم . ولهذا يقول الرئيس جمال عبد الناصر فى خطابه الذى القاه فى حفل استقبال الابطال العائدين من اليمن بتاريخ ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٦٣ !

« خرجتم لتدعيم ثورة الشعب اليمنى ، خرجتم تشــقون بقوة السلاح صفوف الحصار الذى أرادوا أن يضربوه علينا .. خرجتم من أجل التضحية ومن أجل الفداء .. التضـحية بالأرواح ، التضـحية بالدماء ، من أجل هدم القلاع المظلمة .. خرجتم بدون تردد لمساندة ثورة الشعب اليمنى .. خرجتم حين قرر هذا الشعب انه لابد أن يتحمل مسئوليته كاملة ولابد أن يسير فى طريق الواجب .

خرجتم وكان المد الرجعى والاستعمار وعملاء الاستعمار يوجهون الينا هنا فى مصر كل الاسلحة التى يمكنهم أن يجمعوها ليصوبوها الى القومية العربية والى فكرة الوحدة العربية ، والى فكرة تحرير الوطن العربى ، والى فكرة تحرير الانسان العربى ، والى فكرة الثورة العربية من أجل الحرية والاشتراكية والوحدة » .

وتوالت الامدادات على المناهضين لثوره اليمن المباركة ، ولكنها لم تجد شيئا ، ولم تجدهم اسرائيـــل ودعايتها ، ولم تنفع الاموال التى ارادوا أن يشتروا بها الذمم ، ويحولوا بها أنظار الشعب اليمنى عن طريقه ، ويسلبوا ارادته ويخربوا ضمائره ، فليس من المعقول ان ينجح بريق الذهب فى أن يعشي الابصار القوية او يحولها عن نور الشـــمس المشرق الواضح فهو لا يفلح الا مع مرضى النفوس والضمائر وبذلك ذهبت هذه الاموال بددا ، وضاعت عبثا ، ورجع المتاجرون بأموال الشعب من صفقتهم خاسرين ، وعادوا دون أن يظفروا بخف واحد من خفى حنين .

لقد كان صوت الحق أقوى ألف مرة من أبواق الدعايات الباطلة وكان الايمان ، بالفجر الجديد الذى تفجر فى جوانب اليمن أشد اشراقا وأقوى وضوحا وأعمق تأثيرا .

وكانت التضحية العربية النادرة التى رآها العالم ممثلة فى موقف الجمهورية العربية المتحدة النبيل مضرب الامثال ، كما كان لها أروع الاثر فى نجاح هذه الثورة اليمنية الظافرة ومضيها فى طريقها نحو الاصلاح والتعمير والانشاء .

ولاول مرة فى تاريخ اليمن يسمع الشـــعب اليمنى كلمة الدســـتور ويدرك معناها ويمارس سلطاته بنفسه ، ويشترك فى الحكم ويتمكن من تحطيم جدران السجن الكبير ويتنسم نسيم الحرية ، ويبتسم للمستقبل المشرق ويؤمن بأحقية اللقب الذى كان يقترن باليمن « السعيد » دائما .

وعادت طلائع جيش مصر الى مصر بعد أن ثبتت قواعد الحرية ورفعت لواء الشعب فى اليمن ومكنت للثورة اليمنية ان تقوم بواجبها فى موكب الحرية الزاحف ، وتصنع التاريخ الجدير بأمة العرب .

ان اليمن بعد أن أصبح جمهورية يؤمن ايمانا كاملا بأن نجاح ثورته يرجع الفضل فيه الى موقف مصر من هذه الثورة وتأييدها تأييدا مطلقـا وتضحيتها فى سبيل نجاحها بالنفس والنفيس .

ولم تقم مصر بهذا الدور الا تلبية لما عاهدت به نفسها من أنها ستدافع عن الحق العربى فى كل مكان ، وتثبت وجوده ، وتحقق كيانه ، وتعمل على صيانة الوطن العربى والوصول به الى أسمى غايته من الكمال والرقى والنهوض ، وتخليصه من الاستعمار ، واذنابه وعملائه وتطهيره من كل رواسبه المتبقية التى تعمل على تخلفه وتعويقه عن التقدم والمضى

الى الامام . وبنائه على أسس قوية متينة تضمن له بلوغ الهدف وسعادة الحياة .

وهذا الدور هو ما تتطلبه منها الشعوب العربية باعتبارها قلعة الحرية ، وقاعدة الاحرار ومركز الاشعاع القومى المنير .

ولما اقتضت مصلحة الصف العربى الموحد أن تمد الجمهورية المتحدة يدها الى شقيقتها السعودية العربية لم تتوان فى مدها ، والتقى الرئيس والملك . وكانت ثمرة هذا اللقاء ميثاق جدة الذى يرجى أن يكون منطلق الأمن والسلام فى ربوع اليمن الشقيق .

ان سر موقف الجمهورية العربيـــة المتحـــدة من ثورة اليمن تفسرها فى وضوح خطبة السيد الرئيس جمال عبد الناصر التى القاها أمام كبار العلماء باليمن بتاريخ ٢٥ ابريل ١٩٦٤ (١)

أيها العلماء الاحرار ..

لقد كان اليمن دائما منذ قامت الدعوة الاسلامية رافعا رســالة الاسلام والحرية فى كل مكان . لم يكن هذا فى اليمن فقط ، ولكنه تعدى اليمن الى كل العالم . اليمن مشهور عنه الذكاء ، ومشهور عنه المعرفة ومشهور عنه حبه لله .. كما قلت لكم أول أمس حينما ذهبت فى زيارتى الى آسيا وكنت ألمس ذلك بنفسى فى كل بلد من بلدان آســيا . كنت أســأل فكانوا يقولون لى أنهم أهل اليمن ، أهل حضرموت ، وحضرموت كانت دائما جزءا من اليمن وكنت أشعر فى هذه الايام بالفارق الكبير بين اليمن الذى تلقى دعوة الاسلام وتلقى دعوة محمد لينشرها بين ربوع الارض واليمن تحت حكم الأئمة . وكنت دائما أردد قول الله ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة . وكان الاحرار هنا دائما يقاومون الذلة ويعملون على رفع راية الحرية . واستمر اليمن يرفع راية الحرية ويرفع راية الاسلام حتى تمكنت منه الامامة الفاسدة،

---

(١) اجتمع الرئيس جمال عبد الناصر فى صبيحة يوم ٢٥ من ابريل سنة ١٩٦٤ بكبار العلماء ووفود القبائل اليمنية وقد حضر الاجتماع الرئيس عبد الله السلال والسادة مرافقو الرئيس . وبعد أن القى المشايخ القصـائد الشعرية للترحيب بالرئيس عبد الناصر ولاعلان تصميمهم على الكفاح بالطريق الذى رسمه القى سيادته هذا الخطاب .

وتحت أسماءكم استطاعت أن تفصل اليمن وتعزله عن العالم ، وتجعله دولة متأخرة تعيش فى غياهب الظلام . ولكن هل استكان اليمن واستكان رجال اليمن الاحرار وعلماء اليمن الاحرار الى هذه الذلة ؟ أبدا لقد ثاروا دائما وكما قلتم الآن ان السجون كانت دائما تحوى الاحرار من العلماء والشرفاء ورجال الجيش والمجاهدين فى كل مكان . وفى كل عام أردتم أن تؤلفوا بين القلوب حيث أراد الله ولو أنفقتم ما فى الارض جميعا ما ألفتم بين قلوبهم ولكن الله ألف بين قلوبكم .

ان الاسلام هو دين الحرية وأنتم العلماء رسل الاسلام فى الارض واجبكم الجهاد من أجل الحرية واجبكم الجهاد من أجل المسلمين لان دين الاسلام هو دين الحرية فهو الذى رفع راية الحرية وانطلق من الجزيرة العربية حتى عمت مشارق الارض ومغاربها ويحرر الانسان من الرق والعبودية ويحرره من التعرقة ويحرره من الاقطاع ويحرره من كل المساوى التى حلت بالارض . وحينما قام محمد صلى الله عليه وسلم برسالة الله ونادى بالاسلام كان يعنى القضاء على الاقطاع والقضاء على الاستبداد والقضاء على الامامة التى تمكنت فى تلك الأيام تحت اسم الاسر كاسم أسرة بنى سفيان وأسرة قريش والتى تصدى لها محمد العبد الضعيف ولكنه كان قويا لانه كان يحمل راية النصر التى كانت تهدف الى التآلف بين قلوب المؤمنين جميعا والتآلف بين قلوب العرب جميعا ، لان عزة العرب هى عزة الاسلام . سرتم وحملتم هذه الرسالة حتى استطاعت الامامة أن تبعدكم وأن تعزلكم عن العالم . وحتى استطاعت الخلافات الاخرى باسم الدين أن تكبل العالم الاسلامى بأغلال الرجعية . عادت تحت اسم الحكم العثمانى الذى كان يدعى أنه يحكم باسم الدين ، ولم يكن الدين هذا الا وسيلة وذريعة . كما كان أيضا فى مصر لان الامبراطورية العثمانية كانت تحمل اسم الدين بالاسم فقط ولم تكن تعمل من أجل الدين أبدا ... لانها كانت تعزز الاقطاع لتثبت الاقطاع وتثبت السيطرة وتثبت سيطرة الاسر . وكانت تفرق بين الناس وكانت تبيح الرق وكانت تبيح العبودية ولكن دين الاسلام ينادى من أجل المساواة بين الناس . ينادى من أجل حرية الانسان . ينادى من أجل القضاء على العبودية .

قامت ثورتنا فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى مصر وهى تحمل الشعارات التى خرج بها الاسلام على العالم وأول هذه الشعارات هى الحرية . حرية الفرد وحرية الوطن . ولا يمكن للوطن أن يكون حرا اذا لم يكن الفرد حرا وكان لابد لنا من أن نحرر الفرد من سيطرة رأس المال ومن

كل أنواع السيطرة حتى يكون الفرد حرا يستطيع أن يقول نعم حينما يشاء . ويستطيع أن يقول لا حينما يشاء . وسرنا فى هذا وكنا نؤمن من قلوبنا اننا نثبت دعائم الاسلام التى استطاعت الخلافة فى سنين طويلة أن تنزعها وأن تحجبها عن المسلمين فحررنا الانسان وحررنا الفرد وحررنا الوطن من الاستعمار البريطانى حررناه وكنا نعتبر ان هذا هو الجهاد الذى نادى به القرآن والذى نادى به محمد عليه الصلاة والسلام .

كنا نجاهد فى سبيل الوطن ، وكنا نجاهد فى سبيل الله . وكان كل فرد منا يجاهد لا ابتغاء للشهرة بل لمرضاة الله . لا ابتغاء ثراء ولا ابتغاء جاه ، ولا ابتغاء شىء الا حرية الوطن العربى . والحمد لله الذى مكننا من أن نحقق كل هذه الأهداف فى مصر .

وكنا نشعر أيضا أن علينا رسالة نحو اخواننا العرب ونحو اخواننا المسلمين أن نشد من أزرهم ، وأن نساعدهم على أن يرسوا فى وطنهم وفى بلادهم دعائم الاسلام الحقيقية التى قامت عليها الحرية ، والتى قامت على المساواة ، والتى مكنها الله فانتصرت فى فترة قصيرة فجابت ربوع الارض فى مشارقها ومغاربها ولذا فلا غرابة أبدا حينما نصركم الله يوم ٢٦ سبتمبر حينما قامت هذه الثورة ، وحينما تعرضتم لتحالف الاستعمار مع الرجعية ضد ثورتكم ..

تلك الثورة التى أرادوا لها أن تنتكس لتعودوا أذلة مرة أخرى ، والتى أرادوا لها أن تنتكس حتى تفسد بلادكم مرة أخرى حينما رأينا هذا التحالف وهذا العدوان عليكم انبرينا لنجدتكم ، وكنا فى هذا ننفذ قول الله وننفذ كلامه — انما المؤمنون اخوة — كل منهم للآخر يشد بعضهم بعضا ، ولم نكن نشعر أننا نحارب فى بلد غريب أبدا .. اننا نحارب فى بلد عربى .. اننا نحارب فى بلد اسلامى . ففى مصر تجدون عائلات وبلادا أتت من اليمن ومن شبه الجزيرة العربية واستقرت فى مصر ، وعندنا فى الصعيد هناك بنى مر من قبائل مر ، وهناك بنى محمد ، وهناك بنى حسين ، وهناك بنى عدى . واننا نمثل بهذا الوحدة العربية الحقيقية لا فرق بين بلد عربى وبلد عربى لا فرق بين مواطن عربى ومواطن عربى ..

ولقد كنت أخاف فى أول الامر أن يشعر رجال قواتنا المسلحة بشىء من التململ اذا طلبنا منهم أن يحاربوا فى اليمن ولهذا طلبنا منهم متطوعين ولم نبدأ الامر بأوامر فتطوع الجميع . تطوع كل فرد من أفراد

الوحدات وأن دل هذا على شيء فعلى ان أمة العرب أمة واحدة على أننا شعب واحد يعمل من أجل هدف واحد نعمل من أجل تثبيت الحرية فى كل مكان ولما رأينا الاستعمار البريطانى رأينا بريطانيا والرجعية تتصدى لثورتكم كان واجبا علينا أن نهب لمعاونتكم أن نهب لشد أزركم وكلنا نعلم ان بريطانيا كانت دائما أشد الناس عداوة للذين آمنوا .

لو نأخذ اليمن مثلا . ماذا عملت بريطانيا لليمن قبل الحرب العالمية الاولى وبعد الحرب العالمية الاولى ؟ بدأت بريطانيا باحتلال عدن وكانت عدن جزءا لا يتجزأ من اليمن ، واستغلت بريطانيا فساد حكم الائمة ، واستغلت بريطانيا ارهاب الائمة ، واستغلت بريطانيا قطع الرءوس ، واستغلت بريطانيا حالة الفقر التى وصلت اليها اليمن ، واستغلت بريطانيا حالة التأخر التى وصلت أليها اليمن . وكل يمنى منكم برىء من هذه الحالات جميعا لأنها لم تكن الا بسبب الائمة الذين أرادوا أن يضعفوكم حتى يتمكنوا منكم ويذلوكم ..

استغلت بريطانيا كل هذا واحتلت عدن ، ثم بدأت تزحف لتحتل من اليمن شبرا شبرا . أصبح الجزء الذى احتلته الآن أكبرمن اليمن فى المساحة وأكبر من اليمن فى الحجم وكان سلاحها فى هذا ضعفكم وكان سلاحها فى هذا الاستضعاف الذى نشرته الامامة فوق اليمن وكان سلاحهم فى هذا تأخركم وكان سلاحهم فى هذا غلق حدودكم عن العالم . وكان سلاحهم فى هذا عزلكم عن العالم ، وكان سلاحهم فى هذا أن اليمن الذى رفع راية الاسلام والذى رفع راية الدين والذى رفع راية الحرية نسى الاسلام ونسى الدين ونسى الحرية ، لأن الامامة ضغطت عليه وضغطت على رقبته وضغطت على صوته وضغطت على روحه . انه لم يقبل هذا الضغط ولم يقبل هذا الكبت ، ولكنه جاهد وجاهد وكافح وثار ، وعلى مر الأيام ثرتم ، وعلى مر الأيام جاهدتم ، وعلى مر الايام كافحتم ، وعلى مر الايام استشهد منكم الآباء والأجداد حتى أراد الله لكم النصر فنصركم يوم ٢٦ سبتمبر ..

وحينما خرج الأخ الرئيس السلال مع اخوته من الضباط الاحرار يوم ٢٦ سبتمبر ، أنا أعلم أنهم خرجوا ليدعوا بالرسالة وينفذوا ما أمرهم الله به . خرجوا ليقضوا على الامامة وكانوا فئة قليلة ، ولكنهم كانوا يعلمون أنكم من ورائهم وان شعب اليمن جميعا من ورائهم وان الأمة اليمنية والأمة العربية كلها من ورائهم ، ولكنهم كانوا يعلمون أيضا ان الثورات التى خرجت قبلهم لم تستطع أن تعيش الا بضعة أيام لأن الامامة

استطاعت دائما أن تؤلب الرجعية العربية وتتحالف معها ضد الاحرار والحرية . خرجوا ليبرئوا ذمتهم أمام الله وأمام التاريخ ولو استشهدوا ، ولكنهم لم يقبلوا أبدا أن يعيشوا تحت عبودية الامامة . أو يعيشوا فى هذا البلد الذى أغلق على العالم وعزل عن العالم وأصبح متأخرا عن العالم بأكثر من ألف عام . خرجوا ليؤدوا الرسالة ويستشهدوا ويموتوا حتى يرفعوا بين أبنـــاء اليمن راية الحرية وحتى يبذروا بذور الحرية ويبذروا الثورة ...

ولكن الله هو الذى أراد لكم أن تنتصروا فى يوم ٢٦ سبتمبر بالذات وارادة الله فوق كل ارادة ، فانتصرتم رغم تصدى الاستعمار لكم . رغم الرجعية ، ورغم تحالف الامامة مع الانجليز الذين كانوا دائما أشد الناس عنادا للمؤمنين ، والذين كانوا دائما أشد الناس عداوة للمسلين ، والذين كانوا دائما أشد الناس عداوة للاسلام .

وان بريطانيا فى القرن الماضى تصدت للمسلمين والاسلام فى جميع بقاع العالم حتى تصعقهم ، وحتى تقضى على قوتهم ، وحتى تقضى على راية الحرية التى رفعها الاسلام ، وحتى تقضى على راية الثورة التى نادى بها الاسلام دين الثورة . ان الامامة اليوم ، الامامة الفاسدة تتحالف مع الرجعية ، وتتحالف مع الاستعمار البريطانى ، ولكنكم فى اليمن بعد أن أراد لكم الله النصر يوم ٢٦ سبتمبر ستنتصرون باذنه تعالى على الاستعمار وعلى الرجعية وعلى الامامة ، وستحققون فى بلدكم دين الحرية دين الاسلام دين المساواة دين العدل دين التقدم دين العمل السوى دين العمل السليم . هذه هى الحرية التى نادينا بها فى بلدنا ... الحرية كانت أول مبدأ من مبادىء ثورتنا طبقناه فى بلدنا ، ونطبقه فى أى بلد من البلاد العربية . نحن نساند الاحرار فى كل جزء من أجزاء الامة العربية واننا بهذه لا نمن على أحد ، بل بالعكس اننا نشعر بأن هذا واجب علينا . ان الذين حضروا اليكم من جنودنا واستشهدوا هنا انما مصيرهم الجنة لانهم استشهدوا فى سبيل الله ومن أجل رسالة الله . لم يحضر جنودنا الى هذا البلد من أجل منفعة ، أو من اجل غنيمة ، أو من أجل مطلب شخصى . حضروا جميعا لملاقاة الله من أجل رفعة راية الحرية ، ومن أجل رفعة راية السلام ، ورفعة راية الدين ولهم جزاؤهم عند الله ، وليس فى وسعنا وليس فى يدنا أن نجزيهم عن عملهم هذا ، ولكن جزاؤهم عند الله ومصيرهم الجنة . واننا حينما نذكرهم انما نذكر جنود الاسلام الأوائل الذين خرجوا ليقاتلوا من أجل الاستشهاد ، ومن أجل أن يذهبوا الى الجنة ، ومن أجل ملاقاة ربهم فى رفع رسالته . هؤلاء هم جنودنا

الذين حضروا اليكم أبناؤكم وأخوتكم حضروا اليكم ليقاتلوا جنبا الى جنب معكم من أجل رفع راية الاسلام ومن أجل رفع راية الحرية ومن اجل تثبيت دعائم الدين .

ان الله الذى وحد بين أمتنا لن يمكن أية دولة مهما كبرت وأى فرد مهما كان أن يفرق بين هذه الأمة ..

كان هذا هو المبدأ ، مبدأ الحرية ، حرية الوطن ، حرية المواطن ، حرية الامة العربية . حرية الامة الاسلامية حريتنا جميعا مساندة الحرية فى كل مكان فى العالم مساندة الحرية فى الوطن العربى والثورات التحررية فى العالم . ومن أجل هذا ساعدنا كل الثورات ، وكل الحركات التحررية فى العالم . كنا نعتقد أيها الاخوة اننا نرسى دعائم الدين ، ونرفع راية الاسلام الذى نادى بالحرية والذى نادى بالحرية لكل مواطن .

وكانت الرسالة الاخرى أيها الاخوة التى نادينا بها هى الاشتراكية ، والاشتراكية هى أساس المساواة ، والاشتراكية هى الا يتحكم فرد فى فرد . وكان أول دين نادى بالاشتراكية هو دين الاسلام : قال صلى الله عليه وسلم : الناس شركاء فى ثلاثة الماء والنار والكلأ .

وكان الرسول بهذا يعبر عن كل مصادر الثروة فى الجزيرة العربية فى ذلك الوقت . بهذا يعتبر دين الاسلام أول دين يدعو للاشتراكية ، أول دين يدعو للمساواة . أول دين يدعو للقضاء على التحكم ، أول دين يدعو الى القضاء على السيطرة . ولهذا كان شوقى الشاعر يصف رسول الله بقوله . « الاشتراكيون أنت امامهم » .

فعلا كان محمد صلى الله عليه وسلم امام الاشتراكيين وانه لم يكن يجمع ثروة لم يكن يجمع مالا لم يكن يعمل الا لارساء قواعد الاسلام ولم تكن الامامة أبدا تمثل الحكم الثورى بل كانت تمثل مبدأ الحكم الفردى مبدأ السيطرة مبدأ التحكم والمبدأ السيف وقطع الرقاب . بل لم يكن هناك أساس للشورى .

أما اليوم فان ثورتنا فى مصر قامت على الاسلام ، الامر شورى بينهم .. هناك مجلس للامة ، هناك حركات شعبية ، هناك حق لكل فرد فى أن يقول رأيه . ولقد سمعتم هذا من الرئيس السلال ، وبهذا نرسى دعائم الاسلام . أنتم الامناء على الاسلام ، وأنتم الامناء على مبادىء الاسلام الحقيقية . أكرر الحقيقة فالاسلام لم يكن دينا فقط ولكنه كان دينا نبيلا ، دينا ينظم العدالة على الارض ، وينظم لنا المساواة . ويتيح

تكافؤ الفرص وهذا كله عبرنا عنه لكم فى كلمة واحدة هى الاشتراكية — الاشتراكيه التى سنها محمد عليه الصلاة والسلام الاشتراكية التى سنها عمر بن الخطاب الذى كان يخطب بين الناس كان يخاطبهم وكان يقول لهم من رأى فى اعوجاجا فليقومه ، وكانوا يقولون له بكل جرأة ، لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا ..

هذه كانت الحرية وهذه كانت الاشتراكية ، هذا هو الاسلام الحقيقى أما المبدأ الثالث وهو الوحدة فكما قلت لكم ان الاسلام وحد بين العرب جميعا أما الاستعمار ففرق بين العرب ولا بد أن تعلو ارادة الله على ارادة الاستعمار ، لا بد أن تعود الوحدة لتجمع بين العرب مرة أخرى . وكما جمعهم حكم الاسلام لابد وأن تعود الوحدة مرة أخرى حتى لا يكون هناك يمنى وسورى ومصرى وعراقى بل نكون كلنا عربا ، وكما قلت لكم فى أيام الاسلام الأولى لم تكن هناك فواصل ، لم يكن هناك مواطن يمنى فى اليمن ومواطن مصرى فى مصر . ان كثيرين من أبناء اليمن من الجزيرة العربية هاجروا الى مصر وأصبحوا مصريين ، وان الاسلام كان ينادى بتوحيد الامة العربية ، ووحدة الامة العربية . ثم بعد هذا أقام الاستعمار بيننا الحدود التى أرادت أن تستأثر كل منها بجزء من الامة العربية فاقاموا الحدود والفوارق ففرقوا بين المسلم والمسلم وفرقوا بين العربى والعربى ...

أما اليوم فبعد أن انتصرتم فعليكم أن تعيدوا راية الاسلام الاولى بعد أن نصركم الله يوم ٢٦ سبتمبر عليكم أن تعودوا كما كان أجدادكم . حينما رفعوا راية الاسلام واتجهوا الى مشارق الارض ومغاربها لينتشروا فيها وينصروا دين الاسلام . عليكم أن ترفعوا اليوم راية الاسلام وراية الحرية ،وراية الحرية هى راية الاسلام . عليكم أن ترفعوا راية الحرية كما رفعها أجدادكم ، وتسيروا بها الى مشارق الارض ومغاربها . عليكم أولا أن تساعدوا اخوتكم الذين اغتصب الاستعمار البريطانى بلادهم ، وتساعدوا اخوتكم فى عدن وتساعدوا اخوتكم فى الجنوب المحتل . عليكم أولا ان تساعدوهم بأموالكم وأن تساعدوهم بأرواحكم وأن تساعدوهم بكل قواكم حتى يتحرروا لانهم وقعوا فى قبضة الاستعمار البريطانى حينما استضعفهم ، وحينما استضعفكم أيضا ، وحينما استكنتم وحينما قبلتم حكم الأئمة ..

واليوم بعد أن نفضتم عن رءوسكم هذا الذل وبعد أن نفضتم عن رءوسكم هذا الفستان . اليوم أصبحتم تشعرون بالفخر والعزة وها

هو الرئيس السلال يقول لكم اليوم لا فرق بينكم كبيرا وصغيرا ، ولا فرق بين رئيس الجمهوريه وبين اى فرد من ابناء هذا الوطن . نحن جميعا نبنى من أجل رفعة راية الوطن ، نحن جميعا نبنى من أجل رفعه راية الاســـلام ، وبهذا أراد الله لكم القوة ، أراد الله أن يؤلف بين قلوبكم فالف بين قلوبكم ، وعليكم أن تحافظوا على ما أعطاكم الله فتحافظوا على هذا التآلف بين القلوب لان الاستعمار والرجعية والامامة سيحاولون دائما بكل الوسائل أن يفسدوا بين نفوسكم وكما قلت لكم كان ســلاح الاستعمار فى الماضى الفرقة بينكم .

فعليكم ايها العلماء الاحرار أن تكونوا دائما أحرارا ، وعليكم أيها العلماء الثوار أن تكونوا دائما ثوارا وتعملوا من أجل رسالة الله التى تحققت يوم انتصاركم فى سبتمبر حينما ألف بين قلوبكم فانتصرتم لأنه بالتآلف بين القلوب يمكن أن تنتصروا دائما ، فبالتآلف بين القلوب الذى أعطاكم الله اياه يمكن ان تهزموا بريطانيا وتخرجوها خـارج الجزيرة العربية . حينما انطلقت قلوبكم كنتم دائما الاقـوياء الاعـزاء الذين لا يبخلون بالمال وبالروح كانت ثورتكم الاولى تمثل الامة التى ائتلفت قلوبها وكانت الثانية ثورة الاسلام تمثل الامة التى رفعت راية الاسلام وراية الحرية واليوم هذه ثورتكم الثالثة التى أرادها لكم الله حينما ألف بين قلوبكم فتستطيعون بهذه الثورة وبهذه الالفة وبهـذا النصر وبموازرة الله تعالى ان تقضوا على الاستعمار البريطانى وتحرروا عدن وتحرروا جنوب الجزيرة المحتل .

هذه أيها الاخوة هى رسالتكم . وهذه هى رسالة الدين . وكما قال أخ لكم من قبل ان محمدا صلى الله عليه وسلم كان يحقق الدين بالجهاد فعليكم أن تحققوا الدين بالجهاد وعليكم ان تحققوا الاســلام بالجهاد والله ناصركم .

والسلام عليكم ورحمة الله ...

مصر والقومية العربية

أحمد الله على أن القومية العربية التى كانت شعارا وعلما أصبحت حقيقة واقعة يشعر بها كل فرد من أبناء الامة العربية كما يشعر بها العالم أجمع .

« جمال »

ما المقصود بالقومية العربية ؟

للاجابة عن هذا السؤال ينبغى أن نحدد معنى القومية ، والقومية عبارة عن شعور وعاطفة ورغبة جمعت بين قوم يعيشون فى مجتمع واحد له وجوده المستمر المتصل ، وكيانه المستقل ، ولهؤلاء القوم تاريخ واحد ، وتراث واحد ، وظروف واحدة ، ويسعون نحو غايات واحدة ، وأهداف واحدة ، ومرت بهم تجارب متشابهة . وكل فرد واع من أفراد هؤلاء القوم يسعى فى خيرها ، ويحاول بكل ما وسعه من جهد أن يمنع عنها كل شر ، ويجنبها كل ضر . فاذا ما اجتمعت هذه الصفات فى جماعة برزت قوميتهم واصبح لهم كيان قائم بهم ، دال عليهم ، وصفة لها دلالتها الخاصة بهم هى التى توحى اليهم بما يضعون من افكار ، وما يختارون من مبادىء وما يرسمون من مثل وما يريدون من أهداف .

هذه هى القومية بمعناها العام ، وتأخذ مدلولها الخاص بما يلحقها

من صفات ، فيقال : هذه قومية عربية لانها خرجت عن محيط اقليم خاص واتسع مجالها وشمل كل الروابط التى تجمع بين الشعوب العربيه في جميع اقطارهم من لغة وأصل وعادات وامال وآلام ومشاركة فى الشعور والاهداف .

فالمقصود بالقومية العربية اذن هو تلك العاطفة المستمدة من صميم الكيان العربى ، الدائرة حول المعانى الكريمة فى ماضى العرب وحاضرهم ومستقبلهم ، وهو ذلك الشعور بحب كل ما هو عربى ، والرغبة فى احياء التراث العربى الخالد ، والوصول بالاهداف العربية الى غاية ما تريده وماترجوه من سبق وظفر وتحقيق .

والقومية العربية بهده الصورة فكرة قديمة لها ماض عريق ، وحاضر زاهر ومستقبل مشرق ، وهى وان كان قد آتى عليها حين من الدهر أصيبت فيه ببعض ما يعتور كل كائن حى من جمود واضمحلال ، فانها ظلت جذوة متقدة يخفيها الرماد تارة ولفترة محدودة ، وسرعان ما تعود فتتألق من جديد بفضل روادها الذين مافتئوا يحملون شعلتها المقدسة ، ويتخطون بها الحواجز والعقبات ، ويسلمونها يدا بيد ، وروحا بروح الى خلفائهم ، وهم حافظون العهد موفون بالوعد ، حتى وصلت فى آخر المطاف الى باعثها الذى زادها قوة وانتشارا وأضفى عليها من روحه صفاء وازدهارا .

كان لمصر ورائدها جمال عبد الناصر دور خطير فى بعث القومية العربية وذلك بما قدمه عنهـا من نماذج رائعة فى الوطنية والتضحية والفداء ، وبما اتاحه لها من فرصة التعبير عن نفسها فى مناسبات كثيرة ، لتثبت وجودها ، وتأخذ مكانها اللائق بها بين القوميات الأخرى ، وبحديثه عنها فى شتى المجالات المختلفة ، حديثا صادرا عن ايمان عميق بها وبحقيقتها وبوجودها وبفكرتهـا ، ومن ذلك قوله فى احدى خطبه : **« ان القومية العربية سائرة فى طريقها ، لأنها تنبع من صميم الأمة العربية ، سائرة فى طريقها تحقق الآمال الكبار التى آلت الأمة العربية على نفسها سنين طويلة أن تحققها ، وهى ترى اليوم ثمرات النصر تتحقق ، وترى اليوم أعلام النصر ترتفع فى كل مكان »** .

« أحمد الله على أن القومية العربية التى كانت شعارا وعلما أصبحت حقيقة واقعة يشعر بها كل فرد من أبناء الامة العربية ، كما يشعر بها العالم أجمع ، وتعترف بها دول العالم تلك الدول التى قاومتها ووقفت فى سبيلها وآلت على نفسها أن تحطمها بكل وسيلة من الوسائل » .

وأننا لسنا فى حاجة لان نؤكد ضرورة القوميـة العربيـة للعرب باعتبارهم هدفا لعدوان المستعمر ، ومطمعا لتحقيق اغراضه .

وقد قوى أمر القوميه العربية فى العصر الحديث فى البلاد العربية وفى مصر خاصة وظهر لها أدب خاص بها ، يدعو اليها ويقوى من شأنها ، ويرفع لواء العروبة خفاقا فى كل ميدان ، وذلك عن طـريق المناداة بفكرتها ، والحديث عن قادتها ، وتحليل شخصيات أبطالها ، وتمجيد البطولات العربية ، وتخليد أروع مشاهد كفاحها ، والدعوة الى توحيد صفوف الأمة العربية لمواجهة أعدائها ، وتطهير أرضها ، ومؤازرة ثوراتها ومن هذا النوع مانسمعه من الشاعر « على الجارم » متحدثا عن العروبة ومجدها العريق وقداسة الشرق ، وعن صيحة البعث التى رآها فى ذلك الامل الذى بدأ يتحقق بظهور فكرة الجامعة العربية الى عالم الحقيقـة والواقع :

صحا الشرق وانجاب الكرى عن عيونه
وليس لمن رام الكـواكب مضـجع
اذا كان فى أحـلام ماضـيه رائعا
فنهضـته الكبـرى أجـل واروع
توحـد حتى صـار قلبا تحـوطه
قلوب من العـرب الكرام وأضـلع
وأرسـلها فى الخـافقين وثيقـة
لهـا الحب يملى والوفاء يوقـع
لقد كان حلما أن نرى الشرق وحدة
ولكـن من الأحـلام مايتوقـع

ويتحدث عن دور مصر فى بناء المجد والحضارة العربية فيقول : ـ

خذى مصر أسباب السـماء لموطن
من العـز لايسـمو اليه التطلع
دعونا نبـاهى بالحيـاة فطـالما
طوى أمم الشرق الحياء المقنـع
خلعنـا رداء رث من طول لبسـه
وكل رداء رث باللبس يخلـع

وأمير الشعراء أحمد شوقى بعد ثورة سنة ١٩١٩ وجـد البلاد العربية تعانى ماتعانيه ، ووجد الشعور العربى يقوى ويشـتد ، فعظم اهتمامه بالعرب ، وهزته آلامهم وبدأ يتغنى بمآثر الشرق العربى المجيد ،

ويرثي أحداثه الاليمة ، ويعيد ذكرى أبطاله الأمجاد الذين وقفوا حياتهم ثمنا لحرية بلادهم ، ويندد بالمستعمرين ، ومن ذلك تجاوبه مع آلام الشعب السورى حينما صوب الفرنسيون مدافعهم نحو دمشق فى عام ١٩٢٦ م فدكوا صروحها وهدموا قصورها وقتلوا الكثير من الشعب الآمن فتراه يقول :

لحـــاها الله أنبـــاء تـــوالت
على ســـمع الولى بمـــا يشـــق
يفصـــلها الى الدنيـــا بريـــد
ويحملهـــا الى الآفـــاق بـــرق
وللمســـتعمرين وان ألانـــوا
قلوب كالحجـــارة لا تـــرق
رمـــاك بطيشـــه ورمى فرنســـا
أخـــو حـــرب به صلف وحمق

ويتحدث فى قصيدته هذه عن الروابط العربية فيقول :

نصـــحت ونحن مختلفـون دارا
ولكن كلنـــا فى الهـــم شرق
ويجمعنـــا اذا أختلفـت بـــلاد
بيـــان غـــير مختلف ونطـــق

ويدعو الى الجهاد ضد المستعمر بقوله : ـ

وللأوطـــان فى دم كـــل حـــر
يـــد ســـلفت ودين مســـتحق
وللحـــرية الحمـــراء بـــاب
بكـــل يـــد مضرجـــة يـــدق

ومثله فعل الشاعر « على محمود طه » فى حديثه عن طارق بن زياد مشيدا ببطولته ، معتزا بما قام به من جهاد فى سبيل رفعه علم العروبة ونشر رايتها فى ربوع الاندلس ، وهو يحاول بذلك التذكير بالبطولات العربية : ـ

يابن القباب الحمر ويحك من رمى
بك فـوق تلك اللجـة الزرقـــاء
تغـــزو بعينيـــك الفضاء وخلفه
أفق من الأحـــلام والأضـــواء

جـــزر منورة الثغـور كأنهـــا
قطـــرات ضـــوء فى حقاق اناء
ووثبت فـوق صـخورها وتلمست
كفـــاك قلبـــا ثائر الأهـواء
وأتى الصـــباح وسار فيه طارق
يبنى لمجـــد الشرق أى بنـــاء

ويناجى الشاعر احمد محرم أمم العروبة قائلا لها : ـ

أمم العـــروبة جاء يومك فاعلمى
والى مكـــانك فانهضى وتقـــدمى
بك فى فم الأحـــداث دعوة صارخ
ينفى القرار عن الشـــعوب النوم
فدعى المضـــاجع ، وانفضى عنك الكرى
وخذى الســـبيل الى المكان الاعظـم
لك أن تســـتردى تحت رايتك التى
خفقت لها الدنيا فسودى واسلمى

وحافظ ابراهيم يعد من شعراء القومية العـــربية المتغنين بهـــا وبأمجادها ، الدائرين فى فلكها المخلصين لها ٠ وقد دعا فى قصائده الكثيرة الى وجوب تحقيق الوحدة العربية بل اعتبرها حقيقة واقعة ، كما تحدث فى عمريته عن دور العرب العظيم فى الحياة ٠

ومن شعره فى ذلك الذى جرى مجرى الامثال قصيدته المشهورة التى أولها : ـ

لمصر أم لربوع الشـــام تنتســـب
هنا العـــلا وهناك المجد والحسب

منهـا :

اذا ألمت بوادى النيـــــل نازلة
باتت لها راســيات الشــام تضطرب
وان دعا فى ثرى الأهرام ذو ألم
أجـــابه فى ذرا لبنـــان منتحـــب
لو أخلص النيل والأردن ودهمـــا
تصــافحت منهما الأمواه والعشـب

وتسمع الأديب مصطفي صادق الرافعي يخاطب شباب العـــرب فيقول :

« ياشباب العرب : كانت حكمة العرب التى يعملون بها : اطلب الموت توهب لك الحياة ، والنفس ان لم تخش الموت كانت غريزة الكفاح أول غرائزها ، تعمل وللكفاح غريزة تجعل الحياة كلها نصرا ، اذ لاتكون الفكرة معها الا فكرة مقاتلة ٠

ياشباب العرب ، اجعلوا رسالتكم اما أن يحيا الشرق عزيزا ، واما أن تموتوا كراما » ٠

ولما حدثت مأساة فلسطين كتب الاستاذ احمد حسن الزيات متحسرا لما اصابها داعيا لانقاذها فقال :

« يالله لفلسطين ، مشرق الهدى والسلام ، ومهبط الوحى والالهام ، ومجتلى عين موسى ، ومسرح قلب عيسى ، ومسرى روح محمد ، وقدس الاديان الثلاثة ، وقبلة الاسلام الأولى ، ومهد الانبياء ، ومقبرة الرسل ، ومعبد الشرق والغرب ، ومجرى العسل واللبن ٠٠٠٠ »

ولما قامت الثورة الحديثة فى مصر ، وقامت باصلاحاتها المختلفة وقضت على الظلم والفساد واجتثتهما من جذورهما تجاوبت مشاعر الأدباء والشعراء لأصداء هذه الثورة المظفرة واهدافها ، وكان من أهداف الثورة احياء فكرة القومية العربية وجعلها شعارا ومبدأ وغاية ٠

وقد تلقف الادباء هذه الفكرة ، فأدوها بعواطفهم وأحاسيسهم ، وبشروا بها ، وكتبوا فيها ، وترجمت اقلامهم ومشاعرهم عنها ، وظهرت الى جانب الاشعار الصافية والرسائل القوية ، والبيانات الصافية ، والاحاديث المختلفة ، والمحاضرات المتعددة ، والخطب الملتهبة الى جانب هذا كله ظهرت مؤلفات كثيرة تدور حول فكرة القومية العربية ، واصولها وميادين جهادها واهدافها وآثارها وروادها وكل مايتصل بها وبحقيقتها ، وهذه المؤلفات تعد بالعشرات ٠

والواقع أن مصر بمركزها وموقعها بالنسبة للأمة العربية ، وبثورتها المجيدة ، وبغيرتها على الشعب العربى وكيانه ، وبرغبتها الأكيدة فى الوصول بالعرب الى غاية ماتسمو اليه أمة العرب من مجد ٠ قد أبلت بلاء حسنا فى ايقاظ الشعور القومى بين العرب حتى أصبحت القومية العربية على لسان كل عربى من المحيط الى الخليج ٠

وكان لهذا أثر فى تنبيه العرب الى حقوقهم وقيامهم بالثورات التى تعبر عن مدى استجابتهم لدوافع القومية العربية ومشاعرها التى تضطرب بين جوانحهم ٠

وفى حين أن مصر تحمل لواء القومية العربية ، وتعمل على تحقيقها نسمع بعض الاصوات نهمس مغرضة تحاول التشكيك فى حقيقة القومية العربية ، وذلك بايعاز من الاستعمار ، لأن هـــذه القومية تمثل الخطر الحقيقى على مصالحه واغراضه فى البلاد العربية ، وتحاول هذه الأصوات الابقاء على ما بين العرب من فوارق وحواجز حتى تضمن ويضمن الاستعمار لنفسه البقاء والتسلط .

ولكن لن يكون مصير المعادى للقومية العربية غير الحسرة والاخفاق ، والنصر فى النهاية للقومية العربية .

وللرد على هؤلاء الشعوبيين المتنكرين للقومية العـــربية نذكرهم بماضى العرب المجيد أيام أن رفعوا راية العروبة خفاقة عالية فى مشارق الأرض ومغاربها ، وقد انضوى تحت هذه الراية مسلمون من كل مكان ، يقودهم عرب من مصر والشام والعراق واليمن والحجاز وبلاد المغـــرب العربى ، وكل تلك البقاع العربية التى صهرها الاسلام والعروبة فى بوتقة واحدة ، وكون منهما مجتمعا عربيا واحدا يتساوى فيه الجميع فى الحقوق والواجبات . « ولم يعرف التاريخ مجتمعا نشأ سليما بفطرته ، يأبى كل مظهر سقيم مثل المجتمع العربى ، ذلك أن ابناء هذا المجتمع قد طويت نفوسهم على سجايا وخلال نقية جعلتهم يعصفون فى قوة بكل مايأتى لهم بشر ، ويقبلون فى حماسة واستجابة صادقة لكل مايجلب لهم الخير والنفع ، واتسم العرب بتلك الصفات الباهرة لأنهم منذ ظهروا على مسرح الأحداث العالمية ، وهم أصحاب رسالة سامية ، يدعون فيهـــا الى المحبة والاخاء ، ويبسطون أيديهم لـــكل من يبايعهم على التعـــاون لما فيه خير الانسانية » (١) .

ومنذ ذلك الوقت اتسع مدلول العروبة حتى شمل الاقطار التى اظلتها الخلافة الاسلامية ، وأصبح الاعتزاز بالعروبة شـــعورا يربط بين هؤلاء الناس برباط المحبة والاخاء ، وتحول معنى العروبة من خصوصيته العنصرية التى كانت تطلق على سكان الجزيرة العـــربية الى معنى أعـــم وأشمل ، الى مدلول آخر هو المشاركة الوجدانية ، والشعور بالتعاطف ، والاحساس بالمودة التى تربط بين هؤلاء القوم الذين يعيشون فى ظل حكم واحد ، وتربط بينهم تجارب خاصنة ، ويشتركون فى تحقيق آمال واحدة ، وفى هذا المعنى يقدم الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور لكتابه « الظاهر بيبرس » فيقول : « من الثابت علما أن ثمة تطورا خطيرا طرأ

(١) المجتمع العربى ومناهضة الشعوبية ـ الدكتور ابراهيم أحمد العدوى ص ٣ .

على معنى العروبة منذ القرنين الرابع والخامس للهجرة ، فلم تعد العروبة عندئذ تعني مجرد الانتساب الى قبيلة معينة ، أو الاعتزاز بنسب عربى صحيح ، وانما حدث عقب انتشار القبائل العربية فى الرقعة الفسيحة الممتدة من المحيط الى الخليج أن امتزج أبناء هذه القبائل بأهل البلاد الاصليين وتزاوجوا معهم ، واختلطت دماء الفريقين بعضها ببعض ، ونشأ عن هذه العملية شعب عربى واحد يتكلم العربية ، ويدين بعظمةالاسلام ، وصارت العروبة فى عهدها الجديد تعنى عروبة الحضارة والاحاسيس ، فكل من تكلم العربية وتأثر بحضارتها وتقاليدها فهو عربى ، وكل من أحس بعاطفة جياشة دفعته الى مشاركة العرب فى افكارهم وشعورهم ، والعمل معهم فى الذود عن الوطن العربى والجهاد فى سبيله وانقاذه من الاخطار التى ألمت به فهو عربى ٠

« ولعل الظاهرة التى تستدعى الانتباه هى أن معظم من تزعموا حركة الجهاد فى ذلك الدور الجديد منذ القرن الحادى عشر (الميلادى) لم تجر فى عروقهم دماء عربية خالصة ، ومع ذلك فانهم قاموا بدور بارز فى خدمة العروبة وميراثها ، لايقل عن الدور الذى قام كبار قادة العرب الأوائل فى التاريخ ، وحسبنا ماقام به السلاجقة فى الجزيرة وآسيا الصغرى ، والأيوبيون والمماليك فى مصر والشام ، والمرابطون ثم الموحدون فى المغرب والاندلس ٠٠ حسبنا ماقام به هؤلاء جميعا من جهود فى الذود عن الوطن العربى ضد الاخطار التى هددته من المشرق والمغرب جميعا »٠

ولعل فى هذا الرد غناء وتذكيرا لمن أراد أن يتذكر ، ولعل دعاة الفرقة والانتهازية يدركون منه أن تيار القومية العربية الجارف أقوى وأشد مما يظنون ٠

وأن ثمارها اليانعة أصبحت دانية القطوف ٠

وأن شمسها المشرقة قد عمت الوجود ، وبددت سحب الشكوك والأوهام ، واشاعت بدفئها حرارة الايمان بالقوة العربية الحقيقية المؤثرة فى مجريات الحوادث وانها صارت قادرة على فرض شخصيتها فى توجيه العالم ، الى ما يجب أن يتجه اليه من فضائل ، وذلك بما تملكه من مقومات ووسائل ٠

مصر والوحدة العربية

« الوحدة ثورة ـ ثورة لانها شعبية ، وثورة لانها تقدمية، وثورة لانها اندفاع قوى فى تيار الحضارة ٠٠ »

● فى حديث للرئيس جمال عبد الناصر ، تحت عنوان « العرب أمة واحدة قال :

« ٠٠ اننا نملك من أسباب القوة مايحقق لنا السيادة الكاملة ، وقوة التوجيه للسياسة العالمية العامة ، ان بلادنا فى مكانها المتوسط بين الشرق والغرب ، والشمال والجنوب لتقع بين دول العالم فى مثل مكان العاصمة من الدولة ٠٠

● « وان أرضنا وسماءنا وبحرنا وبرنا قوة ضخمة لم تزل أمم كثيرة فى الشرق والغرب تلتمس الأسباب للظفر ببعضها فلا تتهيأ لها ٠٠

● « واننا لنملك من قوة الروح ومن الايمان بالله ومن الشعور بمعانى الأخوة الانسانية بين البشر مايمكن أن يصنع بنا فى العالم تاريخا انسانيا جديدا ٠٠

● « واننا لنا قبلة نحج لها ، ونتوجه اليها فى صلواتنا ،وما الكعبة فى حقيقتها الروحية الا رمز تأديبى يريد أن يعلمنا نحن العرب أن الانسانية لا تبلغ كمالها الا حين تجتمع القلوب على هدف وتتوحد جماعتها الى قبلة ٠٠

● « **لقد نزل علينا الوحى ذات يوم لنقود الانسانية الى مراشدها فكانت حضارة الاسلام التى انقذت العالم من ظلمات الضلال والجهل ، وان وحيا جديدا لينبثق اليوم فى قلوبنا لنقود الانسانية مرة أخرى الى مراشدها . فما أحرى دعوتنا أن تبلغ اليوم مبلغها من القلوب والعقول ، وقد أشرف العـــالم على الانحلال لتنقذه من ظلمات الضـــلال والفتنة والجهل ...**

● « **واننا لنرى كل يوم برهانا جديدا على امكاننا وقدرتنا وطاقاتنا المادية والمعنوية .**

● « **ولئن نستكمل أســباب هذا الايمان حتى نؤمن ابتداء بأننا امة واحدة (١) » .**

من هذا الحديث نرى أن الوحدة العربية وسيلة لتحقيق أهداف كريمة وغالية على العرب والمناداة بالوحدة العربية صدى عميق للقومية العربية التي قويت ، وأصبحت عقيدة راسخة يدين بها العرب فى كل مكان .

على أننا لا نعتقد أن هناك فواصل بين الشعب العربى منذ أن فتح عينه على اشراق نور الاسلام فى قلبه حتى الآن ، وكل ما حدث من حواجز وحدود انما هى خطوط وهمية أقامها الاستعمار وأعوانه ليمكن لنفسه ، أما الشعب نفسه فلا يزال يحس بالتيار الوحدوى يسرى فى أعمــــاقه ، والدليل على ذلك ثابت من كل ما مر على الوطن العربى من أحداث وآلام ، فقد أثبت الشعب العربى وحدته فى موقفه منها .

● ولقد أصبح من الواضح أن موقف مصر من تحقيق الوحدة العربية فى صــورتها الشــكلية والثورية هو موقف القائد الذى يريد أن يصل بجنده الى كسب حقيقى ونصر أكيد ، ولقد أشار الميثاق الوطنى الى ذلك فقال :

ان مسئولية الجمهورية العربية المتحدة فى صنع التقدم وفى تدعيمه وحمايته تمتد لتشمل الامة العربية كلها .

ان الأمة العربيــة لم تعد فى حاجة الى أن تثبت حقيقــة الوحدة بين شعوبها .

---

(١) الهلال عدد يناير سنة ١٩٥٧ م .

لقد تجاوزت الوحدة هذه المرحلة واصبحت حقيقة الوجود العربى ذاته (١) ..

● ولقد جاهدت مصر فى سبيل تحقيق الوحدة بين العرب جهادا متواصلا ، ولم تأل جهدا فى القيام برسالتها من هذه الناحية عن طريق خطوات سليمة مركزة أهمها كما يشير الميثاق : الدعوة السليمة ، والتطبيق العملى ، ومؤازرة الحركات التحررية الشعبية ، والتعاون المثمر فى جميع المجالات الوطنية التقدمية مع عدم اقحام نفسها فى المنازعات المحلية .

● ان مصر تؤمن ايمانا لا حد له بوجوب اتحاد كلمة العرب وجمع شملهم ، لان الوحدة فى نظرها ونظر كل عربى حر تخلق من الضعف قوة ، ومن الألم أملا ، ومن الفقر غنى . وهى تستطيع أن تواجه الاستعمار بكل ألاعيبه ودسائسه ومكره ودهائه . ان مائة مليون من العرب يظللهم لواء واحد فى وطن واحد يمتد من شاطىء الأطلسى الى شاطىء الخليج العربى يمثلون دولة أعظم من كل دولة عظمى فى أوربا ..

● وهذه الوحدة الكبرى التى تجاهد مصر فى تكوينها ضرورة يحتمها منطق العصر الذى نعيش فيه ، فان زمن العزلة ولى وانقضى ، وسهولة المواصلات وسرعتها طوت المسافات وقربت الشقة بين الدول ، وأصبح من الممكن أن يصل المسافر من أقصى الارض الى اقصاها فى بضع ساعات أو أقل ، واذن فلا يمكن لدولة من الدول أن تعيش بمعزل عن الحياة التى تصخب من حولها ، ولابد أن ينالها مما يحدث فى العالم أثر ، وليس لها عاصم من ذلك الا قوتها التى تواجه بها الاحداث ، وتؤثر بها على الحوادث ، والا عصفت بها التيارات السياسية المختلفة ، وجرفتها الاهواء المتتالية وتفرقت أجزاؤها بين الشرق والغرب ، ولعب بمصيرها القدر ، وربطها بعجلة الاحلاف أو جرها الى اعتناق مذهب من المذاهب المؤثرة فى السياسة الدولية .

● لن ينجى العرب من ذلك المصير الا أن تكون لهم كلمة واحدة ، ورأى واحد ، وهدف واحد يسعون لتحقيقه .

● لا ينفعهم الا قوميتهم التى يستظلون بلوائها ويعتصمون بسلطانها ويشعرون بحرارة ايمانها ، ويصبحون تحت رايتها اخوة متحابين متآلفين متآزرين .

---

(١) الباب التاسع من « الميثاق » .

ان محادثات الوحدة التى تمت بين بعض الاقطار العربية وبعضها قد سبقتها خطوات فى هذا الطريق ، كان أهمها وأظهرها قيام الجامعة العربية وكان لشعب مصر فى تكوينها أثر مذكور ، فقد أخذ على عاتقه أن ينهض بالحركة العربية وتحت تأثيره دعت الحكومة المصرية رؤساء الحكومات العربية الى اجراء مباحثات ومشاورات فى يوليو سنة ١٩٤٣م ، وشكلت لجنة تحضيرية ، واجتمعت فى الاسكندرية فى سبتمبر سنة ١٩٤٤م وانتهت اعمالها بتوقيع « بروتوكول » الاسكندرية فى ٧ أكتوبر ١٩٤٤م وفى شهر مارس ١٩٤٥م استأنفت اللجنة اجتماعها فى القاهرة فاعادت النظر فى هذا « البروتوكول » ، وعدلت بعض مواده فأصبح ميثاقا للجامعة العربية واقرته فى ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥م سبع دول عربية هى مصر والمملكة العربية السعودية ، وسورية ، ولبنان ، وشرق الاردن ، والعراق، واليمن ، فأصبح هذا اليوم عيد ميلاد الجامعة العربية (١) • ثم انضمت اليها بعد ذلك دول عربية أخرى بعد أن نالت استقلالها منها السودان والمغرب وتونس والكويت وليبيا ، ويعتبر قيام الجامعة العربية خطوة فى طريق الوحدة الشاملة بين العرب ، أو مقدمة لهذه الوحدة •

● ولقد استجابت المشاعر العربية لدعوة مصر الى الوحدة ، ولو تركت الحرية للشعوب العربية لانطلقت تعبر عن ذلك أجمل تعبير وأصدقه ولجعلت تلك الوحدة حقيقة واقعة لا مجرد أمل مرجو •

والجمهورية العربية المتحدة حين نصت فى أول دستور لها على ان مصر جزء من الامة العربية رسمت بذلك الطريق لغيرها من الدول لتحذو حذوها ، وتنص فى دساتيرها على أن بلادها انما هى كذلك جزء من هذه الامة العربية الكبيرة ، ولم يبق بعد ذلك الا الخطوة الثانية نحو بناء هذه الدولة الكبرى ، وقد بدأت فعلا بالخطوات الآتية :

● فى ١٦ مارس سنة ١٩٥٥م أعلنت نصوص ميثاق ضمان عربى بين مصر وسوريا والسعودية ، ويقضى هذا الميثاق بعدم الانضمام الى أى حلف من الاحلاف الاجنبية واقامة نظام دفاعى وتعاون اقتصادى عربى مشترك •

وحينما وقع العدوان الثلاثى على مصر وضع هذا الميثاق موضع التنفيذ ، كما قامت الدول العربية بدورها العظيم فى مؤازرة مصر ، واصبحت صفا واحدا فى مواجهة هذا العدو المشترك ، مما كان له أثر

---

(١) تاريخ العالم العربى فى العصر الحديث ص ٢٦٣ •

كبير فى تأييد الرأى العالمى لقضية مصر وانتصاره لهـــا ، وهذا أدى الى فشل العدوان واضطرار المعتدين الى الانسحاب ٠

وفى فبراير سنة ١٩٥٨م بلغت الوحدة حدا فاصلا باعلان قيـــام الجمهورية العربية المتحدة من اقليمى مصر وسوريا ، وكانت خطوة جبارة فى طريق اقامة الوطن العربى ، ورغم أن هذه الوحدة قد تعرضت لانتكاسة سبتمبر سنة ١٩٦١م على يد طائفة انفصالية فان الغد كفيل بتحقيق آمال ابناء العروبة بالقضاء على دعاة الانفصال ٠

والانفصال الذى تم لم يكن الا نكسة وتجربة ، ولابد أن تعـــاود الشعوب العربية تجمعها ، وتستأنف نشاطها ، وتتابع سيرها فى طريق الوحدة الصحيح ، وقد يأتى الخير من الشر ، وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ٠

ان مصر قد ظلت دائما تحمل لواء النضال العربى ، وكان موقفهـا ولايزال من أعداء العرب معروفا ، ولها فى ميـــدان مكافحة هؤلاء تاريخ حافل بالوطنية الصادقة والاخلاص العميق ٠

ولولا عروبة مصر ، وجهادها ، وتضحيتها لما أضمر الاستعمار لهـا كل هذا الحقد الاسود الدفين ، ولما شـــغل باله بكل هذا الكيد والدس والوقيعة للقضاء عليها والتمكن منها ، ليسهل عليه بعد ذلك استذلال بقية العرب والسيطرة عليهم ٠

ولقد قالت مصر ردا على تلك الافتراءات وقضاء على هذه الخرافات كلمتها صريحة واضحة ، وضمنتها مدى الخطر الذى يحيق بالعرب لو انهم فرطوا فى وحدتهم قيد شعرة ٠ قالت هذه الكلمة مرارا وتكرارا على ألسنة قادتها وزعمائها ، وأثبتتها فى محــاضر جلساتها الرســمية وبيـــاناتها المختلفة ، « فمصر وشقيقات مصر يواجهن اليوم جميعا خطرا واحدا ، ومصر اليوم حين ترفع صوتها منادية شقيقاتها بالتكتل والتعاون والوقوف جنبا الى جنب لمواجهة ذلك الخطر ، انما تفعل ذلك لأنها حريصــة على أن تمنع ــ فى هذه المرة ــ المأساة الكبرى التى ظلت تعصف بالعرب منذ أن أطل عليهم النفوذ الأجنبى ، ومنذ تحكم فى مصائرهم ذلك النفوذ ٠

« أن مصر بموقفها الراهن » من الخطر الذى يهدد كيان الامة العربية انما تناضل نضالا تاريخيا لتخليص منطقة الشرق الأوسط من كل نفوذ أجنبى ، فتصبح منطقة يسودها الرخاء والسلام والأمن ، يملك أبناؤها على اختلافهم مواردها ويسيطرون ــ كأصحاب كل الحقوق ــ على دفة أمورهم

بما يتفق ومصالحهم ، لا مصالح ذلك الأجنبى الدخيل الذى يتعامل مع العرب بوصفه سيدا ، والعربى واحد من أتباعه » (١)

ومصر فى دعواتها الى الوحدة العربية لاتبغى سيطرة أو سلطانا ، ولكنها لشدة غيرتها على كرامة العرب وعزتهم ، ولرغبتها فى أن يصلوا الى ما يليق بهم من مجد وسؤدد تندفع بغير حدود فى حماستها لذلك المظهر الوقائى الذى تعده خط الدفاع الأول عن كيان العرب ومقدساتهم ، ولقد أشار السيد أنور السادات الى ذلك المعنى بقوله :

« لم يفكر جمال عبد الناصر بدعوته الى الوحدة العربية لحظة واحدة فى مسألة الزعامة ٠ ان جمالا صاحب دعوة ، وهو يؤمن أن مسألة الزعامات كانت من تقاليد عهد الانحلال يوم أن كان المستعمر يحطم فى رجالنا كل روح انشائية بناءة ، يشغل نفوسهم بالزعامة والأحقاد والمجد الشخصى ، وما يعمله جمال عبد الناصر اليوم هو أن يدعو بما يحسه فى نفسه نتيجة لآلام الماضى ومآسيه لذلك تستجيب له الشعوب قبل الحكام ، ثم لا يلبث أن يستجيب الحكام ، لأن الارادة هى ارادة الشعوب لا ارادة الحكام ، وأمر آخر يحسه جمال ، هو أننا كلنا فى الهم شرق ، وهمنا فى الشرق كان ولا يزال فى داء الزعامة ومحنة الاحقاد ، وجمال أبدا لن يداوى الداء بالداء ، وانما شرعه الحسم بشافى الدواء » (١) ٠

ومصر من أجل ذلك ترحب بكل اتحاد ولو كان ثنائيا يتم بين قطرين عربيين بارادة شعبية حرة متكافئة ولمصلحة عربية قوية ولن ننسى اطلاقا موقف مصر من رغبة عبد الكريم قاسم فى ضم الكويت الى العراق فانها عارضت هذا الاجراء لانه وان كان يحمل فى ظاهره التجميع ، ولكنه يبطن التعويق والتشتيت ، لأنه لم يتم برغبة شعبية وفقا للقواعد الدستورية السليمة التى تصبح الوحدة بمقتضاها أمرا محتوما لا نقض فيه ولا إبرام ٠

---

(١) قصة الوحدة العربية ــ أنور السادات ص ١٤ ٠

(٢) قضية الوحدة العربية ــ أنور السادات ص ٧٥ ٠

مصر والتعاون الآسيوى والافريقى :

وكنتيجة حتمية لمنطق الوعى التحررى الذى تمثله مصر وتعمل له ، كان لزاما عليها أن تنظر الى الشعوب الافريقية والآسيوية تلك النظرة التى تنظرها الى الشعوب العربية فى وجوب العمل على توحيدها وجمع شملها وتنسيق جهودها لتقف صفا واحدا أمام الاحداث المتربصة بها ٠

وعلى هذا الضوء نفسر دعوتها لمؤتمر باندونج ، والقرارات التى اتخذت فيه والمبادىء التى تألقت وأصبحت علما على نصاعة الرأى ، وسلامة التفكير ، وانسانية الروح ، وبعد النظر ٠

لقد حان الوقت الذى تقول فيه هذه الشعوب كلمتها ، ويصغى العالم الى رأيها وتكون لها شخصيتها المؤثرة فى مجرى الأمور ، وتغيير ميزان القوى فى العالم ٠

ولقد مضى الوقت الذى كانت سياسة تلك الدول ترسم فى عواصم الدول الاستعمارية وتتمكن أقل قوة عسكرية من التحكم فى مصير شعب بأسره ٠

ولقد مضى الوقت الذى اتخم فيه الجشع البطون الاستعمارية نتيجة لاستنزافها موارد هاتين القارتين واستغلال خيراتهما ومنابعهما ٠

وتبلورت مبادىء باندونج ، وأصبحت روحها العظيمة تسيطر على قرارات المؤتمرات المتعاقبة والاجتماعات والمحادثات والمناقشات الدائرة فى كل مكان ٠

وظهرت الدعوة الى اتحاد آسيوى أفريقى تمليه الظروف المحيطة بالقارتين ، وتحتمه الدوافع الحقيقية لصد المطامع الاستعمارية ٠ وكان أن أقيم مؤتمر الشعوب الآسيوية الافريقية الذى تم انعقاده فى القاهرة ، وأقيم بعد ذلك مؤتمر أكرا ، ومؤتمر الدار البيضاء ، وتعددت زيارات المسئولين بالدول الافريقية والآسيوية للقاهرة ، وتردد مندوبو الشعوب، وكل ذلك لا يمثل الا صدى واحدا للحركة القوية الهادفة الى التعاون الصادق بين الشعوب التى حرمت من حقها قرونا طويلة ، ولم تتوان مصر فى أن تكون الملبية بسرعة وبارادة قوية لكل نداء يوجه اليها لتحقيق هذه الرغبة عن طريق المساعدات المادية والأدبية ، وعن طريق التشجيع لهذه الدول الناهضة فى طريق المستقبل الباسم السعيد ، ولقد نص الميثاق الوطنى على ضرورة مراعاة ذلك فى سياسة مصر الخارجية ٠

واذا كان شعبنا يؤمن بوحدة عربية فهو يؤمن بجامعة افريقية ، ويؤمن بتضامن آسيوى افريقى ، يؤمن بتجمع من أجل السلام يقيم جهود الذين ترتبط مصالحهم به ويؤمن برباط روحى يشده الى العالم الاسلامى ، ويؤمن بانتمائه الى الامم المتحدة ، وبولائه لميثاقها الذى استخلصته آلام الشعوب فى محنة حربين عالميتين تخللتهما فترة من الهدنة المسلحة .

ان الايمان بهذا كله لا يتعارض بعضه مع بعض ولا يتصادم ، وانما هو حلقات سلسلة واحدة .

ان شعبنا شعب عربى ومصيره يرتبط بوحدة مصير الامة العربية .

ان شعبنا يعيش على الباب الشمالى الشرقى لافريقيا المناضلة وهو لا يستطيع أن يعيش فى عزلة عن تطورها السياسى والاجتماعى والاقتصادى .

ان شعبنا ينتمى الى القارتين اللتين تدور فيهما الآن أعظم معارك التحرر الوطنى ، وهو أبرز سمات القرن العشرين .

ويقول الميثاق :

« والسياسة الخارجية لشعب الجمهورية العربية المتحدة انعكاس أمين وصادق لعمله الوطنى ، تمتد فى ثلاثة خطوط حفرت مجراها عميقا ومستقيما بنضال شعب باسل صمد لكل انواع الضغط وانتصر عليها .

« ان الخطوط الثلاثة العميقة فى السياسة الخارجية للجمهورية العربية المتحدة تعبيرا عن كل مبادئها الوطنية هى :

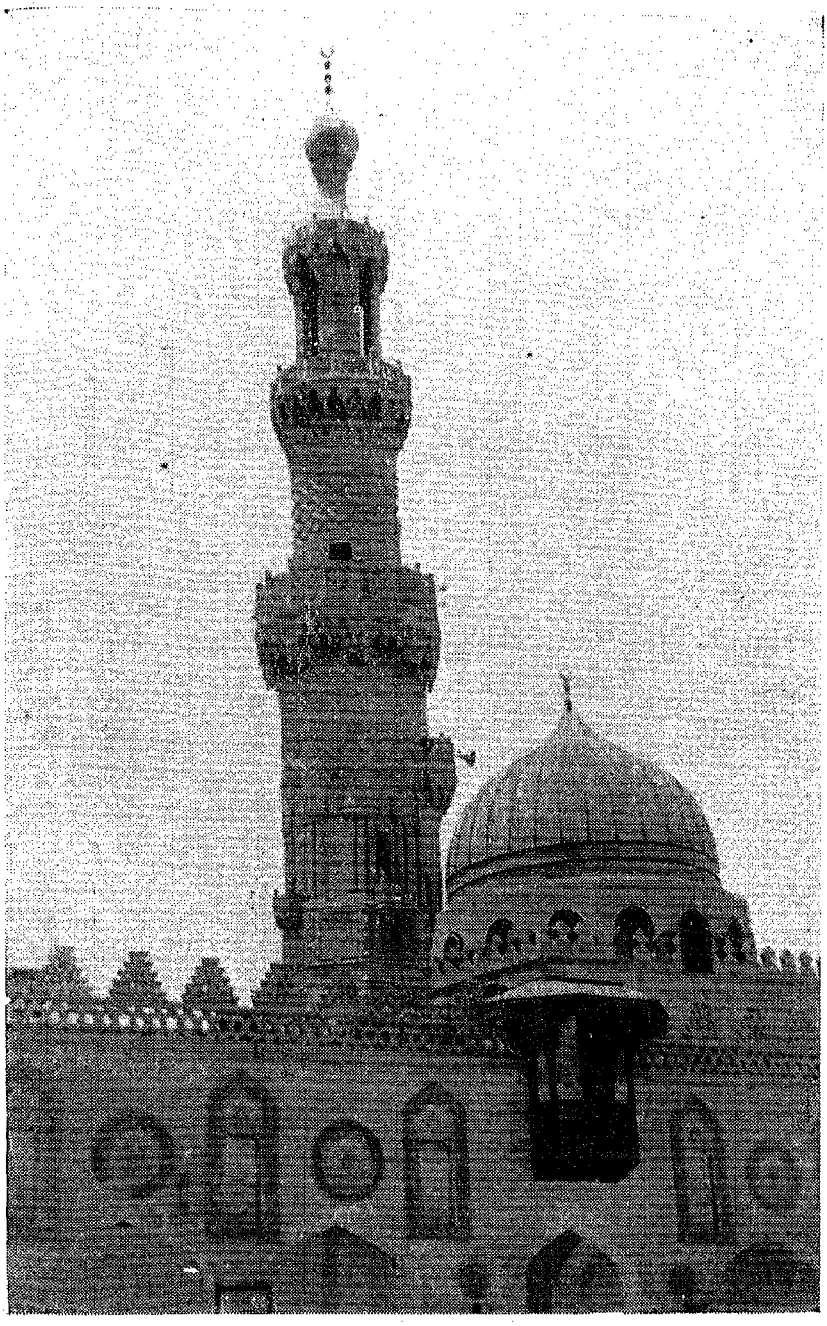
« ـ الحرب ضد الاستعمار والسيطرة بكل الطاقات والوسائل ، وكشفه فى جميع أقنعته ، ومحاربته فى كل أوكاره .

ـ والعمل من أجل السلام ، لأن جو السلام واحتمالاته هى الفرصة الوحيدة الصالحة لرعاية التقدم الوطنى .

« ـ ثم التعاون الدولى من أجل الرخاء ، فان الرخاء المشترك لجميع الشعوب لم يعد قابلا للتجزئة ، كما أنه أصبح فى حاجة الى التعاون الجماعى لتوفيره (١) » .

---

(١) الميثاق ـ الباب العاشر .



الأزهر أعرق جامعة فى العالم
(تصوير ك . س . ديرادور)

المؤثرات المصرية المشعة في العالمين العربى والخارجى

« ان العلم هو السلاح الحقيقى للارادة الثورية »

اولا ـ العلم والازهر :

بلغت مصر فى مضمار التقدم العلمى مدى بعيـــــدا ، وقطعت فيه شوطا طويلا ، وقد بنت مجدها العلمى على اسس متينة مدروسة ، لعلمها ان بناء الدول لايقوم الا على العلم ٠

عرفت ذلك مصر فى القديم فأنشأت جامعة الاسكندرية ، وجامعـة عين شمس ، وكان أشهر حدث علمى فى تاريخ مصر العربية فى العصور الوسطى انشاء الجامع الأزهر ، الذى بناه الفاطميون سنة ٣٦٢ هـ ، ليكون مدرسة جامعة مشرقة فى شتى العلوم والفنون ، ويعتبر الازهر أقدم جامعة فى العالم بعد جامعة الاسكندرية وجامعة عين شمس ٠ وفد اليه المسلمون من جميع الاقطار يتلقون فى رحابه العلم ، ويجدون فى أروقته وحلقـاته شفاء أنفسهم وهدى عقولهم ، وقد تخرج فى الازهر رجال عظام كان لهم أثرهم البالغ فى بناء الحضارة الاسلامية العريقة وفى اشعال نار الوطنيـة والجهاد ٠

وأول من حاول جعله جامعة علمية هو هو الوزير يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله الفاطمى ، وأول ما عمله فى هذا الشأن أن بنى بجواره دارا لجامعة الفقهاء ، ولما ولى الحاكم بأمر الله ، أمر بنقل الكتب التى كانت

عنده فى دار العلم أو الحكمة الى المساجد المختلفة وخص الأزهر بحوالى نصفها (١) ٠

ثم اتسعت عمارة الازهر فيما بعد كما اتسعت فروعه ومعاهده ، وأنشئت حوله أروقة خاصة به ليأوى اليها الطلاب الوافدون من جميع أنحاء العالم الاسلامى والعربى وكانوا يجدون من رعاية القائمين على الأمر ما يكفل لهم الحياة الهانئة ويمكنهم من الاقبال على دراستهم بجد واهتمام ٠

كما أنشئت به مكتبة ضخمة حديثة تضم الآن حوالى ٦٤٢ر٦٦ مجلدا (٢) ٠

وقد أدى الازهر دوره كاملا فى الحياتين السياسية والاجتماعية ، وقام برسالته الدينية والقومية على خير وجه ، وظل رمزا للثقافة والارشاد والعلم حتى وقتنا هذا الذى تطورت فيه رسالة الأزهر الى ما يناسب مقتضيات الحياة الحاضرة ، وأصبح جامعة تمثل النهضة القديمة والحديثة لها طابعها التقليدى الذى يحفظ لها تاريخها المجيد ويجعلها تشرق على العالم بنورها من جديد ٠

ومما يحفظ للأزهر بكل تقدير وثناء محافظته على اللغة العربية وأدبها فى أيام الاستعمار التركى الذى تأخرت فيه البلاد العربية، وساءت حالتها وعمها الفساد والانحلال ووصلت فيه الى أحط درجات التأخر فى جميع مرافقها فقد « أغلقت المعاهد وتخربت خزائن الكتب ، وشغل الناس أمر الظلم الواقع عليهم من الحكام عن طلب العلم واجادة الفنون صناعات والعناية بالزراعة والاجتهاد فى تكثير المال بالتوسع فى التجارة حو ذلك ، ولكن الجامع الازهر الشريف وهو أكبر معهد تدرس فيه لوم الدين وعلوم اللغة العربية بقى سليما لم يجرؤ الظلمة على الاساءة ليه احتراما للدين وخوفا من العالم الاسلامى الذى يغضبها أشد الغضب ن ينال أحد هذا المعهد الدينى القديم الجليل بأى سوء (٣) ٠

وقد كان الازهر فى خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين يمثل زعامة الفكرية والثقافية فى العالم العربى ، وقد علت مكانة علمائه طلابه ، وتمتع كبارهم بكثير من الجاه والنفوذ (٤) ٠

---

(١) الادب العربى وتاريخه فى العصر العباسى — محمود مصطفى ص ٣١٦ ٠
(٢) الازهر أثر وثقافة — سعاد ماهر ص ٢٦ ٠
(٣) تاريخ الادب العربى لأحمد أمين وآخرين ص ١٨ ٠
(٤) الأزهر أثر وثقافة ص ١١ ٠

وفي خلال الحملة الفرنسية أصبح الازهر قاعدة النضال الشعبي ، ومركز المقـــاومة الشعبية • وكان طلاب الازهر وشيوخه شعلة حماس ووطنية ، ضربوا أروع المثل في التضحية والفداء وتحول الازهر الى دار أسلحة مما اضطر نابليون الى اقتحامه بخيوله ، ولكن لم يزد هذا التحدى الشعب الا اصرارا ، فقد هب المصريون يذودون عن الازهر الذى يعدونه رمزا لدينهم وعقيدتهم ووطنهم ، ودافعوا عنه دفاع المستميت ، وقد كان لكثير من شيوخه ـ حتى من الذين كف بصرهم ـ مواقف خالدة من أمثال الشيخ سليمان الجوسقي والشـيخ الشرقاوى والشـيخ عبـد الوهاب الشبراوى ، والشـيخ يوسـف المصيلحي والشـيخ اسـماعيل البراوى وغيرهم (١) » ويكفي أن يكون أحد أبناء الازهر (سليمان الحلبى) هو الذى قتل كليبر الحاكم الفرنسي المستعمر نائب نابليون في مصر • وسليمان الحلبى قد وفد من الشام الى القاهرة يتلقى العلم فى الازهر الشريف ، ولما عرف أن كليبر قد أسرف فى فرض الغرامات على التجار والاعيان ، وأنه قد أشاع الظلم والارهاب بين الناس ، وانه خرب ودمر ، وانه أمر باعدام كل من يحرز سلاحا ، ولما عرف سليمان الحلبى العربي ما حل باخوته العرب المصريين ثارت نفسه وقرر قتل كليبر ، ومكنه الله منه سنة ١٨٠٠ م •

ولما قامت ثورة ١٩١٩ لم يشتد أوارها الا من خلال القيـادة التى كانت تنبعث من صـحن الازهر ومنبره ، وكان يتـــوافد اليه المصريون زرافات ووحدانا من جميع عنـــاصر الامة وطبقاتها يستمعون الى بيانات الثورة وخطب قاداتها وتوجيهاتهم وتحريض زعمائها •

وفي أثناء العدوان الغـــادر على مصر ارتفعت صيحة زعيم العروبة وقائدها الرئيس جمال عبد الناصر من فوق منبر الازهر عقب صلاة الجمعة معلنة اصرار مصر على مقاومة العدوان والاستمرار فى القتال ، وكان لهذه الصيحة استجابتها البليغة بين صفوف الشعب الذى تهيأ بكامل صفوفه لسحق هذه المحاولة الغادرة •

على ان رسالة الازهر الثقـــافية والاجتماعية والوطنية غير مجهولة القدر فى هذا العصر الحديث ، فهو يمثل منبعا جليل الشأن فى تزويد روافد العلم والاصلاح والثقـافة بما هى فى حاجة اليه من قادة ومعلمين وهداة ، وكلياته العديدة قد اتســـعت مناهجها وفروعها لتواجه الضغط المتزايد عليها من مصر والخارج •

---

(١) صور من كفاح الشعب للدكتور جمال الدين الرمادى ص ٦٠ •

وقد عرفت الثورة للازهر حقه بوصفه مركز اشعاع،له آثاره البعيدة في قلوب العرب والمسلمين في جميع الاقطار ، وبوصف منزلته السامية في تقدمهم لانه في نظرهم المنار الذى ظل محافظا على التراث الفكرى والدينى عبر القرون ٠

وكان ان أصدرت القانون الخاص باصلاح الازهر وتطويره ووافق عليه مجلس الامة في يونيو ١٩٦١م ، ويقضى هذا القانون بتطوير الازهر وتعـــديل أنظمته بمـــا يتفق وحاجات العصر ٠ وقد وضعت الثورة في تقديرها مدى نفوذ الازهر وتغلغله فى كيان الشعوب ، فكان هذا حريا بأن يتخرج فيه أساتذة جديرون بحمل رسالتهم الاصلاحية فى جميع الاتجاهات العلمية والعملية وذلك عن طريق الكليات الجديدة التى أنشئت بجامعة الازهر ٠

كما طورت الثورة نظام الاروقة التى كانت تضم الوافدين للدراسة فى الازهر الى نظام يساير روح العصر الحـــديث وذلك بتشييد مدينة البعوث الاسلامية على أحدث طراز ، وتضم حوالى احدى وأربعين عمارة بها حوالى ثلاثة آلاف مبعوث من آسيا وافريقيا ، ومن ألمانيا وفرنسا وأمريكا ويوغسلافيا وغيرها ٠ وقد راعت فى تأثيثها كل وســائل الراحة الممكنة ليتمكن المبعوثون من التفرغ لرسالتهم التى جاءوا من أجلها والتى تتطلبها بلادهم بعد ذهابهم اليها ٠

ووضعت سياسة الازهر الجديدة الانتـــاج الفكرى والثقـــافى فى تخطيطها فضمت المؤتمر الاسلامى الى الازهر ، وأنشأت مجمع البحوث الاسلامية ٠ والهدف من وراء ذلك رفع المستوى الثقافى ومستوى العقيدة الاسلامية والاخلاقية المتوارثة ، واذابة الفوارق بين المذاهب المختلفة فى جميع الدول الاسلامية ، ونشر الرســالة عن طريق الدراسات الهادفة ، والبعثات الهادية ، والتبشير بها فى الداخل والخارج ٠

ثانيا ـ الجامعات الاخرى :

أنشئت جامعة القاهرة باسم الجامعة الاهلية فى عام ١٩٠٨ على أثر دعوة قام بها كثير من الكتاب والمفكرين والزعماء لما رأوه من حاجة البلاد الى نوع من الدراسة يتناسب مع مكانة مصر وآثارها الخـــالدة فى العلم والعرفان ٠ وكان مما قاله مصطفى كامل فى هذا الصدد :ـ

« مما لا يرتاب فيه انســـان ان الامة المصرية أدركت حقيقة المركز الذى يجب أن يكون لها بين الامم ، وأبلغ الادلة على ذلك نهضتها فى مسألة

التعليم ، وقيام عظمائها وكبرائها وأغنيائها بفتح المدارس وتأسيس دور العلم بأموالهم ومجهوداتهم . ولكن قد آن لهم أن يفكروا في الوقت الحاضر في عمل جديد ، الامة فى أشد الحاجة اليه ، الا وهو انشاء جامعة للامة بأموال الامة (١) » .

وكان مقر هذه الجامعة فى المكان الذي تشغله الجـــامعة الامريكية حاليا ثم انتقلت الى قصر محمد صدقى باشا بشارع الفلكى . وفى سنة ١٩٢٥ م صدر قرار حكومى بانشاء الجـــامعة المصرية عن طريق ادماج الجامعة الاهلية بها ،ووضع الحجر الاساسى لمبناها فى مكانه الحالى سنة ١٩٢٨ م ، وفى سنة ١٩٥٣ م صدر القرار الذى يقضي بتعديل اسم الجامعة الى جامعة القاهرة (٢) .

وقد تولى ادارة الجامعة والتدريس فيهـــا منذ تكوينها حتى الآن أساتذة كبار متقدمون فى شتى العلوم والفنون من أمثـــال رائد الجيل المرحوم أحمد لطفى السيد والدكتــور على ابراهيم والدكتور محمد كامل مرسى والدكتــور طه حسين وغيرهم من رواد مصر فى العصر الحـــديث والذين لهم آثار تذكر بالتقدير والثناء العاطر .

وقد أدت جامعة القاهرة دورها فى بناء نهضة مصر الحديثة، وتخرج فيها علماء وأساتذة عظام حملوا لواء الاصلاح فى شتى ميادينه المختلفة ، وقبل فى صفوفها كثير من طلاب الدول الآسيوية والافريقية الذين عادوا الى بلادهم فكانوا رسل اصلاح وهداية ومنار اشعاع قومى وثقافى ، وقد زاد اقبال الوافدين اليها من شتى بلاد العالم بعد أن برز اسم الجمهورية العربية المتحدة فى المجال الدولى ذلك البروز العظيم .

وبجوار جامعة القاهرة توجد فى مصر جامعات أخرى تقوم بالرسالة العلمية والاصلاحية ، فجامعة الاسكندرية ، وجامعة عين شمس ، لا تزالان تشرقان باشعاعات على العالم العربى والدول الافريقية والآسيوية ، وعلى الطريق نفسه تسير جامعة أسيوط وجامعة المنصورة اللتان أنشئتا حديثا، وحملتا لواء العلم متضامنتين مع جامعة القاهرة ، وجامعة عين شـــمس ، وجامعة الاسكندرية .

وقد غذت هذه المنابع العلمية المتقدمة بلادا كثيرة فى العالم بمبعوثيها

---

(١) دائرة معارف الشعب ــ كتاب ١١٨ ص ٦٥٠ .

(٢) دائرة معارف الشعب ــ كتاب ١١٨ ص ٦٥٠ .

الذين كانوا عند حسن الظن بهم ، وقاموا بواجبهم خير قيام ، ورأوا ان رسالة التثقيف والاصلاح غير محدودة بوطن أو مقتصرة على مكان ، ولكنها رسالة عامة شاملة ، ولها هدف انسانى أصيل يتمشى مع سياسة مصر فى الأخذ بيد الوطن العربى والشعب الاسيوى والافريقى الى الامام وتنوير عقول أبنائه ليعرفوا حقهم ويصلوا حاضرهم بماضيهم وفى ذلك القضاء على رواسب الماضى ومخلفات الاستعمار وتفويت الفرصة عليه ، الفرصة التى كان يرمى من ورائها الى استغلال الارض عن طريق استغلال العقل، وقطع روافد العلم والثقافة عنه .

الثورة

« ان يوم ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ كان بداية جديدة ومجيدة فى تاريخ النضال المتواصل»

الحديث عن ثورة يوليو ١٩٥٢ يطول ويحتاج الى مجلدات .

لم تكن هذه الثورة ثورة واحدة ، ولكنها ثورات عدة . فهى :«ثورة وطنية فى كل قطر عربى تحفزه الى الوقوف فى وجه الاستعمار والى قتاله حتى تسقط أعلامه الدخيلة ولا تعود ظلالها السوداء تفرض ظلامها على الوطن العربى .

وهى ثورة عربية فى كل قطر عربى تدفعه الى اعتلاء الاسوار وكسر الحواجز سواء منها الاسوار والحواجز المادية التى تتمثل فى الحدود التى اصطنعها الدخيل الغاصب ، أو الاسوار والحواجز المعنوية التى تتمثل فى الشكوك التى بذرها الدخيل الغاصب .

وثورة اجتماعية فى كل قطر عربى تحفزه الى طلب الحياة لكل فرد من أفراده تحقيقا للعدل وايمانا بأن العدل الاجتماعى هو الركيزة التى يمكن أن يستقر عليها الكيان الوطنى لكل شعب من الشعوب (١)

وقد سبقت هذه الثورة مقدمات فرضتها وجعلتها ضرورة لانها **« الطريق الوحيد الذى يستطيع النضال العربى أن يعبر عليه من الماضى الى المستقبل »** .

---

(١) أنظر وحدة العرب — لابراهيم البساطى ص ٧٩ .

ولقد اراد الشعب المصرى متجاوبا مع الشعوب العربية التى جمعتها ظروف واحدة أن يعبر عن نفسه فى عدة محاولات متعاقبة ، وان يثبت وجوده ويصحح أوضاعه ، فكانت ثورته ضد الفرنسيين ، وكانت وقفته ضد الانجليز فى رشـــيد • وكانت ثورته بقيادة عرابى ضد الفســـاد المستشرى فى البلاد ، وكانت ثورته سنة ١٩٣٦ م ضد المستعمر وأذنابه ، وكانت ثورته فى داخل نفسه عقب معاهدة ١٩٣٦ م التى رأى فيها رمز عبودية واذلال وحاول تحطيمها والغاءها ، وكان استنكاره الشديد للنتائج المؤسفة التى أدت اليها معركة فلسطين بسبب خيانة العملاء والمنتفعين •

وازداد السخط الشعبى عنفا حينما فقدت مصر استقرارها السياسى والاجتماعى نظرا لفساد الحكم فى أجهزته المختلفة ، وحينما لم يكن العمل لمصلحة الشعب هدفا من أهداف أية حكومة قامت فى ذلك العهد البائد ، بل كان هم هذه الحكومات منصرفا كله الى البقاء فى الحكم أطول مدة ممكنة ، وترتب على فساد الحكم – فى صورة الملك والحكومات المختلفة – فساد الاوضاع الاجتماعية ، فقد انتشرت الرشوة والمحسوبية ، وخربت الذمم ، وانعدمت المثل العليا،واصبحت القيم شعارات زائفة تثير السخرية والاستهزاء • ووصل الفساد الى ذروته بحريق القاهرة فى يناير سنة ١٩٥٢ •

وكان لابد مما ليس منه بد ، وأصبحت الثورة ضرورة تحتمها هذه الظروف السيئة التى وصلت اليها البــلاد • وفى فجر ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ م فتح الشعب عينه على طلائع الأمل فى صورة جيش مصر المظفر يعلن ثورته المباركة بقيادة زعيمها البطل جمال عبد الناصر •

ولم تكن هذه الثورة الا صدى عميقا لأحاسيس الشعب وتجاوبا مع مشاعره وآماله • وحددت الثورة – لحظة قيامها– أهدافها التى تتلخص فى القضاء على الاستعمار وأعوانه ، والقضاء على الاقطاع،والقضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم ، واقامة جيش وطنى قوى ، وتحقيق العدالة الاجتماعية ، واقامة حياة ديمقراطية سليمة ، والنهوض بالانتاج •

وتحقيق هذه الاهداف لا يمكن ان يتم فى ظل حـــكم رجعى فاسد متحالف مع الاستعمار • لذلك أعلنت الثورة النظام الجمهورى ضمانا لأن تسير البلاد نحو أهدافها فى سرعة ونشاط •

وسارت الثورة فى طريقها يحالفها تجاوب شعبى عميق ، ويؤازرها فى جميع خطواتها الموفقة التى تستهدف مصلحة الشعب وسعادته فقد كانت ثورة ٢٣ يوليو تحقيقــا للامل الذى راود شــعب مصر منذ بدأ فى

العصر الحديث يفكر فى أن يكون حكمه بأيدى أبنسائه وفى ان يكون له نفسه الكلمة العليا فى مصيره ٠

مع الامة العربية :

واتسعت أهداف الثورة كما اتسعت آمال الشعب المعلقة عليها . وأصبح من المحتم ألا تقتصر جهودها على مصر وحدها ، ولكنها امتدت حتى تجاوزت الحدود المصطنعة ، ورسمت مستقبلا زاهرا للوطن العربى الكبير الذى يمتد من المحيط الى الخليج ، ووضعت سياستها على هذا الاساس ٠

وضعت سياستها على أساس أن مصر جزء من الامة العربية ، وقد شعر الرئيس جمال عبد الناصر بهذه الحقيقة حتى من قبل قيام الثورة فهو يقول :

مادامت المنطقة واحدة واحوالها واحدة،ومشاكلها واحدة ومستقبلها واحدا والعدو واحدا مهما حاول أن يضع على وجهه من أقنعة مختلفة فلماذا تتشتت جهودنا ؟

« ثم زادتنى تجربة ما بعد ثورة ٢٣ يوليو ايمانا بهذا الكفاح الواحد وضرورته فلقد بدأت خبايا الصورة تنكشف ، والظلام الذى كان يحيط بنضالها ينقشع ، وأعترف أنى كذلك بدأت أرى العقبات الكبرى التى تسد الطريق الى الكفاح الواحد ، ولكنى بدأت أومن بأن هذه العقبات نفسها ينبغى أن تزول ، لانها من صنع ذلك العدو الواحد بنفسه (١) »

مع الاستعمار : ـ

وبذلك بدأت الثورة تضع فى تقديرها ضرورة العمل من اجل أهداف الأمة العربية كلها ، وبدأت تخوض بذلك معركة حديدة مع الاستعمار وعملائه ورواسبه ٠

ان المستعمر وقد رأى أن يسلم بقيام الثورة فى مصر ، على ظن انها حركة محلية لاتستهدف سوى تغيير نظام الحكم ، وعلى ظن أنه يمكن أن يفرض عليها لونا من ألوان التأثير أو التبعية قد خاب ظنه فى هذه الناحية، وبدأ يعد خطته على أساس خطورة هذه الثورة على مصالحه فى منطقة

---

(١) فلسفة الثورة ص ١١٠ ٠

الشرق العربى،وانها لم تكن مجرد انقلاب تمكن من الوصول الى الحكم ، بدأ الاستعمار يدرك أنها ثورة مدروسة قوية محكمة ، لهــا اهداف بعيدة ، وأغراض تقدمية تسير فى طريق منظم بخطوات ثابتة ٠

ولم يكن من المعقول أن يترك الاســتعمار قواعده أو نفوذه أو يتخلى عن سلطانه فى يسر وسهولة ، وهو وان كان ــ مرغما ــ قد حمل عصاه على كاهنه ورحل عن مصر فليس معنى ذلك فى مفهومه أن يحملها ويرحل عن غيرها من الاماكن التى عشش فيها وأفرخ ٠

وأخذ يعد عدته على أساس سياسة جديدة ، على أساس استعمار غير سافر هو الذى يسمى الاستعمار الجديد ، أخذ يمكن لنفسه عن طريق أحلاف ومعاهدات واتفاقيات ٠ عن طريق مؤامرات ودسائس وخيانات ، وقد واجهت الثورة كل هذه الأساليب بشجاعة ، وعالجتها بحزم ، وتمكنت من القضاء عليها فى حينها ٠ فعقدت اتفاقية السودان ، وفوتت الفرصة على بقاء الانجليز بها ، ونددت بحلف بغداد ومالبث أن انهار فى أعقاب انهيار أصحابه ، وشجعت المحميات على المطالبة بحقوقها ، وكشفت مؤامرة الاســـتعمار وأعوانه التى كان يعدها للتخلص من ثورة ٥٢ بوســـاطة التخلص من قادتها وزعمائها عن طريق المؤامرات ، « **ولقد كشف الاستعمار نفسه ، وكذلك فعلت الرجعية بتهالكها على التعاون معه ، وأصبح محتما على الشعوب ضربهما معا ، وهزيمتهما معا ، تأكيدا لانتصار الثورة السياسية فى بقيــة أجزاء الوطن العربى ، ودعمــا لحق الانســان العربى فى حياة اجتماعية أفضل لم يعد قادرا على صنعها بغير الطريق الثورى** (١) ٠

وبذلك فتحت هذه الثورة الطريق أمام آمال الشعب العربى فى كتابة صفحات مشرقة جديدة فى كتاب تاريخه المجيد ، وانبعثت صيحات التحرر تشق عنان السماء وتصاعدت رنات الفرح تتجاوب مع أصــداء الثورة فى أجزاء متفرقة من أرض الوطن العربى ٠

فلم يكد يمضى على قيام الثورة عامان حتى اندلعت ثورة الجزائر ، واستمرت حتى نالت استقلالها ٠ ولم يمض على العدوان عامان حتى قامت ثورة العراق ، ومن بعدها ثورة السودان ، ثم أصــبحت الكويت دولة مستقلة تنطلق مع ركب القومية العربية الصاعد ، ثم انطلقت ثورة اليمن، ومن بعدها ثورة العراق الثانية التى صححت طريق الثورة الأول فأعادت لها حياتها ٠

---

(١) الميثاق ــ الباب التاسع ٠

هذا وما زالت الثورة فى طريقها تمتد لتشمل ربوع أفريقيا وآسيا ، وتطهرها من كل دخيل ، وتترك خيراتها ملكا خالصا لابنائها لا يستغلها مستغل ولا يستولى عليها غاصب ٠

وبذلك تكون ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ م قد أدت دورها كاملا منذ أن رفعت الغشاوة المصطنعة عن عيون الشعوب العربية والافريقية ، وبينت لهم معالم الطريق الصحيح الذى يجب أن يسلكوه فى طريق الحياة الصاعد الى المستقبل الباسم ٠

المفاهيم الجديدة للثورة :

لقد وضعت ثورة يوليو أمام الشعب العربى مفاهيم جديدة لم تكن معروفة له من قبل ، أو كانت معروفة ولكنها لم تتضح فى ذهنه تماما بسبب الرواسب التى خلفها الاستعمار ووضع بها حجابا كثيفا بين الانسان والواقع ، وبين الانسان والمستقبل ، وبين الانسان والماضى ٠

لقد حاول الاستعمار أن يحول بين الشعب وبين تراثه الفكرى الرائع وبينه وبين ميراثه الخلقى العظيم وبينه وبين مبادئه السامية التى اضاءت للعالم يوما مشعل الحضارة والعرفان ، لقد أدخل الاستعمار فى أذهان الشعب أنه شعب خليط غير متجانس ، وأنه أمة مفككة الأواصر لا صلة بينها ، وبث الاستعمار فى نفوس الشعب الاحساس بالضعف والافتقار وعدم الثقة بالنفس ، وشكك الشعب فى قدرته على الخلق والابتكار والاتقان ، وزرع فى قلوب أبنائه اليأس وعلمهم كيف يخشون التجديد والاصلاح ، وكيف يحترمون القوى ويخافونه ويتملقونه ، ويسخرون من الضعيف ويتحاملون عليه ويحتقرونه ، علم الاستعمار بعض الناس الانتهازية والتسلق والوصول الى أعلى المناصب عن طريق الاستغلال والدس والوقيعة والمكر ، فزرع بذلك داء الحقد والضغينة وافسد الذمم ، وخرب الضمائر ٠

ورأت الثورة من واجبها أن تتجه باصلاحاتها الى القضاء على هذا الفساد المتخلف من ركام الاستعمار فأخذت تخوض معركة جديدة من نوع آخر ، وكان للقدوة الطيبة والاصلاحات الكثيرة ، والمواقف المشرفة فى مواجهة الاستعمار ، اثرها الذى تجلى فى انصاف العامل والفلاح ، وتحقيق المكاسب للطبقة الكادحة وتأمين حياتهم ، وتصحيح الأوضاع المقلوبة ، وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص ، والحساب العسير على الكسب غير المشروع ووضع الانظمة الاشتراكية ، واحياء التراث العربى ، والربط بين الشعوب

العربية . واستنهاض الهمم والتذكير بالماضى ، والقضـــاء على الاقطاع والحزبية . كل ذلك وغيره وضع مفاهيم جديدة أمام الشعب العربى .

لقد علمته الثورة كيف يثق فى نفسه ومستقبله ، وكيف يسير فى الحياة متفائلا مطمئنا ، علمته الثورة كيف يخلق ويبتكر ، ويصل بعلمه وعمله وانتاجه الى أعظم مستوى صناعى فى العالم ، واعطته الســلاح الذى استطاع أن يحقق به تفوقا ملحوظا فى شتى الميادين المختلفة علميا وفنيا وصناعيا ويصل بتفكيره الى تفتيت الذرة وصناعة الصواريخ وغزو الفضاء . لقد نزعت الثورة من قلبه الشكوك والمخاوف وأحيت فيه الامل وقوت فيه روح البذل والتضحية والشعور بالمسئولية والسير بالأمة العربية الى ما يحقق لها أمنها وسعادتها ورفاهيتها .

لقد شعر الشعب بكيانه ، وأدرك مسئولياته ، وعرف طريقه وأصبح يعمل من أجل هدف قومى كبير . وبناء على ذلك ، فقد طهر صفوفه ، وعزل المعوقين له عن مواصلة ســعيه وكفــاحه . ووصمهم بوصمة الرجعية والاستغلال ، وحرمهم من نعمة الانضمام الى صفوف الاتحاد الاشــتراكى العربى ، حتى لا يؤخروا الانطلاقة العظمى التى ينطلقها نحو أهدافه التى يريد أن يصل اليها بسرعة واطمئنان .

الاشتراكية

« ان الحرية الاجتماعية طريقها الاشتراكية ــ ان الحرية الاجتماعية لا يمكن أن تتحقق الا بفرص متكافئة أمام كل مواطن فى نصيب عادل من الثروة الوطنية »

(الميثاق)

لاريب أن ثورة يوليو كانت طليعة موفقة للعمل الحاسم ضد الاستعمار والرجعية وقد كانت أهدافها نابعة من أعماق هذا الشعب ، ومتجاوبة مع أحاسيسه ، هذا الشعب الذى ظل يرسف فى قيود الاستعمار، وقسوة الاقطاعيين والرأسماليين ، وجشع المحتكرين ومن على شاكلتهم سنين طويلة .

ولذلك كان لزاما على الثورة أن تخوض معركتين فى وقت واحد : معركة سياسية تتمثل فى القضاء على الاستعمار ، ومعركة اجتماعية تتمثل فى القضاء على رواسبه .

وكان القضاء على الاستعمار نفسه أسهل بكثير من القضاء على مخلفاته التى تركها فى البلاد التى مكث يستنزف مواردها ، ويستغل خيراتها أمدا طويلا .

ورحل الاستعمار ، وترك وراءه اعوانه فى هيئة المستغلين والمحتكرين والاقطاعيين والرأسماليين والانتهازيين والمعوقين ، وغيرهم ممن أثروا على

حساب الشعب، واستنزفوا دماءه وسخروه لمآربهم الخاصة وتحقيق أغراضهم، وحرموه من ثمرة تعبه وعرقه وكده .

ورأت الثورة أنه لا سبيل الى تحقيق اصلاحاتها الاجتماعية الا بمحاربة هؤلاء فأصدرت لذلك قانون الاصلاح الزراعى ، وحددت الملكية، وأصدرت القوانين الاشتراكية ، وكان لها أثرها فى رفع روح الشعب المعنوية ورد حقوقه اليه واشعاره بالعزة والكرامة .

ولقد عبر الرئيس جمال عبد الناصر عن ذلك فى خطابه بهيئة الأمم المتحدة اذ قال : **« انكم تعلمون أن تيارا ثوريا وطنيا يجتاح الآن بلادنا ، بل اننا نقول ان وطننا الجمهورية العربية المتحدة يعيش الآن ثلاث ثورات فى وقت واحد : ثورة سياسية عبرت عن نفسها بمقاومة الاستعمار فى جميع مراحله ، منذ كان سافرا على شكل قوات احتلال حتى تستتر وراء الاحلاف العسكرية التى لم نر فيها غير محاولة لاخضاعنا لسياسة مناطق النفوذ .**

« وثورة اجتماعية عبرت عن نفسها بمقاومة الاقطاع والاحتكار ، وبالعمل الثقافى من أجل زيادة الانتاج رفعا لمستوى المعيشة ، وتمكينا لتكافؤ الفرص بين المواطنين تحقيقا للعدل الاجتماعى .

ولقد كانت خطة مضاعفة الدخل القومى فى عشر سنوات التى بدأ تنفيذها هذا العام فى اقليم الجمهورية العربية المتحدة هى صورة هذا العمل المتفانى والرمز الواضح لتصميم شعبنا على بناء وطنه .

« ثم ثورة عربية عبرت عن نفسها بمقاومة الفرقة المصطنعة .... »

ولقد وضعت الثورة التجربة الاشتراكية موضع التنفيذ ، لانها رأت فيها البلسم الشافى لجراح الشعوب التى عانت منها عدة قرون ، ولا معنى للثورة — أية ثورة — ان لم يكن هدفها الاول رفع مستوى الشعب وتطويره ، والوصول به الى حياة أسعد ومستقبل أفضل والا فلماذا تثور الشعوب ؟ ولماذا تعبر عن نفسها بهذه الانطلاقات التحررية ان لم يكن من وراء هذه الانطلاقات تحقيق لآمال مكبوته واماني منشودة ؟ .

وبالاخص هذه الثورة ، فهى لم تفقد حساسيتها بآلام الشعب وآماله فى يوم ما ، ولقد عاشت الثورة حتى الآن أكثر من عشر سنوات ، ومع ذلك فهى لم تكف عن التطلع الى تحقيق مستوى أحسن وحياة أرغد فوق ما حققته من طفرات فى ذلك .

والاشتراكية طريقنا الى هذه الصورة الجميلة المشرقة التى رسمتها الثورة للحياة العربية فى مصر والعالم العربى ٠

والاشتراكية التى طبقتها الثورة اشتراكية عربية خالصة مشتقة من تعاليمنا وقوميتنا وتراثنا ، وليست اشتراكية مستوردة أو ملحدة ، فقد دعت اليها الاديان السماوية ، وحققها الانبياء والرسل ، وسار عليها الخلفاء الراشدون ، وحث عليها المصلحون والمفكرون ٠

ذلك لانها لا تعطى فردا على حساب فرد آخر ، ولكنها تدعو الى حق الفرد ، كما تدعو الى حق الجماعة ، وتدعو الى التعاطف والرحمة والمحبة ، وتقيم دعائم التعاون والمساواة والعدالة ، وتحارب الانتهازية والاستغلال، وتحرم الكسب الحرام والاثراء غير المشروع ، وتلعن المحتكر والشحيح ، وتبنى فواعد المجتمع على أسس مثالية وقيم رفيعة ٠

وهذه الاشتراكية العربية التى طبقتها الثورة لم تقتل دوافع الطموح عند الفرد ، ولكنها شجعته وباركته ، ومن هنا يتضح الفرق الشاسع بين اشتراكية الثورة العربية والاشتراكيات الاخرى ، كما أن هذه الاشتراكية راعت ظروف المجتمع العربى ولم تخرج على تقاليده ومشت مع أسسه وأهدافه ٠

وقد واجهت لذلك نوعا من المحاربة المذهبية ، ولكن الشعب العربى المتيقظ الذى عرف كيف يدمر الاستعمار فى صوره المختلفة تمكن أيضا من أن يحبط هذه المحاولات الجديدة التى كانت تستهدف بسط سلطانها على اشتراكيتنا العربية وتغيير اتجاهها ٠

ولكى تنطلق الثورة الاشتراكية فى طريقها كان لزاما أن تتخلص من كل العوائق التى تقف فى طريقها أو تحول بينها وبين المضى فيه ، ولذلك حاولت أن تعزل هذه الفئات الرجعية الاستغلالية عن صفوف الشعب لأنه لا يمكن اطلاقا أن تفرض الثورة حسن النية مع رأسمالى قلمت أظفاره وحددت دخله وأخذت منه ما يزيد على حاجته وردتها الى أصحابها الحقيقيين من أفراد الشعب ، لا يمكن اطلاقا لهذا الشخص . وقد عرف فى طبعه الجشع والشح أن يكون مخلصا كغيره ممن ردت اليهم الثورة حقوقهم ٠

وبذلك أمكن للشعب العربى أن يسير فى طريق ثورته الاجتماعية بخطى مطمئنة فى ظل ذلك النظام الجديد « نظام الاتحاد الاشتراكى العربى » الذى يؤلف من الطوائف المؤمنة بالاشتراكية قوة تتمكن من

تحقيق كل الاهداف الاشتراكية التى نرجو من ورائها خلق المجتمع المثالى .

ونستطيع أن نؤكد أن هذه الاشتراكية الديمقراطية التعاونية انما هى ثورة طبيعية نشأت عن الخلل الاجتماعى الذى كان موجودا فى البلاد قبل الثورة .

ولقد جاءت الثورة لتعيد الامور الى نصابها وتعطى كل ذى حق حقه، وفى ظل التعاليم الدينية والتقاليد العربية تأخذ طريقها نحو الاصلاح المنشود ، ومن هذا نفهم معنى عبارة الرئيس جمال عبد الناصر « **ان مئات السنين من حكم الاستعمار وسيطرة الاجنبى وطغيان الاقطاع قد خلقت أوضاعا اجتماعية ورثناها ، وهذه الاوضاع تشكل الآن بالرغم من كل النوايا الطيبة الحقيقية عقبة فى طريق اعادة البناء الداخلى لوطننا . ان هناك قلة من الناس ورثوا المال ارثا وورثوا النفوذ ارثا وورثوا حق احتكار الحياة ارثا** » .

وليس هذا من العدالة فى شيء ، وليس هناك أى أثر للثورة ان لم تعمل شيئا يعيد الحياة الى صورتها الصحيحة ، ليس يكفى الشعب ان تطهر الثورة البلاد من الاستعمار ثم تقف أمام رواسبه مكتوفة الايدى ، ولا تصنع شيئا . ان هناك أنواعا من الحكم أقسى من الاستعمار مئات المرات ، تلك الانواع التى تموت فى ظلها حرية الافراد وتضيع حقوقهم وتلعب الاهواء والنزوات بمقدراتهم وتتحكم فى مستقبلهم وتفوت الفرص على الأكفاء منهم .

ان مثل هذا النوع من الحكم ان لم يكن أظلم من الاستعمار فليس أفضل منه ، واذن فلم يكن يكفى للثورة أن تطرد الاستعمار فقط ثم لاتفعل شيئا للكادح والعامل والاجير والفلاح ، وتوضح لهم معنى الحياة الحرة الكريمة ، وتجعلهم يشعرون بأنهم يعيشون فى ظل وطن عزيز يعمل لاسعادهم ويسعى لاعزازهم ويجزيهم على كفاحهم الشريف أعظم الجزاء ، وكان هذا هو منطق الثورة على لسان زعيمها :

« **واذا كان مفهوم الحرية السياسية فى تصورها السهل هو أن يكون لكل مواطن حق فى تقرير أمر وطنه طبقا لفكره الخاص ، فان مفهوم الحرية الاجتماعية فى تصورها السهل هو أن يكون لكل مواطن حق فى نصيبه من ثروة وطنه طبقا لجهده الخاص .**

« **هذه شريعة العدل ، وهى فى نفس الوقت شريعة الله ...**

« لم تكن شريعة العدل شريعة الله تقضى بأن يكون الغنى ارثا ، وبأن يكون الفقر ارثا ٠

وبأن تكون الصحة ارثا ويكون المرض ارثا ٠

وبأن يكون العلم ارثا ، وبأن يكون الجهل ارثا ٠

« وبأن تكون الكرامة والانسانية ارثا ، وبأن يكون الذل الانسانى ارثا ٠

« ان شريعة العدل شريعة الله ترفض ذلك وتأباه ٠

« وترفضه وتأباه شريعة الحرية فى معناه الاجتماعى » ٠

تلك هى الاشتراكية العربية التى تدعو اليها الثورة وتريد أن تصل عن طريقها الى اقامة مجتمع متكافىء سليم فى جميع نواحيه الاقتصادية والعلمية والاجتماعية وغيرها ٠

ومن الطبيعى أن تبهر هذه الاشتراكية عيون الدول العربية الناهضة فتحاول ان تحذو حذوها فى تطبيقها ، وقد شرعت بعض هذه الدول فعلا فى دراسة انظمتها ، وطبقت بعض اسسها ٠

فعلت ذلك الجزائر والعراق واليمن ٠

وستفعل غيرها غدا دول أخرى فى المحيط الافريقى والآسيوى بعد أن ادركت أن المد الثورى والشعبى قد نما وانطلق ليقيم الدليل على أن ارادة الشعوب لا تقهر وأن المستقبل للشعب يرسمه ، بيده ، ويقيم دعائمه بجهده وكفاحه ٠

مستقبل الأمة العربية

لقد صحا المارد الجبار واستيقظ ، وبدأ يفرض نفسه من جديد على أحداث التاريخ .

لقد انطلق الشعب العربى معبرا عن نفسه أوقع تعبير فى حركاته الثورية المتعددة .

لقد ذهبت كلمة جمال عبد الناصر التى قالها يوما « على الاستعمار أن يحمل عصاه على كاهله ويرحل » مثلا يحتذى ، وأصبحت الشعلة التى أضاءت معالم الطريق للشعوب العربية ، والجذوة التى أطلقت النار فى الهشيم ، فهب الشعب العربى من أقصاه الى أقصاه تتجاوب صيحات ثورته ويوقع أنغام حريته على أوتار الضحايا والشهداء الذين يتساقطون برصاص الغدر والخيانة فى أجزاء كثيرة من الوطن العربى .

لقد أقسم الشعب العربى يمين التحرر ، وآلى على نفسه ألا يمكن لدخيل فوق أرضه أو رجعى يدنس ترابها ، أو انتهازى ينتهك حرماتها .

لقد صحا الصحوة التى لا نوم بعدها ، واليقظة التى لا غفلة وراءها.

لقد فتحت ثورة يوليو عينه على حقيقته وردت اليه اعتباره وأخذت بيده الى الأمام فى طريق العزة والكرامة .

لقد صنعت هذه الثورة حقيقة الحياة ووضعت فى نفوس الشعب العربى معانى جديدة ، وأكسبت الحياة طلاوة ونضارة ، وأطلقت حناجر الجماهير الشعبية فى كل ركن من أركان العالم العربى تردد فى صوت

واحد نشيد الحياة وتهتف باسم رائد القومية العربية وباعث الأمة وموقظ الأمل ٠

ان للمستقبل للشعب العربى الذى صمد للأحداث وتحدى المحن ، ولم يلن أمام الخطوب ولم يتأثر بما انتابه من آلام ولم يهرب من المصاعب والعقبات التى بذرها أمامه المستعمر ٠

لقد أدركت الأمة العربية أن المستقبل لها ، وأن زمام أمورها بيدها، وعليها منذ الآن أن ترسم سياستها على أساس أنها هى سيدة نفسها ، وانها هى التى تتحكم فى مقدراتها ، وتستغل خيراتها ، وتجنى ثمارها ، وتبنى مستقبل حياتها على أساس من العزة النفسية الكريمة ٠

ان المستقبل أمام الشعوب العربية باسم مشرق ٠

فلا مكان لمستعمر فى أرضها بعد اليوم ، وقد آذن عهد اسرائيل بالأفول وأخذ نجمها فى السقوط ، وهبت رياح الوحدة حولها من كل جانب تضيق عليها الخناق، وتسد عليها منافذ الأمل ، وتجبرها على الفرار من هذه الديار الطاهرة المقدسة ٠

لقد رسم الرئيس جمال عبد الناصر مستقبل هذا الوطن العربى الكريم بخطوط من نور منبعث من هدى ذلك الشرق العربى الذى كان فيما مضى مهبط الرسالات ، ومشرق الديانات ، ومنزل الوحى الكريم الهادى الى صراط مستقيم ٠

فلا أقل من أن يعود الى ماضيه مزهوا مشرقا كما بدأ ، ويقود الانسانية الضالة الى مراشدها على حد تعبيره فى احدى المناسبات ٠

ان كل فرد من أفراد الوطن العربى الكبير يحق له أن يردد مع صانع الميثاق الوطنى بكل فخر وايمان ٠

ان شعبنا قد عقد العزم على أن يعيد صنع الحياة على أرضه بالحرية والحق ــ وبالكفاية والعدل ــ وبالمحبة والسلام ٠

« وان شعبنا يملك من ايمانه بالله وايمانه بنفسه ما يمكنه من فرض ارادته على الحياة ، ليصوغها من جديد وفق أمانيه » ٠

فهرس

الموضوع	الصفحة